ذِكْرَيَاتٌ لا تُنْسَى

بين الثانوية والسّجن ورحلة الحج

(١٩٨٠ - ١٩٨٩م)

تأليف

د. علي محمّد محمّد الصّلابي



الطبعة 2

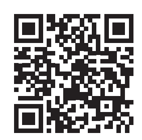
دار الأصالة




دار الأصالة

دار الأصالة

رقم الإصدار	170
الترقيم الدولي	978-625-8336-68-9
اسم الكتاب	**ذكرياتٌ لا تُنسى بين الثانوية والسّجن ورحلة الحج**
اسم المؤلف	**د. علي محمد محمد الصلابي**
رئيس التحرير	**رجب صونگول**
الاخراج الفني	AsaletAjans ajans@asaletyayinlari.com.tr
الطبعة	**الثانية - ديسمبر 2023 م / جمادى الأولى 1445 هـ**
دار النشر	**دار الأصالة للنشر والتوزيع وخدمات الترجمة والطباعة** **Asalet Eğitim Danışmanlık** **Yayın Hizmetleri İç ve Dış Ticaret** Sertifika No: 40687 Balabanağa Mh. Büyük Reşit Paşa Cd. Yümni İş Merkezi, No: 16B/16 Vezneciler Fatih, İSTANBUL-TÜRKİYE Tel: +90 212 511 85 47 www.asaletyayinlari.com.tr asalet@asaletyayinlari.com.tr
	Step Ajans Matbaa Ltd. Şti. Sertifika No: 45522 Göztepe Mh. Bosna Cd. No: 11 Bağcılar/İSTANBUL



كما أن إصداراتنا متاحة على منصّتي



ذِكْرَيَاتٌ لا تُنْسَى

بين الثانوية والسّجن ورحلة الحج

(١٩٨٠ - ١٩٨٩م)

تأليف

د. عليّ محمّد مُحمّد الصّلابيّ



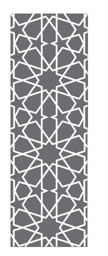
الإهداء

إلى الشعوب التي ناضلت وتناضل من أجل حريتها وحقوقها التي يحاول بعض البشر مصادرتها.

إلى الأحرار في هذا العالم الذين رضوا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبياً رسولا.

قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].





مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك، وعظيم سلطانك، ولك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، **وأما بعد:**

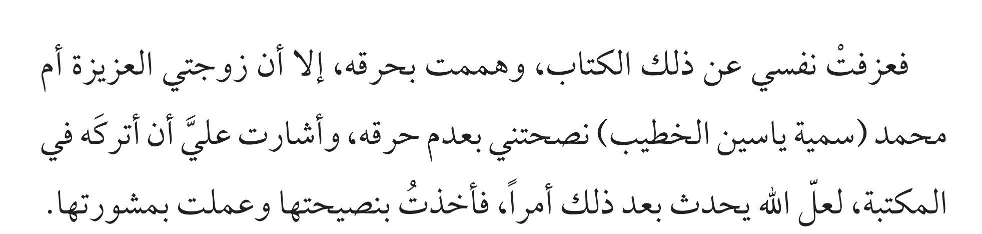
فإن لهذا الكتاب قصةً خضعت لأقدار الله عَزَّوَجَلَّ، فعندما خرجت من السجن حرصت على كتابة ما مرّ بي من أحداث، وكنت قريب العهد بها، وقد رزقني الله ذاكرة قوية بحمد الله.

وبعدما أتممت الكتاب، -وهو الأول في مسيرتي في عالم التأليف والكتابة- عام ١٩٨٩م، وأخبرت والدي بذلك، وقد كان والدي لي أباً وأخاً وصديقاً ومثقفاً وناصحاً، مع وعي وثقافة متميزة مقارنةً بجيله، ورأيُه عندي معتبرٌ، فطلب منّي عدم طباعة الكتاب؛ خوفاً على الأشخاص الذين ذُكِروا فيه أن يتعرضوا للأذية والاعتقال من جديد، ولم يكن يثق بنظام القذافي قِيدَ أُنْمُلة.







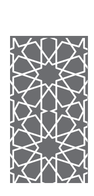


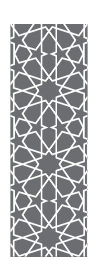
فعزفتْ نفسي عن ذلك الكتاب، وهممت بحرقه، إلا أن زوجتي العزيزة أم محمد (سمية ياسين الخطيب) نصحتني بعدم حرقه، وأشارت عليَّ أن أتركَه في المكتبة، لعلّ الله يحدث بعد ذلك أمراً، فأخذتُ بنصيحتها وعملت بمشورتها.

وبعدما كبر الأولاد وشرعت في الحديث عن الذكريات، قالوا لي: لماذا لا تكتب ذكرياتك ومذكراتك؟ فتذكرت المسوَّدَة التي كتبتها، وقلت لهم: لقد كتبت مذكراتي مباشرة بعد خروجي من المعتقل، إلا أنّ جدكم رَحِمَهُ ٱللَّهُ منعني بسلطانه الأدبي من طباعة الكتاب خوفاً على الناس من قمع النظام.

فقالت لي ابنتي الكبيرة الدكتورة خديجة، وكانت حينها تدرس في كلية الآداب بتخصص اللغة العربية: لماذا لا تكتب منه مقالات لنشرها؟ وفعلاً أخرجتِ المخطوطةَ وفكّكتْ خطوطَها، وكتبتْ مقالات بصياغتها في صحيفة (ليبيا اليوم) في عام ٢٠٠٧م، وكانت الكتابة من صياغتها، وبقلم أدبي رفيع جمع بين بساطة العرض، وروعة اللغة، فجزاها وأُمَّها عني خير الجزاء، ولهما الفضل بعد الله بخروج هذا الكتاب، الذي نقلت فيه للقارئ الكريم بعض مراحل حياتي قبل غربتي وطلب العلم في بلاد المسلمين.

في هذا الكتاب تجد وصفاً حيّاً لمرحلة الثانوية العامة، وبداية دخولي لكلية الهندسة، فقد كنت -بفضل الله- متفوقاً في مواد الرياضيات والمقررات العلمية، ولذلك بدأت من مطلع عام ١٩٨٠م، ومن ثم مرحلة السجن (مدرسةِ يوسف الصدّيق عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ)، التي تبدأ من عام ١٩٨١م، وبعد ذلك الخروج من السجن إلى الحياة من جديد، ونشاطي الدعوي في الخطب والدروس بليبيا، وفي ما بعد رحلتي للحج (حجّة الإسلام) مع والدتي وأخي محسن ونيس القذافي، ووالدته السيدة الفاضلة أمل شنّيب رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وأخته ماجدة.





وأنهيت هذه المذكرات بالهجرة خارج الوطن، ورحلتي في طلب العلم في مطلع عام ١٩٨٩م، أي بعد تسعة أشهر من خروجي من السجن.

وقد أسميت هذا الكتاب "**ذكريات لا تُنسى بين الثانوية والسَّجن ورحلة الحج (١٩٨٠ - ١٩٨٩م)**".



وفي هذا الكتاب، سيطّلع الجيل الجديد -بإذن الله تعالى- على حقبة من تاريخ ليبيا في عهد العقيد معمر القذافي، وما كان فيه من ظلم وقسوة ومصادرة للحريات، ومحاولات تهميش رموز وأساطين الفكر والثقافة والعلم، وزعماء التيارات السياسية والاجتماعية التي كانت تخالفه في الرؤى السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ونقلتُ بكلّ أمانة ما رأيت وسمعت من الثِّقات الذين كانوا معي في السجن، واستفدت منهم، كما استفدت من الكتابات السابقة عن السجون الليبية في تأكيد التواريخ وأسماء المعتقلين، وأسماء القضايا المدنية والعسكرية التي هددت نظام سبتمبر؛ ومن هذه الكتب:

- كأنك معي.. مذكرات سجين رأي في سجون القذافي، التي كتبها الأستاذ صالح القصبي.

- مذكرات في السجن والغربة، التي كتبها الدكتور جمعة أحمد عتيقة.

- رواية أيمن العتوم (طريق جهنم)، وبطلها الأستاذ علي العِكرمي.

وقد تواصلت مع هؤلاء السادة الأفاضل جميعاً، الذين أكنُّ لهم كل مودة وتقدير واحترام.

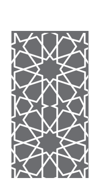





ولا يخفى على كل متابع لتاريخ ليبيا أن تلك المرحلة الظلامية (الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي) كانت من أصعب المراحل، وأكثرها ظلاماً وظلماً في تاريخ ليبيا الحديث والمعاصر، إذ قامت فيها سياسة النظام الليبي في عهد العقيد القذافي على القمع وكبت الحريات، وإغراق السجون بأصحاب الكلمة الحرة أو الرأي السديد أو العمل الوطني الصالح، وكذلك تهجير النخب والكفاءات العلمية والسياسية، وملاحقتهم في المنافي، بل وتصفيتهم، فضلاً عن محاربة الفكر والثقافة والتعددية، ومحاولة فرض رؤى شمولية أحادية على شعب بأكمله.

سأترك الكتاب يتحدث عما رأى صاحبه من مِحَنٍ ومنحٍ وابتلاءاتٍ ورحماتٍ، ورعاية الله وتوفيقه، ومحاولة فهم عقيدة القضاء والقدر، وأهمية كلام الله المعجز الذي هو منهج لحياة الناس في الشدة والرخاء، والتسليم لله؛ إذ الأمر له من قبل ومن بعد.

وإن العزم قائم -بإذن الله تعالى- على إخراج كتاب يخصّ المهجر: "الهجرة في بلاد المسلمين ١٩٨٩ - ٢٠٠٥م"؛ حيث مراحل طلبي للعلم في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ومن لقيتُ من العلماء والزملاء والأصدقاء، ولمن قرأت، وبمن تأثرت في تلك المرحلة؛ ومواسم العمرة، والعشر الأواخر في رمضان بمكة المكرمة؛ ورحلات الحج الموسمية في مرحلة الدراسة؛ وحلقات العلم في المسجد النبوي الشريف لدى العلماء، مثل الشيخ أبي بكر جابر بن موسى الجزائري، والشيخ المحدث عمر فلاته، والشيخ المصري عالم الحديث والفقيه المالكي والقاضي عطية محمد سالم، وعالم علم الحديث الشيخ عبد المحسن حمد العبّاد، وغيرهم؛ والجمع بين العلم الأكاديمي ومزاحمة طلاب العلم بالركب في حلقات التلقّي، بالإضافة إلى تعرّفي على فضيلة الشيخ المفكر







الأديب الداعية الربّاني الفقيه الدكتور سلمان بن فهد العودة، وتواصلي معه عقدين من الزمن، إذ قرأت كتبه، وتتلمذت على علمه وفكره ونتاجه المعرفي.

ثم ذهابي بعد ذلك إلى السودان، والتحاقي بجامعة أم درمان لدراسة الماجستير والدكتوراه:

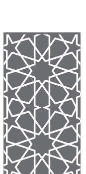
- رسالة الماجستير "الوسطية في القرآن الكريم"، التي أشرف عليها البروفيسور مبارك محمد أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- رسالة الدكتوراه "فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم"، التي أشرف عليها البروفيسور أحمد محمد جيلي.

سأتناول حياتي في السودان، وبمن التقيتُ، وممن استفدتُ من العلماء والمفكرين والشيوخ وأهل الفضل والخير، ورأيي في الدكتور حسن الترابي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي التقيت به في الخرطوم، وتجربة الحركة الإسلامية في السودان التي قادها بنفسه، وما لها وما عليها.

وكذلك علاقتي المتميزة بالشيخ الجليل والعالم الرباني والمتصوف الكبير أحمد نور، عميد كلية الشريعة بجامعة إفريقيا، رَحِمَهُ ٱللَّهُ وانخراطي في التجارة، وحينها جمعت بين طلب العلم والضرب في الأسواق، وما فتح الله عليّ من أرزاق في ذلك، وانطباعاتي عن الشعب السوداني الطيّب الكريم المضياف، وغير ذلك من الذكريات.

ثم تجربتي في اليمن السعيد الحبيب، والكتب التي كتبتها هناك، والعلماء الذين درست على أيديهم، من أمثال العالم العراقي الشهير الأصولي الكبير الفقيه النحرير عبد الكريم زيدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ والمفكر اليمني الأصولي البارع، وزعيم الحركة الإسلامية باليمن في وقتها، ونائب زعيم حزب الإصلاح








عبد الله الأحمر، وكذلك الأستاذ ياسين عبد العزيز. وكذلك تعرّفي على الشيخ عبد المجيد الزنداني، والتواصل بيني وبين شقيقي أسامة في اليمن، وتجربته في التعلم من علمائها، وخصوصاً مفتي الديار اليمنية الشيخ القاضي محمد العمراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

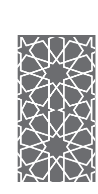
ثم حياتي في دولة قطر، وكيف انتقلت إليها، وكيف عشت فيها، وما كتبت فيها، ومن الذي كان سبباً في دخولي فيها، وما ترتب على هذا الانتقال من علاقاتٍ ومواقفَ ومعرفةٍ وثقافةٍ وانفتاحٍ على العالم، وظهوري على قناة الجزيرة، وما تعلمت من العلامة والشيخ الجليل الدكتور يوسف القرضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ والدكتور أحمد الريسوني، والدكتور علي محيي الدين القره داغي، والشيخ العلامة محمد الحسن ولد الددو، وغيرهم من العلماء الأجلَّاء.

كان الفضل لله ثم للشيخ فيصل بن جاسم بن محمد آل ثاني، الرجل المثقف الخلوق الذي يحترم العلماء وأهل الفكر، فقد وقف معي في مشروعي المتعلق بكتابة التاريخ الإسلامي من السيرة النبوية حتى العصر الحديث، وذلَّل الله تعالى على يديه كثيراً من الصِّعاب والعقبات، وكان ذلك من الأسباب الرئيسة التي ساقها الله عَزَّوَجَلَّ في نجاح المشروع وترجمته وانتشاره.

وأحسبه أنه كان مخلِصاً ومحتسباً الأجرَ في دعمه، وأجره على الله تعالى، وقد كانت معارفي بالساسة والعلماء والمفكرين والأعيان في قطر العزيزة من خلاله.

وقد كان محباً للمطالعة، وصاحب نظرات ثاقبة في الفكر والتاريخ، وكم تحاورنا وتناقشنا واختلفنا واتفقنا في رؤىً متعددةٍ ومتنوعةٍ في التاريخ وسننه وفلسفته وواقع الأمة الحضاري ونهوضها المرتقب.

وتعرفت على كثير من أعيان أهل قطر، وقد لقيت كثيراً من الاحترام والتقدير في هذا البلد العزيز الحبيب.





ثم أستعرض بعد ذلك انتقالي إلى تركيا، وما كتبته من كُتب فيها، وأسباب انتقالي إليها واهتمامي بالعمل الوطني، واللقاءات والمؤتمرات من أجل السلام والمصالحة، وما كتبته في هذا المجال.

وقد كتبت كتاباً عن الأحداث التي مررتُ بها من ٢٠٠٥ - ٢٠٢٣م، وهو شبه جاهز، وأعتبره وثيقة مهمة وأحداثاً تاريخية عشتها وشاركت فيها مع نخب ليبية، اختلفنا واتفقنا وما زلنا نسعى للوصول إلى السلام والمصالحة والاستقرار.

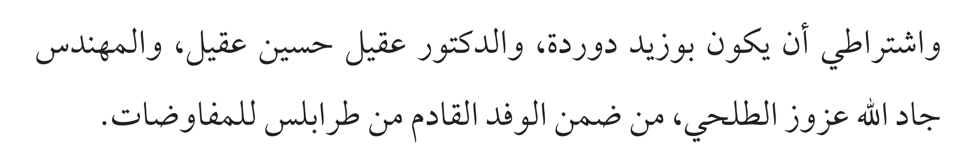
وكيف رجعت إلى ليبيا، وحديثي عن جهود الأخوين الكريمين عبد الرزاق العرّادي والدكتور عقيل حسين عقيل في ذلك الوقت، وموقف النظام من كتاب الحركة السنوسية ومنعِه من قبل السلطات في معرض الكتاب الدولي بمدينة طرابلس، ودفاعي عن الملك إدريس السنوسي بوصفه زعيماً وطنياً قاد البلاد إلى ميلاد المملكة الليبية.

بالإضافة إلى حواراتي مع سيف الإسلام القذافي في مكتبه في باب العزيزية حول تاريخ الحركة السنوسية، وغيرها من القضايا الفقهية والسياسية والإصلاحات الوطنية، وذكرتُ مؤازرةَ الدكتور عقيل حسين عقيل لي عند رئيس جهاز الأمن الداخلي التهامي خالد، وعند عبد الله السنوسي، وكذلك قصة السجناء من الإخوان والمقاتلة وغيرهم، والسعي في إخراجهم، فضلاً عن الترتيبات والمناقشات الثلاثية في بيت الدكتور عقيل، بيني وبينه وبين الأستاذ عبد الرزاق العرّادي في الشأن العام، ومحاولة إشعال شموع في وسط الظلام.

ومسيرتي الأخوية والوطنية مع رفيق الدرب عبد الرزاق العرّادي، وبعد ثورة ١٧ فبراير ٢٠١١م، وكيف كنا حريصين على حقن دماء الليبيين وحفظ العاصمة من الدمار، واستجابتي لمساعي المصريين في عهد المشير محمد طنطاوي،





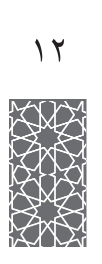


واشتراطي أن يكون بوزيد دوردة، والدكتور عقيل حسين عقيل، والمهندس جاد الله عزوز الطلحي، من ضمن الوفد القادم من طرابلس للمفاوضات.

وقد تغيّب الطلحي، وحضر الدكتور عقيل وبو زيد، وكاد اللقاء ينجح لولا أن الله أراد شيئاً آخر، وقد لقيَتْ تلك المفاوضاتُ الدعمَ من رئيس المجلس الوطني الانتقالي المستشار مصطفى عبد الجليل، وتعرضتُ لأكاذيبَ وأباطيلَ من بعض الناس، كل ذلك سأتحدث عنه مفصّلاً، بإذن الله، في الكتاب الذي يُؤرخ للمرحلة ما بين ٢٠٠٥ و٢٠٢٣م.

كما أنني تناولت مشروع ليبيا الغد الذي قاده سيف الإسلام القذافي، واندماجي فيه في ملف المصالحة مع السجناء والمهجرين في الخارج، والسعي لرفع المظالم، وتعويض المتضررين وإرجاعهم إلى أعمالهم، ومواقف الدكتور سيف في دعم مسار الإصلاح السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وهل كنت مقتنعاً بذلك المشروع؟ وهل مساهمتي كانت جادة؟ وما طبيعة علاقتي بالدكتور سيف، الأخوية والثقافية والفكرية والوطنية؟ كتبتها بكل أمانة وشفافية.

وكان الحديث في الكتاب الذي أرّخ للفترة بين عامي ٢٠٠٥ - ٢٠٢٣م عن ثورة السابع عشر من فبراير ٢٠١١م، والمجلس الوطني الانتقالي والمستشار مصطفى عبد الجليل، والمكتب التنفيذي وحكومة الكيبْ، والدكتور محمود جبريل، واختيار الشعب للمؤتمر الوطني، وعهد الدكتور محمد المقريف، وحكومة علي زيدان، وتولي الأستاذ نوري بوسهمين للمؤتمر بعد الدكتور محمد.







وموقفي من قانون العزل السياسي ومشروع العدالة والمصالحة الوطنية، ولقاءاتي بالليبيين المهجرين من أتباع النظام السابق في مصر، وماذا حدث في لقائي في مصر مع أحمد قذاف الدم، والدكتور علي الأحول، وغيرهم، برعاية مصرية في عهد الرئيس الدكتور محمد مرسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

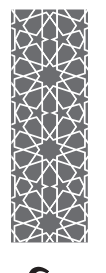
وتحدثت عن موجة الرفض العارمة لمشروع العدالة والمصالحة الوطنية من الطرفين؛ سبتمبر وفبراير، وأسباب ذلك، والحملات الإعلامية التي قادت حملات التشويه لمشروع العدالة والمصالحة الوطنية.

وهل انتصر مشروع المصالحة أو انهزم؟ وكيف أصبح الآن ثقافة شعبية يتحدث عنها المؤمن بها، ومن يستخدمها أداةً من أدوات الكسب المادي أو السياسي؟

وماذا يحتاج مشروع العدالة والمصالحة لكي ينجح؟ وقد كتبت فيه كتابين، الأول: (المشروع الوطني للسلام والمصالحة)، وهذا يبيّن دور القيادة السياسية الراشدة والحكومة الرشيدة في قيادته.

والثاني: (العدالة والمصالحة الوطنية.. ضرورة دينية وإنسانية) وهذا يبين أحكام الشريعة الإسلامية في العدالة والمصالحة، وأهمية العدالة الانتقالية بالمفهوم الإسلامي، ويغوص في تجارب التاريخ الإسلامي والإنساني، منذ فتح مكة، وعفو الصِّدِّيق في دولته، وتنازل الحسن بن علي لمعاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وما قام به مانديلا في جنوب إفريقيا، وغيرها من التجارب الإنسانية، مع رؤية تنفيذية تقوم على إنشاء هيئة للعدالة والمصالحة تكون من مؤسسات الدولة ذات شخصية اعتبارية متخصصة في هذا المشروع الحيوي والاستراتيجي.







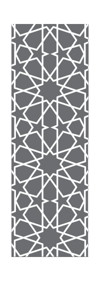
كذلك أرّخت لكيفية خروج البرلمان الذي قاده المستشار عقيلة صالح، وحكم المحكمة الدستورية بحلّه، وقصة مؤتمر الصخيرات بالمغرب، وهل ساهمت في توحيد ليبيا أو تمزيقها!؟ وحكومة السراج، واجتماعاتي به، وتقييمي الشخصي لعهد فائز السراج، وما له وما عليه. ومن ثم المجلس الرئاسي وحكومة عبد الحميد الدبيبة، وكيف كانت مرحلة حكمهم بوصفها حكومة (وفاق وطني)، واستمرار الانقسام والصراع داخل المشهد السياسي والعسكري والأمني، والفشل الذريع في تحقيق الأهداف المرجوة.

وسيجد القارئ تفاصيل نادرة لا يعلمها إلا القليل في كيفية وصولهم إلى السلطة، وقد كتبتها بأمانة علمية، وذلك حتى تتعظ الأجيال من كواليس هذه الأحداث وخفاياها، وكيف انعكست تلك الاختيارات السياسية على السيادة الوطنية، والخزينة العامة، والخريطة الاجتماعية والثقافية، والقواعد الدستورية، وهوية المجتمع الليبي، وعقول أبنائِه وأموالهم وأعراضهم ودينهم ومستقبل بلادهم وأبنائهم.

وفي هذا الكتاب تناولت قصة تكتّل السلام والمصالحة الوطنية، ولقاءاته بالوجهاء والقبائل والنخب، ودوره في تثقيف الشعب في مسار الدولة المدنية، ونشر ثقافة العدالة والسلام والمصالحة الوطنية، والقيم الإنسانية والإسلامية الرفيعة.

بالإضافة إلى الحديث عن تجربة اللقاء التشاوري الذي عقد في إسطنبول بحضور شخصيات من توجّهات مختلفة؛ من الملكية الدستورية ونظام سبتمبر وفبراير والنخب والمشارب المتعددة، وما ترتب عليه من اتفاقات وأعمال، وغير ذلك من القضايا التي أصبح من حق الجيل الجديد والأجيال القادمة أن تطَّلع عليها حتى تستفيد من تجارب من سبقهم.

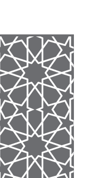






وأحببت أن تكون هذه المقدمة موضِّحة ومعرِّفة لسلسلة ذكريات ومذكرات عشتها، وساهمت فيها، متعلقة بتاريخ بلادي العزيزة الحبيبة الغالية الساكنة في فؤادي ما حييت، والتي تمرّ بظروف تاريخية عصيبة ومعقدة، نحتاج فيها جميعاً إلى اللجوء لله عَزَّوَجَلَّ، ومن ثم تكاتف جهود المخلصين من أبناء الوطن لإنقاذ الوطن وبناء الدولة المدنية الحديثة:

- دولة الدستور.
- دولة القانون.
- دولة المؤسسات.
- دولة الحريات.
- دولة العدالة.
- دولة المساواة.
- دولة الكرامة الإنسانية.
- دولة حقوق الإنسان.
- دولة التداول على السلطة.
- دولة تؤمن بحق الشعب في اختيار رئيسه وبرلمانه وحكومته، وبحقّهم في المتابعة والمحاسبة.
- دولة تحافظ على هوية الشعب وانتمائه الحضاري والثقافي، وتقف بحزم ضد الرذيلة والفسق والخلاعة والمجون.





- دولة تؤمن بالعلم والمعرفة وحق الليبيين في التطور والرقيّ الإنسانيّ.

وإن هذه السلسلة الجديدة ستكون بإذن الله تعالى على مراحل:

- هذا الإصدار الأول الذي قدّمت له هذه المقدمة: "ذكريات لا تُنسى بين الثانوية والسّجن ورحلة الحج (١٩٨٠ - ١٩٨٩م)".

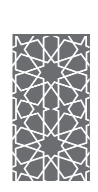
- والكتاب الثاني -وهو قيد الإعداد-: "هجرتي في بلاد المسلمين لطلب العلم والعمل".

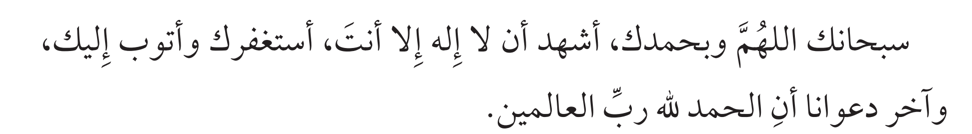
- والكتاب الثالث: "تجربتي وشهادتي بين عامي ٢٠٠٥ و٢٠٢٣م".

ولا يسعني في نهاية هذه المقدمة إلا أن أقف بقلبٍ خاشعٍ منيبٍ بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ، معترفاً بفضله، وكرمه، وجوده، فهو المتفضِّل، وهو المكرم، وهو المعين، وهو الموفِّق، فله الحمد على ما منَّ به عليَّ أوّلاً وآخراً، وأسأله سبحانه، بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى، أن يجعل هذه المذكرات والذكريات لوجهه خالصة، ولعباده نافعة.

كما أنني أشكر الأخ الدكتور طالب عبد الجبّار الدّغيم؛ على جهوده في مراجعة هذا الكتاب، والعمل على إعادة صياغته وتحريره وإخراجه من شكل المخطوطة إلى عالم الكتب الإلكترونية، وأسأل الله تعالى أن يُثيبنا وجميع الإخوة الذين ساهموا بالرأي والنصيحة حتى خرج الكتاب بهذا الشكل.

ونرجو من كلِّ مسلمٍ يطَّلع على هذا الكتاب ألا ينسى العبد الفقير إلى عفو ربِّه ومغفرته، ورحمته، ورضوانه، وإخوانَه الذين ساعدوه، من الدعاء في ظهر الغيب، قال تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾[النمل: ١٩].





سبحانك اللهُمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إِله إِلا أنتَ، أستغفرك وأتوب إِليك، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

د. عليّ محمّد محمّد الصّلابيّ

حرر يوم الثلاثاء في مدينة إسطنبول التركية

بتاريخ: ٩ رجب ١٤٤٤هـ/ ٣١ يناير ٢٠٢٣م

بتمام الساعة الرابعة مساءً بعد صلاة العصر.

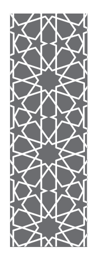












ذكريات الطفولة

أعود بأفكاري إلى زمـانٍ مضى وأُفتش بين ثنايا الذكرياتِ، ذكرياتٍ محفورة بداخلي، فيها نسمات ولمسات والدي العزيز الذي اتخذته قدوة في حياتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد كان والدي محباً للعلم والعلماء، يحدثني كثيراً عن أبي الأعلى المودودي[1]، والأستاذ سيد قطب[2]، بأحاديث كلها احترام وتقدير،

---

(١) ينتمي أبو الأعلى المودودي إلى أسرة تمتد جذورها إلى شبه جزيرة العرب، فقد هاجرت أسرته منذ أكثر من ألف عام إلى جشت بالقرب من مدينة هراه، ثم رحل جده الأكبر "ضواجه مودود" إلى الهند في أواخر القرن التاسع الهجري، وكان أبوه سيد أحمد حسن مودود، الذي ولد في دلهي بالهند سنة (١٢٦٦هـ - ١٨٥٠م)، واحداً من طلاب جامعة عليكرة، وقد عمل مدرساً، ثم عمل بالمحاماة، وفي (٣ من رجب ١٣٢١ هـ - ٢٥ من سبتمبر ١٩٠٣م) رزق بابنه "أبو الأعلى المودودي"، وبعد ذلك بنحو عام اعتزل الأب الناس، ومال إلى الزهد، فنشأ أبو الأعلى في ذلك الجو الصوفي، وتفتحت عيناه على تلك الحياة التي تفيض بالزهد والورع والتقوى. وقضى أبو الأعلى طفولته الأولى في مسقط رأسه في مدينة أورنك آباد الدكن، بمقاطعة حيدر آباد، وكان أبوه معلمه الأول، وقد حرص أبوه على تنشئته تنشئة دينية، واهتم بتلقينه قصص الأنبياء والتاريخ الإسلامي، وكان يصحبه إلى مجالس أصدقائه من رجال الدين والعلماء، فتفتحت ملكاته وظهر نبوغه وذكاؤه منذ حداثة سنه، ونال إعجاب أساتذته منذ سنوات دراسته الأولى. وحرص أبوه على تعليمه اللغة العربية والفارسية بالإضافة إلى الفقه والحديث، وأقبل المودودي على التعلم بجد واهتمام حتى اجتاز امتحان مولوي، وهو ما يعادل الليسانس.
لمعرفة المزيد ينظر: حمد بن صادق الجمال، أبو الأعلى المودودي: حياته وفكره العقدي، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع، جدة. السعودية، (١٤٠١هـ = ١٩٨٦م).

(٢) سيد قطب: هو سيد قطب إبراهيم الشاذلي، ولد في قرية موشا التابعة لمحافظة أسيوط المصرية في ٩ أكتوبر ١٩٠٦، وهو يعد من المفكرين النهضويين، ومؤسس كثير من الأطروحات النظرية الإسلامية، وتعد كتبه المرجع الأساسي لفهم الخلفيات الفكرية لجماعة الإخوان المسلمين، وقد تخرج سيد قطب في كلية دار العلوم بالقاهرة في عام ١٩٣٣، وشغل عدة وظائف في وزارة المعارف، ثم أوفدته الوزارة إلى أمريكا لدراسة المناهج عام ١٩٤٨، وعاد منها بعد عامين، وعمل سيد قطب في الصحافة منذ شبابه،=







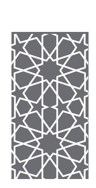
حتى إن والدتي تعجبت من كثرة ورود اسمه في أحاديثنا فسألتنا عنه، وأخبرها والدي بقصته وكيف أنه أُعدم شنقاً في سبيل الله.

وكان والدي يكرر الحديث عن اعتقال المودودي والحكم عليه بالإعدام، وعن حجزه في حجرة الانتظار (الزنزانة) لتنفيذ الحكم عند طلوع الفجر، وكيف استغرق في نومه... وما قاله الحارس عن تلك الحجرة: ما دخل هذه الحجرة أحد إلا أصابه الأرق، إلا هذا الرجل، وهذا دليل أنه على حقٍّ، وبعد أن خُفِّض حُكْم الإعدام على المودودي، فقد أصبح الحارس من أنصاره وأتباعه، وكان لتلك الحادثة تأثير كبير في نفسي.

كان والدي أيضاً يحكي لنا عن أخلاق أبي الأعلى المودودي ونجاحه، وخاصة حين فاز بجائزة الملك فيصل لأكبر داعية قَدَّم خدمةً للإسلام والمسلمين عام ١٣٩٩هـ، وكانت قيمة الجائزة ٢٠٠ ألف دولار، فجعلها كلها للدعوة، ولم يأخذ منها شيئاً، وكان عمري في ذلك الوقت ستة عشر عاماً أو سبعة عشر عاماً، ولهذا السبب كنت أحبه كثيراً، إذ عرفتُ من صغري أنه عالم رباني ونموذج فريد للداعية الإسلامي المجتهد الذي وقف حياته للدعوة إلى الإسلام، وجعل رسالته في الحياة إعلاء كلمة الحق والتمكين للإسلام في قلوب الآخرين، وهو ما أثر في قلوب كثيرين من حوله، فانضووا تحت لواء فكره، وأصبحت

= ونشر مقالات عديدة في مجلة العالم العربي والمجلات المصرية، انتسب سيد إلى جماعة الإخوان عام ١٩٥٣، فشارك في الهيئة السياسية للجماعة، وكانت تلك مقدمة لسجنه وإعدامه بعد أن حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً. وقد ألف كتابه الشهير في السجن "هذا الدين"، كما أكمل تفسيره "في ظلال القرآن". وأفرج عنه بوساطة من الرئيس العراقي عبد السلام عارف في مايو عام ١٩٦٤، وبعد عام أعيد سجنه وقدم للمحاكمة وحُكِمَ بالإعدام في فجر يوم الاثنين في ٢٩ أغسطس ١٩٦٦.

للمزيد يُنظر: صلاح عبد الفتاح الخالدي، **سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد**، دار القلم – الدار الشامية، دمشق، ط٢، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٤م.





مؤلفاتُه مراجعَ أساسيةً لكثير من الشعوب الإسلامية، وبمعظم لغات العالم، وينبوعاً متجدداً لعطائه الفكري والدعوي.

وعندما استقرت بي الأيام في المدينة المنورة طالباً للعلم عكفت على كتب الأستاذ المودودي، وقرأت معظمها التي كانت مترجمة إلى اللغة العربية، وقد بلغ عدد مؤلفات المودودي (١٢٠) مصنفاً ما بين كتاب ورسالة، ومن أبرز تلك المؤلفات:

١. الجهاد في الإسلام.

٢.دين الحق.

٣. مسألة اللباس.

٤. نحن والحضارة الغربية.

٥. الحجاب.

٦. الحضارة الإسلامية: أُسسها ومبادئها.

٧. الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة.

٨. مفاهيم إسلامية حول الدين والدولة.

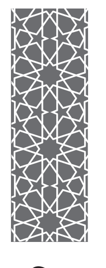
٩. منهج جديد للتعليم والتربية.

١٠. رسالة سيرة النبي.

وكثيراً ما كان يحكي لي والدي عن الإسلام والمسلمين وأخبارهم في الوقت الحاضر، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قصة نجم الدين أربكان[١]، ودخوله في الانتخابات التركية وفوزه، وعن خطته التنموية الإسلامية،

(١) نجم الدين أربكان (١٩٢٦- ٢٠١١م): مهندس وسياسي تركي، تولى رئاسة حزب الرفاه ورئاسة وزراء تركيا بين ١٩٩٦ و١٩٩٧ عرف بتوجهاته الإسلامية.







وعن بكاء الأتراك حين سمعوا الأذان في المساجد باللغة العربية في عهد رئيس الوزراء التركي عدنان مندريس؛ لذلك كان اهتمامي بنضال نجم الدين أربكان وكفاحه وجهاده مبكراً، وكذلك متابعة الحركة الإسلامية في تركيا، وذكرتُ سيرته في كتابي "فقه النصر والتمكين في القرآن الكريم"، واعتبرت وصول نجم الدين أربكان إلى الحكومة نوعاً من أنواع التمكين.

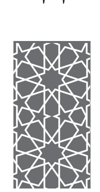
وقبل وفاة الأستاذ نجم الدين أربكان كنت قد حصلت على درجة الدكتوراه، واطلع على ما كتبته في رسالتي، فوجه إليّ دعوة واستضافني، فصلينا الجمعة في أنقرة وتغدينا معاً، وكان ذلك قبل وفاته بعام، وتحديداً عام ٢٠١٠م.

في تلك الزيارة جلست معه جلسة التلميذ مع الأستاذ، وكان الحوار عن التاريخ والفكر والإسلام والنهضة، ودور العلماء في توجيه الشعوب الإسلامية ووحدتها، وعن جهوده لتوحيد الدول الإسلامية اقتصادياً، وعن النمور السبع.

كان وجهه يشع نوراً وقد تقدم بالعمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وكان الشيخ محمود أفندي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أحد أقطاب التصوف السني في تركيا، يقول: "من أراد أن ينظر إلى ولي من أولياء الله حليقاً فلينظر إلى نجم الدين أربكان".

وأتذكر أني كنت قد جمعت مقتطفات من الكتب والمجلات مثل كتاب "كيف ندعو للإسلام" لفتحي يكن، ومجلة العلم والإيمان، ووضعتها في كراسة، وكتبت عليها (إثبات وجود الله)، ومما أتذكره من تلك المقتطفات:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[الأنبياء: ٣٠]، وهناك أدلة في علم النبات وعلم الحيوان وعلم الفلك على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[الفرقان: ٢]، وفي الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ





ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴾[الإسراء: ١٢]، وفي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[فاطر: ٢٧ – ٢٨]....

فلما قرأه والدي قال لي: "يا بُني، أرسل أحدُ المبتدئين في الكتابة إلى كاتب معروف يقول له: أريد أن أكون كاتباً، فقال: اقرأ ثم اقرأ ثم اقرأ، ثم اكتب، فيا بني اقرأ ثم اقرأ ثم اقرأ، ولعل الله يبارك في علمك، وإياك والعُجب، فإنه مفسدة للعبادة"، ولم أكن قبله أعرف ما العُجْب.

وحفظت من والدي هذا البيت من قصيدة الصحابي الجليل خُبيب بن عدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حينما أسره المشركون، وأجمعوا على قتله:

فلستُ أُبالي حِينَ أُقتَلُ مُسلِماً ... على أيِّ جَنْبٍ كانَ –في اللهِ– مَصرَعي

فقد كان كثيراً ما يستشهد به، ويحدثنا عن الشهيد عبد القادر عودة[(١)]، الذي كان يسوقه الجلاد إلى حبل المشنقة وهو يردد هذا البيت.

---

(١) الشهيد عبد القادر عودة (١٩٠٦–١٩٥٤م): عَلَم من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة وداعية من دعاة الإسلام في العصر الحديث، كانت له مكانة متميزة بين أبناء الشعب المصري، وكان له دوره الفاعل والمؤثر في مجرى الأحداث بمصر بعد استشهاد الإمام حسن البنا ١٩٤٩م، وهو عالم متمكن، وقاض متمرس وفقيه قانوني متضلع، له كتاب قيِّم (التشريع الجنائي في الإسلام) وصدرت له مجموعة من الكتب ترجمت إلى كثير من اللغات، ويذكر أنه حين تقدم "عودة" إلى منصة الإعدام قال: "ماذا يهمني أين أموت؛ أكان ذلك على فراشي، أو في ساحة القتال.. أسيراً أو حراً.. إنني ذاهب إلى لقاء الله"،=






وكان حديث والدي عن جمال عبد الناصر والعقيد القذافي والشيوعيين سلبياً، وكان ضد الشيوعيين السوفييت الذين كانوا يقاتلون المسلمين في أفغانستان، وكان منحازاً انحيازاً كبيراً لقضايا الإسلام، وعاطفته الإسلامية كان متقدة حتى إنه كان ليبكي أحياناً، رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى.

ومن الاهتمامات الفكرية الأولى التي دونتها في السنة الأولى لدراستي في كلية الهندسة بجامعة قار يونس في بنغازي عام ١٩٨١م، قطوف وفوائد جمعتها من تفاسير القرآن الكريم، وكتب فقهية وعلمية[1]، حول أدلة وجود الله، وخلاصتها:

إن الإلحاد والكفر وإنكار وجود الله ظواهر قديمة قِدَمَ هذا الكون، وهي جوهر الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، ولم تكن الوظيفة الأولى من إرسال الرسل والأنبياء سوى حلول لهذه المشكلة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ٥٩].

وفي هذه الأيام، يشهد العالم رِدَّةً عن الإيمان بالله، ومجاهرةً بالكفر والمعاصي، لم يُعرَف لهما مثيل من قبل، وتحشيد من أعداء الإسلام للنيل منه، فهؤلاء حاولوا –على مرّ الأزمان– تشويه مفاهيمنا الأصيلة التي منبعها الإيمان بالله وحده لا شريك له، وحاولوا طرح أفكارٍ ومفاهيمَ بعيدةٍ عن فطرتنا وتعاليم ديننا، فيقولون الطبيعة عوضاً عن الله تعالى، والمسرح عوضاً عن المسجد، ويعتبرون الدين أفيون الشعوب، وينادون بفصل الدين عن الحياة.

= ثم توجه إلى الحاضرين وقال لهم: "أشكر الله الذي منحني الشهادة.. إن دمي سينفجر على الثورة، وسيكون لعنةً عليها". للمزيد راجع: عبد الله العقيل، **أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م، ص٥٢٣.

(١) تفاصيل المسودة التي كتبتها حول أدلة وجود الله آنذاك، موجودة في الملحق الأول بنهاية الكتاب.





وخاطبتُ شباب الأمة قائلاً: لتكن فكرتنا واحدة، وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنما تنجح الفكرة بقوة الإيمان بها، وتوفُّر الإخلاص في سبيلها، وفي تأجُّج الحماسة لها، ويكون الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل من خصائصها؛ لأنَّ أساس الإيمان القلب النقي، وأساس الإخلاص القلب التقي، وأساس الحماسة الشعور الإيماني القوي، وبأن العمل أساسه العزم الفتي.

وإن من شروط بناء العقيدة تحقيق الإيمان بالله وأركان الإيمان الباقية، واليقين التام بأن الإسلام بريء من عوامل العجز والقصور الإنساني، وإن سلامة العقيدة، والحفاظ على الهوية المسلمة والأسرة والمجتمع المسلم، يدعّمان معنى الدعوة ونشر الإيمان والدعوة لعبادة الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

وإنَّ إثباتَ وجود الله هو الطريق الطبيعي للإيمان، والالتزام بأحكام الدين الإسلامي ومبادئه، وذلك من خلال حوار منظم وهادف وحقيقي للخلاص من الأفكار الضالة التي يُصدّرها من يسمون أنفسهم بالملاحدة، وهذا الاسم من الأكذوبات الكبرى في هذا الزمان.

وإن من ذكريات الطفولة حبي لكرة القدم، وشغفي بها، وحضوري لمهرجانات اللعب على كأس المناطق في: بوهديمة، والماجوري، والحدائق، وكانت تعقد بجهود شعبية[١]، وقد كانت الفرق التي تُشكل وتلعب مسماة على أسماء فرق أجنبية كالبرازيل، والأورغواي، والأرجنتين.

(١) بوهديمة، الماجوري، الحدائق الشعبية: أحياء مشهورة تقع وسط وجنوب مدينة بنغازي الليبية.





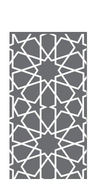


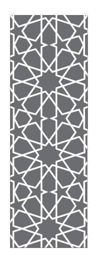
وفي حادثة لا أنساها استطعت مع دخول شهر رمضان أن أقنع الفرق المشاركة في دوري كرة القدم بأن يغيروا أسماء الفرق إلى أسماء المغازي الإسلامية، فصارت أسماؤها القادسية وبدر وأحد واليرموك، وهنا أذكر أنَّ أَحَدَ الإخوة علَّق على ذلك وقال: تريد أن تَدخل الجنة على أكتافنا؟ وقد أشعلت تلك الحادثة في رأسي فكرة شغلتني، وهي: ألا يمكن أن تقوم المؤسسات والنوادي الرياضية على أسس إسلامية وتربية روحية وبدنية لكي يفوزوا بالدنيا والآخرة!؟

وإن من حبي لرياضة كرة القدم أني كنت بارزاً فيها على مستوى فريق منتخب المدرسة الثانوية الناصر صلاح الدين الأيوبي، حتى أني رغبت في الدخول في نادي الأهلي بحكم قربه من بيتنا، ولكن والدي منعني، وكان على قناعة بأن النوادي في ذلك الحين بيئة سيئة أخلاقياً.

اكتسبتُ الشجاعة الأدبية، ونمت مداركي من الأعمال التجارية التي كنت أمارسها في محالِّ جدّي وعمّي، فكنت أجتمع بالصغير والكبير من الرجال والنساء، وكانت المحال التي أعمل بها تبيع الأثاث المنزلي والصالونات والثلاجات والغسالات والتلفزيونات...، ومما يحضرني عن تلك الأيام أني حين كنت أضع شريط القارئ المصري المنشاوي في المحل كان أعمامي يمنعونني من ذلك، ويقولون: إن الزبائن يفرون؛ لأنهم تعودوا على سماع القرآن في أيام الحزن وعزاء الأموات.

في ذلك الوقت كان الناس منهمكين في التجارة والبناء والسياحة والمزارع وجمع الأموال بالطرق المشروعة وغير المشروعة، فلا تجد من يهتم بالإسلام في الاجتماعات العامة، والشباب في المساجد الضخمة تكاد تعدهم على أصابع اليد، فنجدهم في الصيف يسافرون إلى مالطا واليونان وبولندا وغيرها من الدول، ويعيشون مع الصور الخليعة والماجنة، وكان الخمر والحشيش





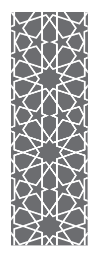


منتشراً في أوساط الشباب إلا من رحم الله، ولا نعمم، فالناس انهمكوا في الشهوات وتَركوا الصلوات وتعاملوا بالربا، ووقعوا في المحرمات، فأهلكوا البلاد وأفسدوا العباد، وتحقق فيهم قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴾[الشورى: ٣٠]، ولا شك بأن نظام القذافي كان من المصائب الكبرى التي وقعت على ليبيا وشعبها.









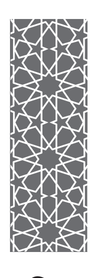
ذكرياتي في الثانوية

ونبدأ على بركة الله من الفصول الدراسية للشهادة الثانوية، حيث أصبحت الفكرة الإسلامية حينها تتضح لديَّ أكثر من قبل، بحيث أصبحت دراسة الكتب الإسلامية جزءاً من وقتي، ومن الكتب الأولى التي شرعت فيها كتاب رياض الصالحين للنووي، والسيرة النبوية لابن هشام، وقوارب النجاة في حياة الدعاة لفتحي يكن، ورسائل الإمام الشهيد حسن البنا، والجهاد في سبيل الله لأبي الأعلى المودودي، وكتب الإمام البنا وسيد قطب، وكتاب زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية، وغيرها...، وكثيراً ما كانت تحدث نقاشات طلابية في فترات استراحة الإفطار، فنترك الإفطار وتتحول الجلسة إلى مناظرة ثم إلى حلقة علمية، وتجد الجميع يستمتعون بما يدور من نقاش.

ومما أتذكره في تلك الأيام أن أستاذاً في اللغة العربية ألقى علينا درساً عن القومية العربية والدعوة إليها، فرددت على الأستاذ بكل أدب، وبينت له أن العرب ما أفلحوا أو سادوا إلا بالإسلام لا بالقومية، وبينت له أن رابطة الإسلام أقدم وأعمق وأعظم رابطة، وبأن نصر الله آتٍ لمن تمسك بدينه، فَشرعَ الطلبة في التصفيق والتشجيع بحماس لما قلته، وهذا مثال على تجاوب الفطرة السليمة مع دعوة الإسلام الربانية.

ومن عجائب القدر أني كنت أدرس في مدرسة صلاح الدين الأيوبي، وكانت فصولها في الطابق العلوي تطل على بيت القذافي في مدينة بنغازي العزيزة، وهذا البيت في معسكر البركة، فإذا أراد أحد الطلبة زيارة العقيد القذافي يأتي يوم الخميس إلى مقر اللجنة الثورية في المدرسة، وكثيراً ما كان القذافي يستقبل طلبة اللجان الثورية في المدرسة، ويمازحهم، ويضحك معهم،





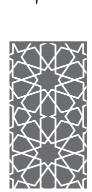


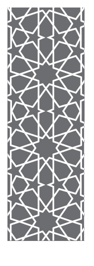
ويسأل عمن غاب منهم، ويعاملهم كأصدقاء وأصحاب، واستطاع بذلك أن يُنمي فلسفته، ويُربي فكرته في الطلبة في تلك المدرسة.

عندما خرجت من السجن وجدت من بين طلبة اللجان الثورية النقيب في الاستخبارات العسكرية مصطفى الفيتوري، والدكتور سالم أرحومة وهو مسؤول في الجامعة العربية الطبية، وفي المجال الاقتصادي علي اللافي، ومنهم أيضاً مختصون في السلاح الجوي والبحري، ورجال يرون أن الموت في سبيل "الثورة الليبية" شهادة، وأصبح منهم المنظِّرون للفكر الجماهيري، وكذلك المشرفون على إعداد معسكرات الشباب العقائدية للتربية على ما كان يسمى "أفكار الثورة"، وأذكر منهم فائز بوجواري.

وقد كان هؤلاء يحرصون على أن يقلدوا القذافي في كل شيء؛ في طريقته بالكلام واللباس والحركات والأفعال، وكان من أوساط هؤلاء مجموعة قليلة اتخذت خاتم النبيين ورسول رب العالمين محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدوة في حياتهم، فأما المجموعة التي رباها القذافي على يديه فكنت تراهم منبوذين ولا قيمة ولا احترام لهم في أوساط الطلبة، وأما أصحاب الدعوة والمقتدون بالرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكانوا محبوبين من قبل غالبية الشباب، وكانوا قلة، وهذا مصداق قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾[مريم: ٩٦].

استمرت المحاضرات والمسابقات الفكرية، وكان إعجاب القذافي بهذه المدرسة يظهر دائماً عندما يصرِّح أو يلمِّح إليها، وقد كلف ضباطاً من لواء الحرس الجمهوري بالإشراف المباشر على المدرسة في الجانب العسكري، إذ كانوا من أصحاب التخصصات العسكرية المتنوعة؛ مثل التاريخ العسكري والجغرافيا العسكرية والقانون العسكري، وأذكر من الضباط محمد هديه





وبوحجر وحمادي وسالم مفتاح والهيبلوا وسليمان محمود، وكانوا من كبار الضباط في لواء الحرس الجمهوري، ولذلك كان لهم تأثير في نفوس الطلبة من الناحية التربوية، وكان هذا هو الهدف؛ أن يحاط الطلبة والشباب برجالات الانقلاب العسكري الذي قاده العقيد معمر القذافي في سبتمبر ١٩٦٩م.

دُرِّب الطلبة على الأسلحة، وفي هذا المجال أتذكر أنه في يوم التدريب على إطلاق الرصاص والقذائف في منطقة الأبيار كانت نسبة إصابة الأهداف ١٠٪ لقذائف الآر بي جي، لكن حين تحدثت الإذاعة المرئية عن ذلك زادوا النسبة إلى ٩٠٪. وكانت الأخبار التي تصل أولاً بأول إلى القذافي تؤكد له أن تجارب التدريب العسكري داخل المدارس الثانوية قد نجحت.

وكنا نشارك في الاستعراضات العسكرية، وأصبحنا كتيبة فنية؛ مستعدة في الظاهر ولكنها في الحقيقة مشدود الخناق على طلبتها؛ وذلك بالفصل من الدراسة وخصم الدرجات إذا تهاونت في تنفيذ المخطط.

وأعلن الإعلام أن مدرسة صلاح الدين في بنغازي، وبعدها بعام مدرسة علي عبد الله وريث من طرابلس، مدارس مثالية نموذجية، وعُممت فكرة التدريب العسكري وإخضاع الطلبة للقوانين العسكرية على جميع المدارس الثانوية في ليبيا.

طلب الذهاب إلى جمهورية تشاد

تجمع الطلبة في صالة الاجتماعات، بعد الإعلان عن اجتماع طارئ وخطير جداً، ليحضر المقدم سليمان محمود، آمر منطقة بنغازي العسكرية، ويقول: إن العقيد القذافي طلب من مدرسة صلاح الدين الذهاب إلى تشاد





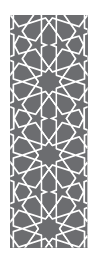



وإلى العاصمة أنجامينا، وإن الأمر قائم على الرغبة لا الإجبار؛ لأن المدرسة كلها ثورية، فهي من ثم ستنشر الفكر الأخضر في تشاد، وقد طلب القذافي معرفة آراء الطلبة.

كان تاريخ البرقية ١١/٨/ ١٩٨٠م، وكانت القوات المسلحة الليبية قد احتلت تشاد احتلالاً شبه كلي، وانشغل الجنود بالأعمال المحرمة وبتدمير القرى بالراجمات، إلا من رحم الله، والحجة في ذلك هو مخافة الخطر الفرنسي وأن يدخل من الخلف، وأن القوات البرية والجوية في تشاد غير مستعدة لمجابهته، بل هي حليفة لفرنسا ضد ليبيا، وبهذه الفكرة ضُحِك على البسطاء، ودخل القذافي تشاد، فدمَّر وأحرق وقتل ونهب خيرات شعب مسلم، ولا شك أن هذا ظلم صارخ لتشاد التي تربطنا بشعبها علاقات تاريخية متجذرة، وروابط الأخوة الإسلامية، وخصوصاً في عهد الحركة السنوسية إذ إنَّ هذا الحقد له علاقة تاريخية أساساً تعود إلى علاقة الشعب الليبي بتشاد زمن الحركة السنوسية، وهنا لا أريد أن أدخل في حرب تشاد في هذه الصفحات؛ لأنها تحتاج إلى بحث مستقل؛ فقد كانت تلك الحرب إحدى كوارث النظام الليبي السابق على الشعبين الليبي والتشادي.

خرج الطلبة المنتسبون في اللجان الثورية يهتفون بحياة القائد المعلِّم المفكِّر، وأنهم على استعدادٍ للموت في سبيل الفكر الأخضر، وحتى في سبيل "مبادئ قائد ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة"! أما بالنسبة لقضية الحلال والحرام، يجوز أو لا يجوز، وما هو الحكم الشرعي من هذه القضية؟ والحرب الطاغوتية الظالمة الباطلة على شعب مسلم أعزل من السلاح، فلا تخطر على بال؛ إذ لا مكان للقيم والأخلاق والدين في تلك الحرب.



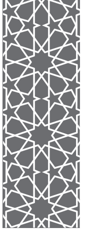


ولما كان الأمر المعروض اختيارياً لا إجبار فيه، خرجت من مكاني في تلك القاعة الممتلئة بالطلبة والمدرسين والجنود والضباط، وأخذت الميكروفون، وقلت الكلمة التي أصبحت حديث الساعة في أوساط العائلات، وكانت سبباً في تعاطف الطلاب معي وخوفهم عليّ.

وكان ذلك الموقف مفتاحاً للقلوب في الدعوة إلى الله وانتشارها في أوساط الطلاب، حيث قلت: "إن كان الذهاب إلى تشاد أمراً عسكرياً فالله غالب، أما إن كان بالرغبة فلا رغبة لديَّ في الذهاب إلى تشاد"، فصاح بي مدير المدرسة عبد العزيز راشد، الذي كان ناصرياً اشتراكياً ثم أصبح ثورياً قذافياً، وقال: "اخرج من الصالة يا رجعيّ"، لكن سليمان محمود تدارك الموقف وقال: "لا داعي لذلك، ادخل، ما اسمك؟"، ومن ثم عمَّموا الاسم على الأجهزة الأمنية في البلاد، وما كان أحد يتوقع أن تصدر تلك الكلمة من مدرسة مثل مدرسة صلاح الدين، لكن من قرأ القرآن وحفظ قول الله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ﴾[غافر: ٤١]، فهذا الموقف بالنسبة إليه هين بسيط، وحماس الشباب له دوره، والشعور بلذة الإيمان وعزَّته أيضاً له دوره، فقد كنت سعيداً بذلك الموقف في قرارة نفسي، وقد استقرت في قلبي عقيدة القضاء والقدر، وهذا من فضل الله عليّ، قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[يونس: ١٠٧].

إن البلد المكبلة بالقيود والسلاسل، والمحكومة بالحديد والنار، يسري مثلُ هذا الموقف في أرجائها كما يسري الضياء في الظلام، وقد أعجب الموقف الضباط الكبار في الصالونات والاجتماعات، وأما الطلبة فسيطر عليهم الخوف على مستقبلي ومصيري، وأما اللجان الثورية فطالبت بمحاكمتي ومعرفة









الأسباب التي دفعتني لأن أقول ذلك، وأما والدِي فكان من المشجعين لي على هذا الموقف، ووالدتي كانت تختلط عليها المشاعر ما بين عاطفة الأمومة والخوف على مستقبلي، وفي الوقت نفسه كانت ترى أنه يجب على الجميع أن يرفضوا الذهاب إلى تشاد.

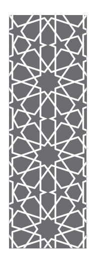
وبدأت المضايقة من اللجان الثورية، وكان من طبعي حبُّ المواجهة، فلم أكن أخاف منهم، وهذا من فضل الله.

أما بالنسبة للفصول الدراسية بعد تلك البرقية فقد أصبحت خاوية على عروشها عدة أسابيع، وكان ذلك رفضاً عملياً غير متوقع، وذلك ما استدعى من النظام أن يستعمل ورقة أخرى، وهي خروج الطلبة لمعسكر خارجي لمدة أسبوعين في منطقة الكُفرة، وأرسلت المدرسة لجنة للتحقيق في ذلك، وكان الهدف من المعسكر إيقاع الطلبة في الفخ المنصوب وأن يتنازل كثير منهم عن موقفه، فكان الخوف على الدرجات والنجاح في الشهادة الثانوية العامة، هو الذي جعلهم مستجيبين للسلطة.

من لونٍ إلى نقيضه...!

هزة عنيفة أراد الله بها خيراً كثيراً، فقد خرجنا في سبيل الشهادة الثانوية لا الشهادة في سبيل الله، وانتقلنا بذلك من حياة المدينة المنعمة إلى حياة المعاناة في الصحراء الكبرى، ومن الليونة والأجواء المنعشة إلى الخشونة ولفح الرياح المحملة بالأتربة، والبرد القارس والزمهرير، وبهذا ظهر السخط والشغب على النظام..! نُقِلْنا إلى مدينة الكُفرة في أقصى الجنوب الشرقي، ووضعنا في أحد معسكراتها، ومما أذكره أن الدكتور محمد ساسي الدرسي كان من ضمن الطلاب في المعسكر.





حدثت في تلك الفترة ثورة طلابية عامة، كانت ثورة ساخطة ورافضة للوضع المتردي، وتساقط عدد من الإخوة نتيجة الأمراض وتغيّر الأجواء، وفي الليلة الأولى كان عددهم أكثر من خمسة عشر أخاً، وكنت أساعد في حملهم إلى سيارة الإسعاف، وما تركت مريضاً إلا وكنت بجانبه، فنشأت صداقات متينة مع الإخوة في تلك المحنة؛ ومما أذكره أن الدكتور محمد ساسي عندما مرض وقفت بجانبه فكان ذلك سبباً في توطيد روابط المودّة بيننا، فكان دائم السؤال عني أيام دخولي السجن، وكانت والدتي تقول: "محمد لا ينسى العشرة"، وهو من الشباب الصالحين الذين نأمل أن يجري الله على أيديهم الخير الكثير، وأصبح فيما بعد من كبار الأطباء في بريطانيا.

غمامة المعسكر.. ووداع حياة المدينة!

وصل القذافي إلى المعسكر، وأدلى بخطابه الذي بيَّن فيه أن الاستقرار هاهنا، فلا رجوع إلى المدينة، وذلك في سبيل التربية على الخشونة والشدة، وواجب علينا كذلك أن نتحمل الجوع والتوبيخ فهو نوع من التدريب.

وانتشر الحرس بين الطلبة خوفاً من حدوث أي طارئ، كما حضر قبل مجيئه ثلة من الرجال المحمّلين بأجهزة خاصة لاستكشاف المتفجرات والقنابل، وكان دخوله إلى المبنى بطريقة فجائية وأمنية، مصحوباً بعدد كبير من السيارات فلا تعرف في أي سيارة هو.

تبعثرت آمال الطلاب في العودة، وخيمت فوقهم غمامة من الوجع النفسي قبل الجسدي، فشُحذت بذلك أفكارهم وعقولهم، ووُلِدت حينها قصائد رائعة، ولكن القليل منهم فقط هتف بحياة ما يسمونه القائد والثورة، بعدها عاد الطلبة إلى مساكنهم مهمومين منكوبين تعيسين، وكان ذلك بالمقابل انتصاراً بالنسبة







للمعارضة وكسباً للرأي العام لمصلحتها، فإن مصائب قوم عند قوم فوائد[1]، وربَّ ضارة نافعة[2].

مواقف لا تنسى من تجربتي في المعسكر

- بناء مسجد يذكر فيه اسم الله

لم يكن في المعسكر مسجد، وما كان هذا الأمر بذي أهمية لدى القيادة العسكرية، فاتفقت أنا ومجموعة من الطلبة؛ الإخوة فتحي الشبرقي ومالك النوال وعبد السلام الصاوي، على اختيار مكان للمسجد، فعَيَّنَّاه ثم وضّحناه بعلامة تدل عليه، ووضع في المدخل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة: ١٨]، وبدأ التجمع للصلاة، ولم يكن عدد المصلين يتجاوز ٢٥٪ من عدد الطلبة، إذ منهم من ترك الصلاة.

ودخل أحد الإخوة الأفاضل للأذان في مقر اللجان الثورية، حيث ميكرفون المعسكر، وأذّن للعشاء بنداء الحق، واخترق الأذان وسط الصحراء الكبرى وفلواتها، واطمأنت النفس بفطرتها لهذا النداء؛ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

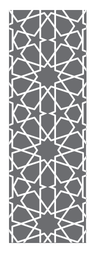
- نقاش في الدين مع ضباط المعسكر

قال لنا الضابط زكي بوكر، ونحن في المسجد: "لا داعي لصلاة الجماعة.. المهم أن الإنسان يصلي"، فأجابه الطالب زكريا التمساح الغدامسي:

(١) مثل عربي مشهور، وهو الشطر الثاني من بيت شعري للشاعر المتنبي:
بِـذا قَضَت الأيّـامُ بَينَ أهلِها ... مَـصـائِـبُ قَـومٍ عِـنـدَ قَـومٍ فَـوائِـدُ

(٢) ربَّ ضارة نافعة: مثل عربي مشهور، ويضرب عندما تمر على شخص ما ظروف سيئة خلال حياته لكنها تعود بالنفع عليه.





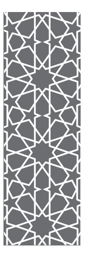
"لكن الله تعالى حثّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الجماعة أثناء المعركة في سورة النساء فقال: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[النساء: ١٠٢]"، فأقام عليه الحجة، وسكت.

- حوار ديني مع آمر المنطقة العسكرية

دخلتُ مع الإخوة على المقدم الريفي في بهو الجنود والضباط في المعسكر، وكان الحوار مفتوحاً، فسألته: "أيهما أفضل في المعسكرات؛ إقامة صالونات فاخرة كهذه أم إقامة مسجد يُذكر فيه اسم الله؟!"، فأجاب: "كلها سواء... صلِّ في الخارج.. في الداخل.. الدين يُسر"، فقال أحد الطلب -لا أتذكر اسمه إلا أنه من عائلة زموت وقد عمل بعد تلك الفترة ضابطاً-: "لكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول أمر فعله عند دخوله المدينة أنه أسس مسجد قباء، أليس الاقتداء بالرسول واجباً!؟"، فتدارك المقدم الأمر وقال: "شككتموني في ديني، ولا أسمح بهذا الحوار بعد هذه المرة، وإلا فسأعتبره تمرداً عسكرياً"!

وكان لنا لقاء آخر مع هذا الضابط، عندما أصبح رئيساً للمحكمة العسكرية الدائمة، التي جرت أحداثها في شهر فبراير عام ١٩٨٤م، وقد أتى بعد دخولي السجن بـثلاث سنوات من التوقيف.





الكُفرة.. معادن الرجال تُعرف عند المحن والمُلِمَّات

كان الجو شتاءً، والريح تصفر، والأسنان تصطك مرتجفة، والبرد يبسط رداءه على الجبال السوداء في الكُفرة حين وصولنا، وقد ازداد الأمر تعقيداً عندما تأخّرت أمتعة بعض الإخوة، التي كان من بينها (البطانيات)، فارتأيت أن نقسم ما وصل منها بين الطلبة، فمن يملك أربعاً يعطي أخاه اثنتين، لكن بعض الإخوة امتنعوا ولم يقبلوا بذلك، وكان من بينهم من أصبح ضابطاً في السلاح البحري، وبالمقابل آثر بعض الإخوة إخوانهم وأعطوهم ما لديهم بطيب نفس، فكان الموقف امتحاناً عسيراً على الضمائر، فقد كنا نخلد إلى النوم بالمعطف العسكري (الكبوط) والحذاء و(البطاطين)، ورغم ذلك نشعر بالبرد يقض مضاجعنا.

أخوّة الدين.. تتخطى الاختلاف الفكري

كان مدير مدرسة الناصر صلاح الدين، عبد العزيز راشد، مريضاً طريح الفراش، وكان معنا في الكُفرة، فطلب مني الأخ عبد الله بعيرة زيارته حتى يتبيّن لعبد العزيز أخلاق المسلمين المؤمنين، وروح الأخوة بينهم، وعيادتهم المريض منهم، فلعل ذلك يؤثر في نفسه، فامتنعت بداية الأمر خشية أن يظنَّ بي أني أريد التقرب منه أو التملق إليه، وقد كانت عداوتنا فكرية لا شخصية، حتى إنه قال في شخصي ذات يوم: "أعجبتني شجاعة فلان الأدبية، وأتمنى أن يكون عند الطلبة شجاعة مثلها"، وفي مرة أخرى تحدث إلى الطلبة وقال: "إنكم في عصر الحرية وإبداء الرأي، وهذا الطالب رفض أمامكم، ورغم ذلك لا يزال معكم، وكنتم تظنون أنه سيُزج به في السجن...!".





اقتنعت بفكرة الأخ عبد الله، وذهبت إليه في فراش المرض، ولم تكن غريبة دهشته لقدومي، فوسّع لي المجلس وأجلسني بجانبه، وشرعنا في الحديث والمؤانسة والضحك، وحدّثته بأن المرض تكفير للذنوب ونعمة من الله على العبد، فهل تأثّر بذلك ووعاه أو لا؟ الله أعلم.

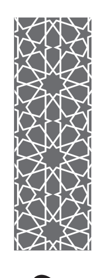
كانت تلك الزيارة ذات ثمار طيبة، وتبيَّن لي خلالها أن الأمر أصبح واقعاً، وليس للطلبة إلا أن يصبروا حتى يحصلوا على الشهادة الثانوية، وطلب مني أن أتعاون معه على إنجاح التجربة، فوافقت، وأضمرت في نفسي التعاون معهم في المسائل التي فيها فائدة للطلبة، أما غيرها من اجتماعات ونحوها فلا..

بالقانون والعُرف لا.. ولكن بالإسلام نعم

تدهورت العلاقة بين الطلبة والقيادة في المعسكر، فانعدمت الثقة بين الطرفين، وما فتئت تسوء يوماً بعد آخر، وكان عبد العزيز راشد يجعلني حبل الصلة، فكان يبحث عني في كثير من الأحيان من أجل الإصلاح بين المتخاصمين؛ وفي الحقيقة لم يكن الطلبة ليحترموني لولا أني مسلم ملتزم، صاحب مبدأ وموقف واضح في أذهانهم، وقد أصبحوا الآن في وسط الصحراء، وفي أحد المعسكرات يدرسون الثانوية العامة مع تدريبات عسكرية شاقة لم يتعودوا عليها، فخيم البؤس والكآبة وضيق النفس، وانعكس ذلك من ثم على سلوك الطلبة.

وذات مرة احتاجت الإدارة المدرسية إلى طلاب ماهرين في الحاسب من أجل طباعة المذكرات المدرسية، فامتنع الطلبة عن تلبية الحاجة، فطلب مني عبد العزيز راشد أن أُحضر له طالبين، فأحضرت له أربعة بفضل المولى!





وفي إحدى المرات أحضرت الإدارة المدرسية مواشي للمعسكر في فترة الامتحانات، واحتاجوا إلى من يذبحها، فطلب مني عبد العزيز راشد إحضار خمسة طلاب لذبحها، فأحضرت له (٣٠) طالباً.

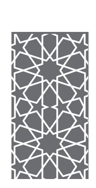
وظهرت أيضاً مشكلة الحِفاظ على نظافة المعسكر، فلم يهتم بها أحد، فحاول الضباط بالأمر والشدة والعنف ولكنهم فشلوا في ذلك، فأشار أحد الطلبة بتحويلها إليّ، وتوسم أن النجاح مؤكد، فقبلت ذلك على شرط توفير الأدوات والمعدات، وعندما أحضروها اتصلت بالإخوة، وباشرنا العمل والتنظيف حتى فاحت الروائح الطيبة تملأ الأجواء، وتبخترت الخطوط الجميلة للآيات والشعارات مزيِّنة مداخل وجدران العنابر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر: ١].. ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر: ٤]، و"النظافة من الإيمان"، فأخذت النظافة بذلك حلة إسلامية بارزة وواضحة في المعسكر.

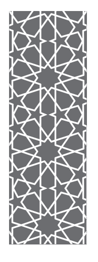
نعمة الإسلام هي كل شيء

كان للملازم زاكي جلسات خاصة بأولاد العائلات على الآلات الموسيقية والغناء، وكنت بطبعي وثقافتي الإسلامية لا أحضرها، ولا أعطي أدنى اهتمام لها، فتضايق من ذلك وسألني عن السبب، فأجبته: "لا وقت فراغ لدي، وإني أشعر بنعمة الإسلام التي تعطي المسلم استعلاءً على هذه التفاهات التي يراها غيره هدفاً".

بين التربية الإسلامية المحمدية والقوانين العسكرية

حصلت على تقارير طبية، بسبب حالتي الصحية، تعفيني من الحضور إلى الطوابير العسكرية، فأرسل إلي أحد الضباط للحضور إليه، وكان مُصِرّاً على ذلك،





سواء بالإقناع أو بالقوة، فحضرت إلى الساحة، وكان ضابط الصف في الحجرة مع الضابط زاكي، وكنت بمفردي، فواجهني بقوله: "إن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ، وهناك طلبة مهتمون بالصلاة ولا نراهم في ميدان الشرف ولا يعملون بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]، فشرعت أنا بالحديث عن الآية التي ذكرها، مبيناً لهم كيف أنهم تركوا التربية المحمدية الإسلامية، مطبقين علينا نحن أبناء الإسلام قوانين فريدريك الثاني ونابليون بونابرت[١]، واتخاذهم السجن والضرب والتوبيخ لغةً يُصفّون بها حساباتهم، وتركهم الجانب المعنوي واهتمامهم بالجانب المادي فقط؛ فتأثر الجنود، وخشي الضابط على جنوده من الفتنة، فأخذ يخفف من حدة الحديث، وبدأ يستعطفني، وكنت بالمقابل منفعلاً متحمساً للحديث، والدموع شقّت مجراها على خدّي، وما استطعت إمساكها. نعم، صدق رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: «فإن لصاحب الحق مقالاً»[٢].

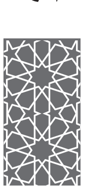
مواقف مع الجنود

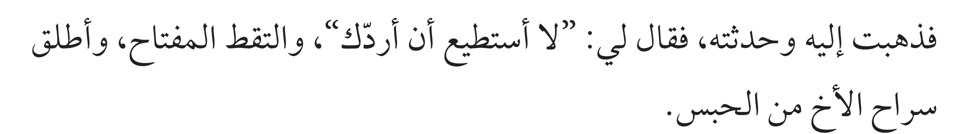
لم أكن أحتك بالجنود مباشرة، وكان جُلُّ ما يعرفونه عني أني متدين، وقد كان في المعسكر سجن صغير، وحدث ذات مرة أن طالباً تخاصم مع أحد الجنود فرُمي به في السجن، فأتاني أصدقاؤه لعلي أشفع له عند الجندي،

---

(١) **فريدريك الثاني** (١١٩٤ - ١٢٥٠م): إمبراطور روماني مقدس. **نابليون بونابرت الأول** (١٧٦٩- ١٨٢١م): قائد عسكري وحاكم وسياسي وإمبراطور الفرنسيين.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب استقراض الإبل، جزء من الحديث رقم (٢٢٦٠).





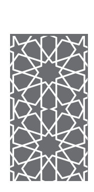
فذهبت إليه وحدثته، فقال لي: "لا أستطيع أن أردّك"، والتقط المفتاح، وأطلق سراح الأخ من الحبس.

أما عن رئيس عرفاء الوحدة، الضابط حمادي، فكثيراً ما كان يتعاطف معنا ويشاركنا ويساندنا على قدر الاستطاعة، كما كان يمحو غياب الإخوة كي لا يتسبب في أذيتهم، وكنت ألتمس فيه العطش الروحي والبحث الدائم عن كلمة أو درس يروي هذا الظمأ.

ومن المعادن النفيسة في صفّ الجنود جندي اسمه المهدي بهيج، تعلّق بنا كثيراً، وأصبحنا نعدّه أخاً لنا، وكان يتحيّن الفرص للحضور معنا والانضمام إلى مجالسنا والاستفادة منها، كما أنه كان الوحيد الذي يحافظ على صلاة الفجر بين الجنود، فكان نعم الرجل، ذا أصل طيب وفطرة سليمة. وسمعت بعد خروجي من السجن أنه كان من كبار دعاة التبليغ، وله أثر عميق في نفوس الجنود والطلبة.

اللجان الثورية.. استقطابات سياسية نشطة على ساحة الكُفرة

جلست مع الحركة الوطنية التي طرحت عليّ أفكارها، وعرضت عليّ الانضمام لها، ولهذا حديث مفصّل سنتطرق إليه عند حديثنا عن السجن، فقد كانت الحركة سبباً من أسباب دخولي إليه؛ وقبل ذلك كان حزب التحرير الإسلامي مهتماً بتجنيد الطلبة في صفوفه وبشكل كبير، وتشرّب بعض الطلبة أفكار الإخوان المسلمين القدامى الذين استضافوا الإخوة من مصر في محنتهم عند فرارهم من جمال عبد الناصر، وآمنوا بها، ولم يكونوا غافلين بل حذرين جداً مع نشاط مؤثر في بعض الأوساط الشبابية، ومن أشهرهم الحاج صالح الغول والصالحين بن سعود ومحمد الشيخ، وغيرهم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ.



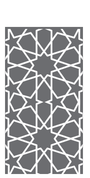


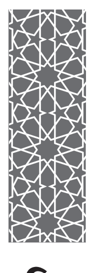
شاء الله أن أقف على منبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خطيباً، وتيسرت لذلك الأسباب، ففي يوم الجمعة وقف بنا أحد مدرسي اللغة العربية من سورية خطيباً، وكان حديثه يدور عن المولد النبوي، وإذ بآلة التصوير التابعة للإذاعة تدخل إلى المسجد، فغير الخطيب مجرى الخطبة مادحاً ومبجلاً بـ"الثورة"، وأننا هنا مجاهدون ومرابطون في سبيل الله، فاشتمَّ الجميع رائحة النفاق، فجمعته بالطلبة بعد الخطبة وقلت له: "أي رباط هذا الذي توهمنا به رغم أن أكثر من ٧٥٪ من الطلبة لا يصلون!؟"، وأقمت الحجة عليه بأنه ليس أهلاً للخطابة، فتنازل عن المنبر أمام الطلبة، وأُسقط في أيدينا، فقد أصبح شغلنا الشاغل من يكون خطيب الجمعة القادمة؟ ولم أفكر مطلقاً بأن أكون الشخص الذي سيخطب؛ نتيجة لثقل واضح في لساني، وحرف الراء خاصة، فتناقشنا في الأمر ووقع الاختيار على الطلبة الذين مارسوا الخطابة في الإذاعة المدرسية، لكونهم أهلاً لها، ومنهم الدكتور محمد سعد في ما بعد.

ولما عرضنا الأمر عليهم رفضوا؛ خوفاً من أن توجّه إليهم أصابع الاتهام، وبأنهم من الإخوان أو التحرير أو الحزبية، ودهشت لهذا الردّ، فلم أتصور أن أحدهم سيفكر في الأمر ويخشاه إلى هذا الحد! وهكذا لم نجد من يبادر للخطابة، ولا سيما بعد اتفاقنا واجتماعنا على أن الخطيب السابق قد وقع في النفاق، وانطبق عليه قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثلاثةٌ لا ترفعُ صلاتُهم فوقَ رؤوسِهم شبراً: رجلٌ أَمَّ قوماً وهُمْ لهُ كَارهُونَ،...»[1].

---

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،كتاب الصلاة، صفة الصلاة، باب ما جاء فيمن أَمَّ قوماً وهم له كارهون، حديث رقم (٣٦٠).







وقبل موعد صلاة الجمعة بساعة اخترقت قلبي إرادة ربانية عظيمة، بأنه لا بدَّ لي أن أخطب، فوجدت كتاباً معداً لذلك أرسله لي الأستاذ عبد الله خلف الله، وهو أستاذ مادة الأحياء من السودان الشقيق، وكان رجلاً صالحاً داعياً إلى الله عَزَّوَجَلَّ، فتقدمت، ولم أتجاوز الـ١٧ من عمري، وخطبت في الجنود والضباط والمدرسين والطلبة عن صلاة الجماعة، وأنكرت على المدرسين وعلى الطلبة عدم صلاتهم في المسجد، فكانت تلك الخطبة اليتيمة، التي حضرها الأعداء والأصدقاء بين الطلبة والمدرسين، حديث الجميع، فمنهم من زادت مودته ومتانة عُرى أخوته، ومنهم من ازداد عداوة وبُغضاً ونفوراً.

في الحقيقة كنت مرتبكاً جداً، وأثر ذلك كان ظاهراً في حمرة وجهي واهتزاز الأوراق بين يدي، إلا أنها كانت تجربة فريدة من نوعها خصوصاً في الفترة التي كان فيها عدد مرتادي المسجد من الشباب لا يتجاوز عدد أصابع اليد، وبعد تلك الخطبة تضاعف عدد المصلين أضعافاً كثيرة، وزاد عددهم زيادة غير مسبوقة، ويبدو أن ما يخرج من القلب يقع في القلب، بعيداً عن الفصاحة والبيان والمعاني وفنون الخطابة وأساليبها المتنوعة، مما درسناه فيما بعد.

اختياري إماماً للمسجد

عُقد اجتماع بين الطلبة -كنت غائباً عنه- واتفقوا على اختياري إماماً للمسجد، لكوني أحفظَهم لكتاب الله، إذ كان أكثر حفاظ مدرستنا الثانوية يحفظ حوالي خمسة أجزاء، وأما أحكام التجويد فـ"حفظ على البركة"، وأخذ عدد المصلين بعد هذا القرار في التزايد الملحوظ.





المؤتمر الطلابي... أقلام تهوى الحرية في التعبير

بعد عودتنا إلى بنغازي في الإجازة نصف السنوية، صدرت نتائج الفترة الأولى، وكنت من المتفوقين بفضلٍ من الله، وعقد مؤتمر طلابي من أجل ترشيح أعضاء جدد لعام ١٩٨٠-١٩٨١م، وقد فُزت فيه بالاجماع، فأصبحت بذلك عضواً في المؤتمر الذي حاولوا أن يُبعدوني عنه، ولكن طبيعة التحدي أبت ذلك؛ وعزمت على إخراج مجلة إسلامية باسم المؤتمر الطلابي، فرسمنا خطة عمل في بنغازي واستطعنا بعون الله تنفيذها بإحكام في الكُفرة، وأشركنا فيها مجموعة من الطلبة حتى تتوسع القاعدة، وكان عنوان المجلة: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة:٧٤]. وكانت المجلة تنضح بالنقد لنظام المعسكر والدولة بأسلوب تلميحي، إلا أنها لم تخلُ أيضاً من النقد اللاذع.

ومما أذكره مقالة في إحدى نشراتها تحت عنوان "غزوة بدر"، حيث كانت رداً على من دعا فرقة بنغازي للفنون الشعبية، التي كان من بين أعضائها نساء، لإحياء إحدى الليالي، وحدث فيها فتنة سلّمنا الله منها، وكان مما ورد في المقالة: "يا سادة يا كرام، يا من تزعمون بأن الغرض من إحضارنا إلى هنا هو دفع عجلة الجهاد للأمام، فهل إحضار فرقة بنغازي للفنون الشعبية يقدم أو يؤخر من عجلة الجهاد!؟ أما كان الأَولى بكم أن تأتونا بعالمٍ يُبين لنا أحكام الجهاد، ويوضح لنا من هم أصحاب رسول الله، وكيف كانوا!؟".

أصداء المجلة

أعلن أستاذ اللغة العربية في المدرسة تخليه التام عن المسؤولية عن هذه المجلة، ووصل الأمر إلى سحب أعداد منها، وامتنعوا عن توزيعها، وحمَلوها للأجهزة الأمنية، ووجدت خيرها أمامي في التحقيق بعد القبض عليّ.









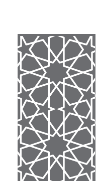
الجزاء من جنس العمل

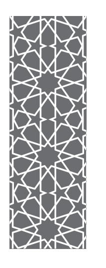
أصبحت مذاكرة الدروس والدعوة صنوان، وكان قسطي من النوم لا يتجاوز أربع ساعات أو خمساً، والله هو الموفق لما يحبه ويرضاه، وهو الذي طمأن عباده بقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[النحل: ٩٧]، فتحصلت على درجات عالية، وكانت النتيجة النهائية لمجموع الفترتين أن كنت من أوائل طلاب المدرسة، وكل ذلك قبل الرجوع إلى بنغازي.

مفاجأة... المدرسة كلها ثورية

في أحد الاجتماعات المستمرة للجان الثورية، قدم عبد العزيز راشد اقتراحاً وهو: "إن أرادوا أن تكون المدرسة كلها ثورية، فعليهم بإدخال فلان في اللجان الثورية"، يقصدونني. فجاؤوا إليَّ وعرضوا عليّ الانضمام...! فتبادر إلى ذهني أن الإخوة في اللجان الثورية غير ملتزمين بالدين، فاعتذرت بذوق، ورفضت هذا العرض.

ولم تكن اللجان الثورية من بين صفوف المصلين، لكنهم اقتنعوا بالصلاة فباشروا بتأديتها، فتوجّس الشباب منهم خيفة أن يكون هدفهم التجسس، بيد أني لم أكن أهتم بذلك، فقناعتي راسخة بالجهر بالحديث عن الإسلام بعكس الجانب التنظيمي الذي يتصف بالسريّة، ولم أكن منظماً أصلاً، فهذا مما خفف عليّ أعباء المسؤولية، فنحن في مرحلة التعريف بالإسلام لا مرحلة التكوين، فوجب الجهر في كلّ الأوساط وأمام جميع الأصناف، وكنت ثابتاً على موقفي في الرفض؛ خشيةً على الدعوة، فمن أسباب استجابة الشباب لها هو أني معارض للسلطة، مما يقتضي التعاطف والاستجابة لدعوة الله.





لحظات حزينة فاجِعَة

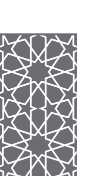
لم يطل الردّ كثيراً، إذ سرعان ما فُوجئت بخصم جائر في درجاتي وقد وصل إلى أكثر من ١٠٠ درجة!

فانهارت أعصابي وانفجر غضبي بكاءً من هذا الظلم الذي صبوه عليّ، وانتشر الخبر في الميدان الدراسي بين الطلبة والمدرسين، والتقيت الأستاذ عبد الله خلف الله، من السودان، فواساني قائلاً: "فيها البركة إن شاء الله"، وكانت عودتي إلى المنزل بائسة يائسة حزينة ملؤها الكدر والهم، وتشكلت داخلي عقدة العناد، فقررت عدم الدخول في الامتحانات النهائية.

لكنَّ الله بعث لي عمّي عمر محمد الصلابي ليومض لي ما خِلْتُه انطفأ، فهمس لي في روحي، وقال: "إن طريق الحق باهظ الثمن، وما دفعته زهيد جداً أمام ثمنه، وعليك أن تستعدّ لدفع الغالي والنفيس"، فأوقدت هذه الكلمات شرارة التحدّي في روحي، فاشتعلت، ودخلتُ الامتحانات، وبارك الله فيها، واستطعت بها دخول كليّة الهندسة، وكانت الشهادة الثانوية في امتحاناتها النهائية غير خاضعة لمدرسة الناصر صلاح الدين وفريقها الإداري.

مكيدة فاشلة من اللجان الثورية

كادت لي اللجان الثورية مكيدة سلّمني الله منها، فقد قرروا القبض عليّ أثناء الامتحانات النهائية، وحملي إلى سجن ٧ إبريل للتعذيب، ومن ثمّ تكون النتيجة بطبيعة الحال هي السقوط في العام الدراسي، وبالفعل نفّذوا مخططهم الشيطاني وقبضوا على أحمد البرعصي الذي اضطر إلى إعادة السنة من جديد بفعلتهم هذه، لكنّ الله أعماهم عني وتجاوزت فترة الامتحانات؛ ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٦٤]، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾[فاطر: ٤٣].







تسلل نسائم الدعوة من واحات الكُفرة إلى مدينتي العزيزة بنغازي

عدنا أخيراً إلى بنغازي، وتهافت الطلبة لسرد الحكايات التي كتبوها بأنفسهم خلال تجربتهم المدرسية في الكُفرة من خطب وصلوات وأحداث في وقتها....

وكان طبيعياً في تلك الأيام السعيدة أني -في بعض الأحيان- حين أزور الإخوة في بيوتهم أُسلّم على آبائهم ويعرفون بي على أنني إمام الطلبة؛ فيفرحون كثيراً، ويحثّون أبناءهم على صحبتي....

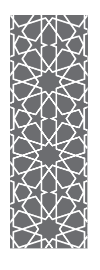
وأجلّ ما في الأمر وأجمله أنّ كثيراً من الطلبة استشعروا مسؤوليتهم تجاه الدعوة وواجب القيام بها، ووعوا جيداً قول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

أجواء الرياضة في الكُفرة

كانت الروح الرياضية ترفرف بجناحيها في أفئدة الطلبة، وانعقدت دوريات رياضية شاركتُ في أحدها، ومن اللطيف الذي يجول في ذاكرتي الآن هو أنّ جمهور معسكر الكُفرة كان إذا رآني مسست الكرة علا هتافهم منادياً: (باسم الله)، حتى إذا ضربتها قالوا: (الله أكبر)، وإذا اقترب أذان المغرب صاحوا (الصلاة)، وحينها أقترب من الحَكَم أستأذنه حتى أخرج استعداداً للصلاة.

وفي أحد الأيام أقيم سباق مسير يصل طوله إلى ٢٢ كيلومتراً ذهاباً وإياباً، فأخذنا بالعدو سريعاً حتى وصلنا إلى الصفوف الأولى، وكان ذلك في الثانية عشرة ظهراً، أما المتأخرون فقد وصلوا في الرابعة مساءً.





لقد كانت أياماً جميلة وأحداثاً مميّزة، كتبت بماءِ الذهب في ذاكرتي.

وكنت وما زلت أعشق الرياضة، لاعباً بكرة القدم، وأحافظ على التمارين والمشي على الأقدام، وأُذكر نفسي ومن حولي باستحضار نية التقوي على طاعة الله حتى يثاب العبد وهو يمارس الرياضة من خالقه العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

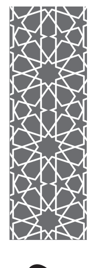
ولا أذكر أنني تركت الرياضة في حياتي ما دامت هناك فرصة لذلك، ومع مرور السنين وتطاول الأيام وجدت لذة وراحة في الحفاظ على المشي مع الأوراد من تسابيح: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، والصلاة الإبراهيمية، والاستغفار، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ودعاء يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]، وغير ذلك من الأذكار، أو قراءة القرآن الكريم، أو الاستماع إليه من أمثال المنشاوي وعلي الحذيفي وقُرَّاء الأمة العظماء، أو الاستماع إلى المحاضرات الدينية للعلماء والمشايخ، وفي هذه الأيام أستمع كثيراً لخواطر في تفسير القرآن الكريم لفضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

سحر الطبيعة في منطقة الكُفرة

كثيراً ما يُسحر الإنسان بلوحات طبيعية جميلة، تسكن ذاكرته ولا تغادرها أبداً في هذا الكون الفسيح الرائع الجميل، الذي يذكرنا بالخالق العظيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومما في جعبتي في هذا الميدان:

– في ذات يوم ارتدى المساء عباءته السوداء، وتناثرت النجوم في الجانب الجنوبي، وتدلّت حتى كأنها تتساقط من السماء، في حين كان الأفق الشمالي





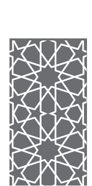


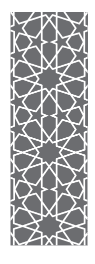

خالياً منها تماماً، وكانت السماء كثوب مذهل أنيق ذي رونق بديع حاكته أصابع الطبيعة التي أبدعها خالقها، وكنت دائماً ما أذكر للإخوة هذا المنظر الذي تجلّى فيه أمامي قول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴾[الفرقان: ٦١].

- في مكان جميل مثل الكُفرة، بعيداً عن صخب المدينة، وعوادم السيارات، وضجيج الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، يعلو القمر قبة السماء بأنواره، ويزداد توهجاً ونضارةً، فكانت حفلة التتويج هذه تأسرني، وأظل متأملاً لتفاصيلها. ومن الطريف أني ذات يوم أطلت التحديق في القمر حتى ظنّ بعضهم أني مذنب عاقبني ضابط الخفر، إذ كان يجبر المذنب على الوقوف طويلاً.

ويا لها من تأملات وتفكر وتدبر في آيات الكون المنظور وربطها بآيات الذكر الحكيم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[يونس: ٥].

- أما الجبال الشامخات، فكانت عباءةَ الصحراء البهية، إذ كان منها البيضاء والسوداء والحمراء والخضراء، فضلاً عن ألوان الرمال، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾[فاطر: ٢٧]، وهنا انبثق وميض جديد لإبداع الطلبة، الذين انطلقوا يأخذون من تلك الجبال حجارة يصنعون منها تحفاً وهدايا، وأذكر أنّ أحد الإخوة -نحسبه شهيداً إن شاء الله- أهدى إليّ بعض التُّحف التي أعتقد أنها ما زالت في منزلنا، بل إن بعض الطلبة عكفوا على دراسة الأحجار الرسوبية والصخرية وغيرها، حتى أثبتوا أنّ المياه كانت تغمرها في الأزمنة البعيدة بالرغم من بعدها عن البحر المتوسّط بأكثر من ألف كيلومتر.





- أحببت الصحراء والمسجد والطلبة إلى درجة كبيرة جعلتني أمتنع عن زيارة المدينة، وأحببت المكوث هناك لتلاوة القرآن، وإعداد الخطب، والدعوة إلى الله.

شعبية كبيرة في ختام السنة

أقيم احتفال في نهاية العام الدراسي، ولا أنسى تلك اللحظات الجميلة حين وصل القارئ إلى ذكر اسمي، وشرعت القاعة بالتصفيق حتى خرجت من القاعة، فأثرت اهتمام الضباط من لواء الحرس ومعهم الضيوف والمحاضرون، بل حتى عبد العزيز راشد قال لي: أصبحت لك شعبية ضخمة!

اليُسر في العسر (عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم)

كان آمر المعسكر في تلك الفترة شخصاً اسمه "موسى العوامي"، واعتدنا على تسميته فيما بيننا بـ"موسى الإرهابي"؛ لشدّته وبطشه وظلمه، فهذا الرجل كان يتفنن في إنزال العقوبات بالطلبة؛ من سَجنٍ وضرب وحَلقٍ للرأس.

وفي ذات يومٍ، تأخّر كثيرٌ من الطلبة عن التجمّع الصباحي، فأصدر موسى أمراً عسكرياً لبعض الطلبة كي تُنصب الفلقات، ويضرب الطلابُ طلاباً آخرين، فحدثت فتنة بينهم وصلت إلى درجة البكاء وبدأت البغضاء بيننا، وهذا هو الهدف؛ (فرّق تسد).

كنت في ذلك الوقت عند بوّابة المعسكر في حجرة أجلس ماسكاً القرآن وأحفظ سورة الكهف، وحين عدت وصلتني أنباء ما حدث، فأعددت خطبة ليوم الجمعة القادم عن الظلم؛ موضّحاً أن الظلم ظلمات يوم القيامة، ومستشهداً







بآيات وأحاديث كان منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾[إبراهيم: ٤٢ - ٤٣]. وقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من ضرب سوطاً ظلماً اقتُصّ منه يوم القيامة»[1]، وتوجهت إلى الطلبة واعظاً: "لا تضرب أخاك بحجّة أنّه أمر عسكري"، وليردعك قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[2]. فكانت دعوة واضحة للتمرّد على نظام المعسكر وعدم الطاعة، فيها نبرة معتزّة بالإسلام، وقد توافق دخول الآمر إلى الخطبة مع مقطع بصوت عالٍ وانفعال في الإلقاء قلت فيه:

"فيا عبد الله، اتّق الله، فإنّ عباد الله لهم ربّ يحميهم ويأخذ لهم حقّهم، ويا عدو الله إما تعجيل العقاب في الدنيا وإما ليوم تشخص فيه الأبصار، وقد قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ:

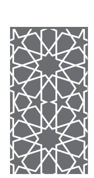
لا تَظلِمَنَّ إِذا ما كُنتَ مُقتَدِراً	فَالظُّلمُ مَرتَعُهُ يُفضي إِلى النَّدَمِ
تَنامُ عَينُكَ وَالمَظلومُ مُنتَبِهٌ	يَدعو عَلَيكَ وَعَينُ اللهِ لَم تَنَمِ

ولقد كان لهذه الخطبة صدى في المعسكر، وتناقلتها الألسن حتى وصلت إلى منطقة الكُفرة، فكان بعضهم يؤثر الحضور يوم الجمعة تاركاً المدينة، وأشفق عليّ الطلبة وأصبحت مهدداً، حتى إنّ الأخ إبراهيم العكاري -الآن يعمل مهندساً زراعياً- أخذ أوراق الخطبة بعد الصلاة، وأخفاها خوفاً عليّ من السلطات الأمنية، وقال لي: إذا سألك أحد فأجبه بأنّك لا تعلم أين هي، ولم يسلّمها لي إلّا بعد انتهاء الدراسة الثانوية ودخولنا المرحلة الجامعية.

---

(١) نور الدين الهيثمي، **كشف الأستار عن زوائد البزار**، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط١، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، كتاب البعث، باب في القصاص، حديث مرفوع، رقم (٣٢٢٥).

(٢) الألباني، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)**، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط٣، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، حديث صحيح، رقم (٧٥٢٠).





وفي اليوم التالي للخطبة استدعاني النقيب موسى العوامي إلى مكتبه، وقد أصبح من كبار الضباط في ما بعد، فدخلت عليه بدون قبّعة عسكرية متعمّداً؛ حتى لا أضرب له التحيّة العسكرية، وألقيت عليه تحيّة الإسلام، وكان بجانبه حينها الملازم اعويدات، والأخير يعمل في لواء الحرس من مدينة سرت، مسقط رأس القذافي، فسألني الآمر: ماذا تقصد بخطبة الأمس؟ فأجبته: الخطبة يا سيادة الآمر واضحة جداً، ولا تحتاج إلى بيان وتفصيل، فردَّ عليَّ بلهجة فيها ضعف أمام قوّة الحقّ ووخز الضمير وقال: "والله الطلبة أتعبونا، فضحونا بالخمور والحشيش، وما وجدنا إلا هذه الأساليب، فعاملناهم بالحبس والحلق والتوبيخ"، وكأنّه يشكو إليّ ويبحث عن حلّ من طالب لم يتحصّل على الشهادة الثانوية بعد!.

نعم، ولا شكّ إنها عزّة الإسلام، قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ ﴾ [فاطر: ١٠]. فأجبته: "أنتم السبب، فلم تُربّوهم على الإيمان والصلاة والصدق وتعاليم الإسلام، بل على القمع، وظننتم أنّ القمع يوصلكم إلى النتائج المطلوبة".

قال لي النقيب موسى العوامي: "فأنا أريد منك أن تطلب منهم التجمّع الصباحي يوم الجمعة".

فأجبته: "لا، لا بدّ من بناء قاعدة ثقافية وتربوية وإرسائها، وتعليمهم لا إله إلا الله والصلاة، بعدها يعرفون معاني الصدق وغيرها، أليس لديكم في القوات المسلحة ما يعرف بالتوجيه المعنوي!؟

- قال: نعم.

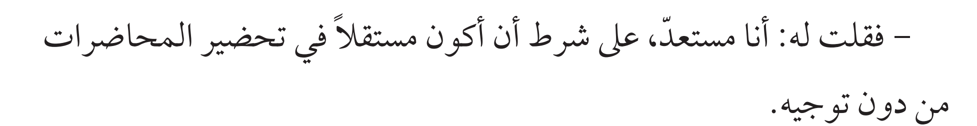
- قلت: إذاً لماذا لا تنظمون لهم محاضرات إسلامية؟

- قال: لا يوجد من يعطيها.









- فقلت له: أنا مستعدّ، على شرط أن أكون مستقلاً في تحضير المحاضرات من دون توجيه.

- فأجاب: سأطلب الموافقة من الآمر العسكري للمنطقة، وكان حينها العقيد محمد محمود الزوي.

لقد أراد الله للدعوة باباً واسعاً، فتحصّلت على محاضرتين في الأسبوع، ودخلت في جدول المحاضرات مثل الضباط.

وما توفيقي إلا بالله

وأنا في الحجرة أعدّ نفسي لخطبة يوم الجمعة دخل عليّ ملازم جديد، أذكر أنه من مدينة سبها، ولكني لا أذكر اسمه، فقال لي: لماذا أنت هنا؟ فأجبت: أكتب خطبة الجمعة، فقال: ألا تعرف أنّ الأرض للجميع، والدين لله؟ فقلت: لا أعرف هذا، بل أعرف أنّ الأرض لله، والدين لله، ونحن لله، واشتدّ النقاش حتى استعمل الشدّة، فدفعته وهممت بضربه، ولم يكن معنا أحدٌ، فخاف وانصرف وتركني، ثم أتى إليّ بعدها بيومين، وسألني: كيف حالك يا شيخ؟ وأراد بذلك أن تعود المياه إلى مجراها الطبيعي.

وفي أحد الأيام كان يجلس مع الطلاب ويتحدث معهم، فلما دخلت إلى ذلك المجلس تحوّل الحديث إلى نقاشٍ عن الإسلام والصلاة والإيمان، فسألني: أنت فلان؟ فقلت له: نعم! فقال: لقد حذرني منك الضبّاط القدامى من أنّ لك قدرة تأثيرية غريبة.

ومما أذكره أيضاً أني طلبت من ضابط آخر كان معنا، لا أذكر اسمه، أن يجمع الكتيبة في صالة المحاضرات بأمر من آمر المعسكر، فسخر مني قائلاً:





"نحن نعجز أن نحافظ على هدوء سَريّة واحدة بغير الضرب والتعذيب، وأنت تريد السرايا كلّها؟"، فقلت له: "عليك بتنفيذ الأمر، وسترى ماذا سيحدث".

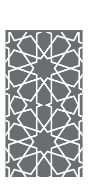
واجتمع الطلبة، وجاء الضباط، وأراد الله أمراً آخر، إذ عمَّ الصالةَ الضجيجُ والدخان، إذ كان فيها ما يزيد على ٥٠٠ طالب، فأخذت الطاولة التي أمامي والكرسي ووضعتهما أمام الطلبة، وخلعت القبّعة العسكرية، وشرعت في الحديث: الحمد لله بالإيمان والحمد لله بالإسلام، وعلى الفور تساقطت لفافات الدخان، وشدّت العيون والآذان نحو الصوت الجهوري المرتفع، وخيم الهدوء للاستماع، وتطأطأت رؤوس الضباط أمام الأحاديث والآيات.

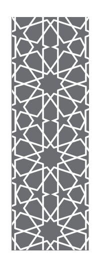
كنت أشرح لهم حديث: «يا غلام، إني أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سأَلت فاسأَل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أَن ينفعـوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]، وأذكر لهم بعض مواقف الصحابة في حبّهم لدينهم وللقرآن الكريم، وكيف رُمي الصحابي بالسهم فانتزعه وهو في صلاته، ثم رمي بالسهم الثاني فالثالث، وما منعه من قطع صلاته إلا خوفه أن يضيع ثغرٌ جعله عليه رسول الله ﷺ، فلو رأيت حينها أعين الطلبة وهي تفيض من الدمع مما عرفوا من الحقّ!

صدى الخبر

اعترض إحدى المحاضرات وقتُ صلاة الظهر، فقطعتها وقلت للإخوة: "الذين يصلون فليذهبوا إلى الصلاة، والآخـرون في حلٍّ من أمرهم"،

(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، حديث حسن صحيح، رقم (٢٥١٦).







فاهتزّ لذلك من لا يصلي، وكان هذا سبباً في مراجعتهم لأنفسهم، فالتحقوا بعد ذلك بالمصلين، أما بالنسبة للجنود فلا أكاد أكمل من منبر الدعوة حتى يأخذوا الأوراق ويكتبوها، ويدعون لي بالخير.

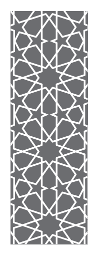
سبحان الله! ما أسهل أن يستجيب الناس لدعوة الإسلام لو أتيحت الفرصة للدعاة، ولعل الغريب في الأمر أنّ هذه الأحداث جرت في ميدان تحرسه أعين الثوريين، وتجنّد الطلاب لأفكار وإيديولوجية محددة في رؤوسهم.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ﴾[القمر: ٤٩]

مقولة (من تحزب خان).. زمجر بها معمر القذافي، وأرسل زبانيته لتلقي بدعاة الأحزاب السياسية في دهاليز السجون، ومن بينهم أعضاء حزب التحرير سنة ١٩٧٣م، وقد استطاع القذافي استدراجهم قبل ذلك؛ إذ طلب منهم عَرْضَ منهجهم لتطبيق الشريعة، فظنوا أنه جادٌّ في ذلك، فعرضوه عليه، ولكنّه عندما عرف أبعادهم وأفكارهم زجّ بهم في الزنزانات، وكان يستهزئ بهم ويقول: "حزب التحرير.. كل واحد يريد أن يكون خليفة للمسلمين، ويعطلون الجهاد، فلا جهاد لديهم إلا بعد تعيين الخليفة".

في شهر أكتوبر ١٩٨١م، قُبض على مجموعة من الشباب؛ موظفين وطلبة جامعيين وطلاب ثانوية، وكانت مجموعة كبيرة متّهمة بانتمائها لحزب التحرير الإسلامي بزعامة عبد الله حُمودة، وكان نصيب مدرسة صلاح الدين ثلاثة من الإخوة هم: عبد الله بعيرة، وفتحي الشبرقي، ومالك النوّال ابن الحاج صالح النوّال أحد مؤسسي حزب التحرير الإسلامي في ليبيا، الذي كان من جماعة الإخوان في بادئ الأمر ثم انشق وانضم إلى حزب التحرير وأصبح من قادته.





وقد اشتهروا في السجن بالمواجهة وعدم الأخذ بالرخصة، بل بالعزائم والشدة، ومحاربة النظام، وهم لا يعرفون الاستعطاف أو طلب الرحمة من الدولة، بل كانوا يكفّرون القذافي ويدعون المحققين للانضمام إلى الحزب، ويعظونهم حتى لا يكونوا آثمين يوم القيامة، لذا دخل أعضاء حزب التحرير الإسلامي السجن وبقوا هناك، على عكس الإخوان المسلمين الذين تعهدوا بعدم الانتظام في العمل الحزبي في الدولة.

ظهر في السجن أحد قادة حزب التحرير وهو عبد الله حمودة، وبدأ بالدعوة لحزب التحرير، واستطاع أن يضم عدداً لا بأس به من الشباب المتحمسين للإسلام، وكان لي علاقة بهم، وكنت أتـردد عليهم، وأحضر نقاشاتهم ومجالسهم، وكانوا قد عقدوا لقاء بيني وبين عبد الله حمودة، ولكن قدَّر الله أن أسافر وأتخلف عن هذا اللقاء، وبعدها قُبض على أعضاء التحرير، ومنهم الإخوة الذين كنا معهم دائماً في المدرسة وفي مدينة بنغازي، فظنّ عبد العزيز راشد والطلبة أني من بين الذين قُبض عليهم، ولكن أراد الله أن أستمر مع الطلبة؛ لأعيش عاماً جديداً مليئاً بالحركة والنشاط، وأسأل الله أن يكون في ميزان الحسنات، وأن يتجاوز عن السيئات.

وعن هذه الحادثة، واستشهاد صالح النوال يتحدث الأستاذ صالح القصبي في مذكراته بالسجن قائلاً:

"أرسل إليَّ الأخ فتح الله العريبي رسالة يذكر لنا فيها ما جرى لهم في الفترة التي نجهلها، وذكر لنا أن الأخ صالح النوال كان وحده في الحجرة في القسم الثاني في سجن باب بن غشير العسكري حين دخل عليه اثنان في نوبة ضو، في يوم ٢١/ ١/ ١٩٨٣م، هما -حسب ظنه- عمر شكال وآخر لا يعرفونه،






دخلا عليه وسُمع نقاش وحوار ثم حركة في السرير، وسكتة بعدها، ثم خرجا وأقفلا الباب وراءهما، كان الوقت حينها قبيل الظهر، وكان المقرئ أو الشريط المسجل يتلو في المسجد القريب من السجن الآية الكريمة: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾[الإسراء: ٣٣]، وكان المذياع في حجرة الشهيد النوال مفتوحاً على مقطع من أغنية أو أنشودة تقول: والشاهد هو ربي.

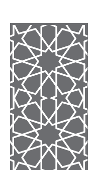
ويستمر الأخ فتح الله في روايته فيقول: وعند توزيع الغداء جاء الحارس الذي يسمونه ابن الشعب، يخاطب النوال من الكوّة أن يعد صحنه ويعيده له، فلم يسمع جواباً، ففتح الباب وخرج على الفور وهو يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله. وبعد هنيهة جاء ضو وبعض الحرَّاس وسجلوا العملية على أنها انتحار، وقد بدا أن الاثنين اللذين دخلا إلى الغرفة قد شنقاه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ"[1].

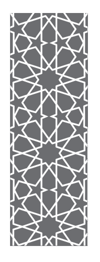
وعن قصة حسن الكردي، يحدثنا الروائي أيمن العتوم في روايته نقلاً عن الأستاذ علي العكرمي:

"عقدت اللجان الثورية لأعضاء الجبهة الوطنية محاكم ثورية فورية، وحكمت على العشرات بالإعدام حُكماً غير قابل للنقض... والجثث المدنية والعسكرية التي نفذت فيها الأحكام أنزلت من فوق أعواد المشانق، وربطت من أطرافها إلى السيارات العسكرية، وسُحلت في الشوارع العامة أمام أعين الناس، وكانت الجثث تتعثر بالأرجل، والأعمدة، والحجارة، ورؤوسها تتدحرج هنا وهناك.

---

(١) صالح القصبي، **كأنك معي – مذكرات سجين رأي في سجون القذافي**، دار الرواد، طرابلس، ط١، ٢٠١٤م، ص ٣٢٥ – ٣٢٦.





ووسط تلك المعركة، في ٨ مايو ١٩٨٤م، جاء إلى قسم المحقرة على الساعة الحادية عشرة ليلاً أحد الحراس من عائلة القذافي، وهو ضابط الصف صالح سلطان، صاحب السلطات الواسعة في السجن رغم تدني رتبته العسكرية، وطلب من عبد الله المسلاتي وحسن الكردي الخروج، فعرفنا أنها الشهادة، فأصر الأستاذ عبد الله والأستاذ حسن على أن يستحما، وصلّيا ركعتين، ولبسا أحسن الثياب. قال عبد الله: "أريد أن أقابل الله نظيفاً"، وكان يبدو أنها نهاية الرجلين، وكانت الدموع تنهمر في أعماقي، ولم أكن قادراً على أن أودعهم.

ويضيف العكرمي: كان حسن الكردي نعم الرفيق، بعد أقل من عام من رحيل مهذب إحفاف، وصالح النوال، رحل حسن الكردي وعمره ٤٢ عاماً، كان النظام يقتل شباب ليبيا، كان لا يريد لزهورهم أن تتفتح، ولا أن تكبر أكثر، ولا لشذاهم أن يعبق في الأجواء، ولا أحد يدري إن سلموا جثته لزوجته التي خُطِف زوجها بعد سنتين ونصف من زواجهما"[1].

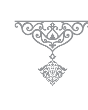
عانت زوجة حسن الكردي مرضاً شديداً، "وظلت ملتاعة متأثرة بفقد حبيبها الذي رحل بعد إحدى عشرة سنة خلف القضبان، وحين رحل لم تدرِ كيف، ولا أين، ولم يمنحوها فرصة النظرة الأخيرة على وجهه الطهور الذي ظلت تشكله في خيالاتها كلما اشتد الظلام!

...بعد ليلتين من حفلة الإعدام السري، سُحبت الجثث متفحمة متيبسة من حاويات القمامة، وأخذت إلى المجهول، فيما كان هناك إحدى عشرة جثة دفنت في مقابر لا يعلمها إلا الله، أما جثة أحمد احواس فقيل: "إنه انضم إلى الجثث التي يحتفظ بها العقيد في ثلاجته الخاصة!".

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، دار عصير الكتب، عمان، ٢٠١٨م، ص ٣٠٧ - ٣٠٩.







ويضيف الأستاذ العكرمي بقوله: ترك أحمد احواس قصاصة معي: "لن نتخلى عن دورنا، ولن نقعد مع القاعدين، ولن نقنط مع القانطين، والخيار الوحيد الذي نرضاه لأنفسنا هو أن نعيش أحراراً أعزاء أوفياء، أو أن نموت واقفين، ونسقط سقطة الشهداء الصالحين"(١).

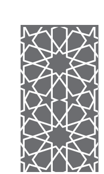
وعن جماعة حزب التحرير يتحدث العكرمي: "دخل عامر المسلاتي في ٧ إبريل من عام ١٩٨٣م، ومعه أكثر من ثلاثين عسكرياً كأنهم الغربان، فأخذوا مهذب إحفاف، ركلوه بالأقدام، وجروه جراً، كان رقيق الجسم ضامر العضلات على أن يبدي أية مقاومة. حمله أحدهم على أكتافه، ومضوا به.

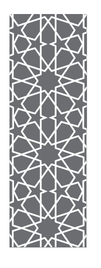
سَرَت في السجن رائحة الخوف، زكمت الأنفاس حتى كدنا نختنق، كان المشهد مختلفاً عندما أخذوه من قبل، جاءنا يومها عامر المسلاتي بكل تهذيب وسأل عنه، وطلب منه بكل أدب أن يتبعه إلى مكتبه فهناك من ينتظره، وكان يأمر مرافقيه أن يظلوا مؤدبين في حضرته، فلا يمسوه بشيء، في المكتب وجد القذافي بانتظاره، قال له: متفاجئ يا مهندس؟! لم يرد مهذب إحفاف.

طلب منه بكل هدوء أن يجلس، جلس. قال له: "أريد أن أعرف لماذا تكرهني!؟"، "أنا لا أكره أحداً، أنا أنصح بما أعتقد". فعرض عليه القذافي أن يتولى منصب أمين شعبية غريان، وطلب منه مقابل ذلك طلباً بسيطاً، وسكت القذافي ليرى ردة فعله.

وطلب منه القذافي كذلك أن يتخلى عن أفكاره على شاشة التلفاز، فرد عليه مهذب إحفاف: لن يكون، ورغم أن القذافي تنازل عن فكرة التنصل من الأفكار على التلفاز واكتفى بتسليمه منصب محافظ غريان، رفض إحفاف، فقال له

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٩ - ٣١٠.





القذافي بغضب: أنا قادر على أن أمحوك من على وجه الأرض، ولا تخرج من هذا السجن إلا ميتاً، فصرخ بوجهه إحفاف بنفس العصبية: "تهددني بالشهادة؟ سيكون ذلك مبعث فخر لي"[1].

في صباح اليوم التالي، بدأت اللجان الثورية دعوة الطلبة والطالبات وأساتذة جامعة طرابلس للتجمع في ساحة كلية الهندسة، وكانوا يقولون إن حدثاً مهماً سوف يحدث اليوم وعليكم أن تشاهدوه بأنفسكم.

وفي العاشرة والنصف صباحاً وصلت سيارات الأمن، وفي إحدى تلك السيارات كان مهذب مقيد اليدين خلف ظهره، فأنزلوه ركلاً من السيارة، وانهالت عصي الشرطة العسكرية على كل جزء من جسده النحيل، ومزقت ملابسه حتى صار شبه عارٍ، ثم نصبت مشنقة بطريقة بدائية، وعلى عجل، في ساحة كلية الهندسة أمام زملائه وأساتذته، وقريباً من المكتبة التي قضى فيها معظم وقته قارئاً وباحثاً، فاقتادوه أمام أعين الجمهور كله، ورفعوه على كرسي الإعدام، ولفوا حول عنقه حبلاً رديئاً، وكان عدد من الأمن الموزعين في كل مكان يهتفون: لا ترحم من خان، شنقاً شنقاً في الميدان.

وعَمَّ الذهول وجوه الطلبة والحاضرين بعد أن دفع الجلاد سعيد راشد كرسي الإعدام، وصعدت الروح إلى بارئها، وظل جسده يتأرجح ساعات في الميدان، وظل الشهيد إلى الليل وبعد ذلك اختفت جثته، وحين سألت عنه أمه لم يعترفوا بأنه في سجلات المعدمين، ولم يعرف عنه أحد شيئاً بعد ذلك التاريخ[2].

وبعد يومين من رحيل مهذب إحفاف، سمعنا قرع أبواب الزنازين، وأصوات الحراس وهم يخبطون ببنادقهم كل شيء يصادفونه في طريقهم،

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٦ – ٢٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٨ – ٢٧٩.







يتوسطهم عامر المسلاتي، عرفنا أن شيئاً مهولاً آخر سيحدث؛ قبعنا داخل أنفسنا، تقوقعنا على ذواتنا بحذر... صرخ عامر بوحشية: أين صالح النّوال!؟

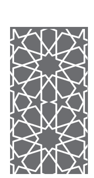
نهض صالح النوّال من مكانه، خِلت أنه يسير بشكل مائل، لا أدري إن كان هذا ما أراه أم أن عينيّ هما اللتان قد زاغتا؟ وقف النوال قبالة الآمر: "ها أنذا؟ تريدون أن تأخذوني كما أخذتم مهذب؟ لا بأس، لا أملك الكثير، يمكنكم أن تصادروني الآن".

جروه إلى قصر الملك السابق والذي غُيّر اسمه إلى قصر الشعب، وصارت تعقد فيه المحاكمات الثورية، نصبوا له المشنقة، صعد الكرسي، قرر رئيس اللجنة أن يؤجل التنفيذ دون أن يبدي أي سبب، فأنزل الجسد من على المنصة، ظن النوال أن في الأمر حيلة، ظل ينظر وينظر لا يدري ما الذي يحدث، ولكنه أعيد إلى السجن.

وفي شهر أكتوبر ١٩٨٣م نقلوه إلى الانفرادية، وبعد صلاة نفل الظهر جاءه اثنان من الحرس، أحدهما عبد الحميد السائح، ففتحوا عليه الباب، وكَلَّموا حارساً ثالثاً أن يبقى على الباب يراقب الوضع بسلاحه.

فتح الاثنان المذياع على صوت سعاد توفيق، وكانت تغني: والشاهد ربي والشاهد ربي.. قيده أحدهم، حملاه إلى الجدار الذي تعلوه نافذة الزنزانة، رفعاه فوق كرسي كانا قد أحضراه مسبقاً، لفا الحبل حول عنقه وشداه إلى قضبان النافذة.

كان يتابع ما يفعلان بصمت، وكان يرى ذلك كأنه حلم، ثم دفعا الكرسي من تحت قدميه، فتدلى بثقله ملاصقاً للجدار، وكُسِرَت رقبته، فخرج الثلاثة،





وبقيت الجثة في الزنزانة، والزنزانة هامدة لا حركة فيها، وكتب في تقرير الطبيب بعد تشريح الجثة بأنه انتحار[1].

هذه بعض الحقائق السريعة المتعلقة بإعدام قادة حزب التحرير في تلك الفترة المظلمة، ونرجع إلى معسكر الكُفرة.

القرآن الكريم طبُّ القلوب

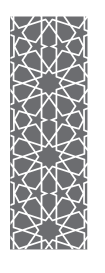
أقبل الأوّل من سبتمبر، حيث كان من يسمَّون "الثوريين" يحتفلون فيه بعيدهم تحت اسم "عيد ثورة الفاتح"، وتمّ الإعداد لحفل ساهر في المعسكر، فأتى إليّ آمر المعسكر طالباً مني افتتاح الحفل بآياتٍ من القرآن، فأجبته: "أفتتح الحفل بالقرآن، ويختمونه بالعصيان؟!"، فامتنعت، فقال لي: "لكنك تقرأ القرآن في المسجد"، فقلت له: "نعم، في المساجد، لا في الاحتفالات!".

وفي اليوم نفسه وقبل بداية الاحتفال أُصيب أحد الإخوة -وهو عوض المقصبي- نتيجة مزاح بزجاجة انكسرت وارتدت على عينه. لقد كان منظراً لا يحتمله أشدّاء العزم، إذ كانت إصابته بالغة، حيث نزفَت منه الدماء ونُقل على أثرها بسيارة الإسعاف إلى المستشفى الذي يبعد نحو ٢٠ كم، وقد رافقته في السيارة.

ومن الغريب أنّه كان يصيح ويصرخ ونحن في الطريق من شدّة الألم، حتى إذا قرأت عليه القرآن هدأ واطمأنّ وهو يعاهد الله لئن نجّاه ليصبحنّ من المصلين، وحين أدخلوه حجرة العمليات منع الأطباء الطلاب من الدخول معه، ولكنّ المريض أصرّ على أن أرافقه، فأدخلوني معه دون البقية، ودهش الأطباء

(١) المرجع السابق، ص ٢٧٩ - ٢٨٢.







من حاله كيف تستكين بسماع القرآن، ثم خَدروه وأَجْرَوا العملية، ونمت معه في المستشفى تلك الليلة.

وفي اليوم التالي حملناه إلى الطائرة، وفي مطار الكُفرة التقيت مجموعة من الشباب الليبي الذين أرجو الله أن يوفقهم لنفع البلاد والعباد، منهم الكابتن خليفة حمامة، والطيار الحربي أحمد حبيب، فوضعناه في إحدى الكراسي الخلفية في الطائرة وهو مخدّر، ولم ألتقِ به إلى هذه اللحظة، لكني سمعت أنّ عينه قد فسدت، عوضه الله خيراً.

شيطان في المعسكر

عبد السلام الصاوي من الأشخاص الذين تربطني بهم أخوّة في دين الله، وقد عُرف عنه الصيام ومحبّة الطلبة له، وكان من عادته ألا ينام في الليل، بل يخرج خارج المعسكر يتمشى وحده في الصحراء، ثم يرجع ويوقظني قبل الأذان بمدة، وأنا بدوري أوقظ الإخوة لصلاة الفجر.

حكى لي بنفسه أنّه ذات يوم كان يتمشى كعادته في الصحراء، فظهر له شيطان مليء بالشعر من رأسه حتى أخمص قدميه، وطلب منه ألا يوقظ أحداً للصلاة، فتأثّر كثيراً وانقطع عن صلاة الجماعة وأصبح يصلي وحده، كنت أجالسه ويحكي لي من أين يخرج، فتبعناه ووجدنا آثار أقدام غير طبيعية داخل المياه الراكدة.

أنا بالنسبة لي مؤمن بوجود الشياطين والجنّ بنصوص من القرآن الكريم والسنّة النبوية، لذا لم أكذّبه، فما عهدنا عليه الكذب، وتناقلت الخبر أفواهُ الطلبة بين مصدّق ومكذّب، وراجت عبارات مثل: "عبد السلام يتخايل"،





وترك بعضهم صلاة الفجر، وقال: "الذي بيننا وبينه صلاة الفجر تركنا"، بل إنّ بعضهم لم يستطع دخول دورة الخلاء إلا إذا كان بالقرب منه أحد الإخوة.

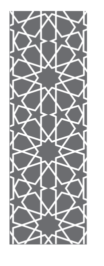
وبدأ الخوف يعمّ المكان، إذ كان بين غرف النوم والمسجد مسافة، فامتنع الطلبة عن الذهاب إليه أو الرجوع إلى غرف النوم فُرادى! أما أنا فكنت أقطع المسافة وأتلو القرآن ذهاباً وإياباً، فتسكنني الطمأنينة ولا أشعر بالخوف، وظهرت إثر ذلك إشاعات أنّي رأيت الشيطان وتكلّمت معه، وفي الحقيقة ما رأيته ولا كلّمته، وعافانا الله من ذلك.

قلوب تقية نقية

في بداية العام الدراسي كنا نُصلي الفجر قبل طلوع الشمس ثلاثة أو أربعة أشخاص، في حين يغرق باقي الطلبة في نومهم، وكان هؤلاء الإخوة يستغربون عدم سماع الأذان لصلاة الفجر، أذكر منهم فتحي عبد الله من التبو، بحيث ترى على وجهه النور رغم كونه أسمر اللون، وقد شكوت لهم بأني أستيقظ بعد الأذان بقليل، فعلموني قراءة الآيات العشر الأولى من سورة المؤمنون وسورة الكهف ثم النوم بنية الاستيقاظ لصلاة الفجر، فكنت أفعل ذلك وبالفعل أستيقظ في الموعد المراد تماماً، لكني لم أجد حتى الآن نصّاً شرعياً يدل على ذلك الفعل، لذا فإني الآن لا أفعله، ولكنّي أذكر الأوراد الواردة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كان لهؤلاء الإخوة أسلوب في الدعوة والنقد، وقد قصّوا عليَّ أنّهم ذات يوم تناقشوا في مسألة دينية، فهمَّ المؤذن بالكلام فأسكتوه وقالوا: "لا نسمع منك، دينك ليس كدين الناس"، فقال: "لماذا؟"، فقالوا: "نسمعك تؤذّن أربع مرات في اليوم فقط، وأما الفجر فلا!"، فكان نقدهم في محلّه ونصيحتهم مثمرة تأثّرت بها.





وقد ذهبت إلى بيوتهم، وكانت بيوتاً عتيقة مبنية من الطين تتشبّث بالتقاليد القديمة، تحاصرها الرمال ويحضنها النخيل، فسبحان الله ما أجمل البساطة!

الصلاة تجمع القلوب المُحبة

"الطبيخ" والرز واللحم والدجاج والفواكه والشاي، كانت هذه هي الأصناف التي تقدّم لنا في مدرسة الناصر صلاح الدين في معسكر الكُفرة، وكان الذين يُعدّونها إخوة طيبين من السودان، يشتغلون بالطبخ في المطعم والتنظيف، ويسكنون عنبراً خاصاً بهم، وكان اسم شيخهم عبد الرحمن، وقد أقاموا لهم مسجداً يصلّون به وحدهم، فنبّه أحد الإخوة على خطورة ذلك، فذهبت معه لزيارتهم ودعوتهم للصلاة في المسجد العام.

وفي يوم زيارتنا لهم فرشوا لنا قطعاً من "البكوات"(١)، فجلست معهم عليها وشربت معهم الشاي، وذكرتهم بأننا إخوان في دين الله ولا يجوز لنا أن نصلّي وحدنا وهم وحدهم، فأخبروني بأن الضابط يمنعهم من الصلاة معنا، فسألتهم: "من الرازق والنافع والضار؟"، فقالوا: "الله"، قلت لهم: "تعالوا ولن يستطيع أن يمنعكم"، وحقاً جاؤوا وصلّوا معنا، ومع أني قدمت شيخهم للصلاة فإنه امتنع عن ذلك.

ثم إنه أصبحت بيننا وبينهم مودّة في الله، فإن غبت عن الطعام سألوا عني، وإن حضرت أحرجوني بتوزيع الطعام، وكان لذلك الحادث آثار في كثير من الطلبة والذين ينظرون إليهم نظرة ازدراء واستحقار، وقد منعناهم بالقوة عن طريق الإخوة أصحاب الفتوة والبأس الشديد، الذين انضموا إلى صفوف المصلين وأصبحوا من حملة راية الحقّ.

---

(١) البَكوات: صناديق مفرغة مصنوعة من مادة الكرتون تُبسط على الأرض ويُجلس عليها.





في المحبة يُثمر الخير

يحدث عادة في الطوابير ازدحام وصراع وتدافع بين الطلبة للدخول إلى مكان الطعام، فتعمدت أن أتكلم في خطبة يوم الجمعة عن قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حتَّى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحِبُّ لِنَفسه»[1]، وختمت الخطبة بقولي: "سننظر ماذا تفعلون عند الخروج من المسجد"، وسبحان الله! كان الخروج بعد تلك الخطبة بانتظام ورويَّة، وهو ما يدلّ بجلاء على أن تعاليم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندما تصل إلى القلوب بلا رقيب عليها إلا الله تُثمر خيراً وجمالاً، فبذرتها موجودة تحتاج إلى من يسقيها فقط.

الله يهدي من يشاء

بعد جلسات عدة مع الإخوة في المعسكر، أصبح بعض من كانوا يشربون الخمر ويبيعونه من رواد المسجد، وقد تخلصوا من زجاجات الخمر وكسروها، وبعضهم أراق أكثر من ٥٠ ليتراً في أرض المعسكر، وما تزال صورة قوارير الخمر المتفجرة على الحجارة عالقة في ذاكرتي، حيث أذكر أني كنت أحمل إحدى زجاجات الخمر وقد رميت بها على الحجارة، وكنت أتلو قول الله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[الإسراء: ٨١].

ثم إننا نظمنا صيدلية المعسكر التي كانت تُستغلّ وتؤخذ منها بعض الأدوية لصناعة المسكرات والخمر، فأصبحت تحت رقابتنا، وكم مرة ضبطنا محاولات التصنيع تلك فباءت بالفشل الذريع، فقد كنت أعتلي أسقف العنابر

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، حديث رقم (١٣).





أبحث عن مواضع تصنيع الخمور، حيث كان بعضهم يضعها في جالونات فوق العنابر حتى تضربها شمس الصحراء الحارة.

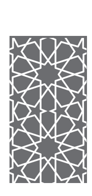
أما حكايات الطلبة عن مشاكلهم الخاصة وإصلاح ذات البين فلا تسأل عن ذلك، فهذا من الأمور الطبيعية التي تحدث؛ ليميز الله بها معادن الناس.

موقف طريف

في أحد أيام معسكر الكفرة عُينت آمراً للسجن، وعندما صدر الأمر فَتَحت السجن وأخرجت الطلبة وقلت لهم: "عندما ترون سيارة الآمر من بعيد ارجعوا وأقفلوا على أنفسكم"، وذهبتُ إلى صلاة العشاء، وأخذني الحوار مع الإخوة أمام المسجد، فنسيت السجن ولم أنتبه إلا وأحد أفراد الشرطة العسكرية قد جاء مذعوراً بأنّ الآمر يريدني، فدخلت السجن ووجدته أمامي، فلما رآني ضحك وأخرج معظم السجناء، ولم يتكلم معي ولا بكلمة توبيخ.

ودخلنا الجامعة

انتهت أيام الدراسة الثانوية والتدريب وظهرت النتائج، فمن الطلبة من مات ومنهم من سافر للخارج ثم عاد ومات في ليبيا، ومنهم من دخل الجامعة في كلية الطب أو الكليات العسكرية أو كلية الاقتصاد، وأما أنا فكان قدري ونصيبي أن أدخل كلية الهندسة، وقد توثقت بيننا رابطة المحبة ورجعنا إلى مدينة بنغازي، للدخول إلى الجامعة، وبدأنا مرحلة التكوين، وكنا نتدارس رسائل أبي الأعلى المودودي وسيد قطب ورسائل حسن البنا، نوزّعها بالخفاء عن طريق الاتصال المباشر بالفرد والابتعاد عن التجمهر، وصحيح أن الدولة تنظر إلى ما حدث في الكُفرة بنظرة عدم المبالاة، ولكنها كانت تنتظر الفرصة المتاحة لها.





بدأت أشعر أن المسؤولية قد كبرت وزاد ثقلها، فباشرت بالدعوة بهدوء في كلية الهندسة في جامعة قار يونس في بنغازي (عام ١٩٨١م)، فأقمنا مسجداً صغيراً وبدأنا أنا وأخي محمد جمعة، الذي أصبح مهندساً، ثم أصبحنا ١١ مصلياً من الإخوة، نخرج من قاعة المحاضرة للصلاة ونرجع، فتهتز قاعة المحاضرات، وتوضع علامات استفهام لماذا لا نصلي مثلهم.

وقد امتحنت في مادتي الطبيعة والرياضيات، وبفضل الله حصلت على درجة امتياز، فأخذت سبع مواد للفصل، وأضفت دراسات إسلامية خاصة بي، وخصصت لها ساعات للمذاكرة.

كانت مرحلة الجامعة أوسع لطريق الدعوة، ولكن الله أراد لي مرحلة أخرى، وهي دخول كلية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأذكر أني ذات يوم رأيت في منامي سبعة أشخاص سُود يلاحقونني، ثمّ بعد ذلك طرت في السماء وأنا أقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[الطلاق: ٢]، فقصصت الرؤيا على أحد إخوتي فخبّر الوالدة بها، فتأثّرت منها وقالت لي: "يا ولدي، ستسجن، وبعدها ستخرج إن شاء الله".

استدراك

لا تظن يا أخي أن الأوساط الطلابية من الطلبة ذاتهم سيتركونك، بل سيحاربونك ويعاتبونك ويتهمونك ويحسدونك، فبعضهم كان يتقوّل الأقاويل، وبأن فلاناً يبحث عن الشهرة والسمعة باسم الإسلام، فجاءهم الرد من آخرين: أنه في هذا الزمن من وهب نفسه للدعوة فقد وهبها للسجن، ومن ثم فلا يتصدى لها ولا يستمر إلا الصادقون. وأسأل الله الإخلاص في كل سكنة وحركة وكلمة.







من فضل الله عليّ أني كنت أُعرض عن أقوال المثبطين صفحاً ولا أهتم بها، وهو ما جعلهم يشعرون بأنه لا فائدة من المحاربة. وكم يومٍ بكيت فيه من التجريح والتقريع في ظهر الغيب.

كنت أبكي وحدي بين جدران غرفتي الموصدة الأبواب حتى أستريح وأرجع من جديد للعمل، وأشكو بثي وحزني إلى الله، وأطلب منه العون والمدد في نصرة دينه، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم، فلم تهوَ نفسي في ذلك الوقت شيئاً كالدعوة إلى الله، وكنت أعتزُّ بها وأردد قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣]، وقول القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى (ت ٥٤٤هـ):

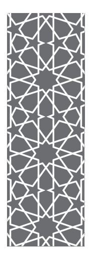
ومما زادني شرفاً وتيهاً ... وكدت بأخمصي أطأ الثريا

دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيَّرت أحمد لي نبيا

كلمة حفرت في قلبي

بعد الرؤيا بأيام شاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يمتلئ الشارع الذي يُشرف عليه بيتنا بالغبار الذي أثارته عجلات سيارة توقّفت أمام منزلنا، وذلك في صباح يوم أربعاء في ديسمبر ١٩٨١م، وصادف ذلك قدوم أمي من بيت الجيران فقالت: "يا ولدي يسأل عنك بعض الناس أمام الباب". فقلت لها: "لعلهم أصدقائي!"، فردت أمي: "لا، لأن جلدي رعش منهم، وأصدقاؤك أعرفهم، ولكن لا تخرج حتى يأتي أبوك"، وعندما جاء والدي رأى السيارة، فعلم أنهم من الاستخبارات العسكرية، فسألني والدي: "هل صليت الفجر حاضراً (أي في وقته قبل شروق الشمس)؟"، قلت له: "نعم"، قال لي: "**لا تخف يا بني،**





فإنك في ذمة الله حتى ترجع"، فكانت تلك الكلمة تنزل على قلبي برداً وسلاماً كلما ذكرتها، وتُسندني إليها، فتثبتني.

ومن عجائب قدرة الله تعالى أني بعد تلك الكلمة بسنوات، وقبل خروجي من السجن بيوم، اتصلت بأهلي من سجن طرابلس، فردّ عليّ أخي محمود، وإذ بأذان صلاة الفجر في مدينة بنغازي يتسلل إلى مسامعي عن طريق سمّاعة الهاتف، فتذكرت ما قاله أبي: "لا تخف يا بني، فإنك في ذمة الله حتى ترجع".

من حِكم والدي

من فضل الله عليّ أني ما تركني ربي وحيداً في الزنزانات والسجون بأنواعها والمحاكم والتحقيقات، عندما كنت أقول لأبي: يا أبي، يجب الجهر بقول الحق، فيقول: أخشى عليك الفتنة! فأقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، فيقول: وهل اتقيت الله حتى يجعل لك مخرجاً!؟

خمس دقائق

اصطحبني زبانية النظام، بعد أن قالوا لي إنهم يريدونني (خمس دقائق)، فأُخرجت من بيت الأسرة مودعاً أفرادها تاركاً خلفي الذكريات والآمال في موكبٍ من البكاء تعزف فيه نبرات صوت والدي التي ما أزال أذكرها حتى الآن، وهو يصبّر والدتي التي نزع النظام الظالم ابنها من ذراعيها، وهي لا تملك إلا أن تزفر الدموع والحسرات واللوعات، تصحبها دعوات من قلبٍ مفطور على ابنها ومصيره المجهول في أيدي الجائرين، يصبرها بقوله تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].







ومن تثبيت الله لي أن من عادتي سماع ترتيل المنشاوي، وكنت في ذلك اليوم قبل القبض عليّ بقليل أُنصت إلى سورة التغابن، وقول الله تعالى فيها: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [التغابن: ١١]. كذلك فقد كان الدرس الذي شرحه الشيخ محمد المصري، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من علماء الأزهر الشريف في المسجد المجاور لبيتنا، في ذلك اليوم، من قول الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴾[الحج: ١١ - ١٣]، فأيقنت أني وقعت في فتنة، وسألت الله التثبيت، وكأني المقصود بهذه الآية لو ترددت أو ندمت على شيء فعلته للإسلام، وقد وضع رجال الأمن في سيارات القبض -التي انتشرت تلتهم المدينة للقبض على الشباب- شريطاً للمطرب المصري أحمد عدوية يغني: "الطبة طبتي، والواعة وأعتي".







عالم جديد في السجن

لم يكن السجن بعيداً عن بيتي، لا شكّ أنهم لم يجدوا تلك الصعوبة في ملاحقتي ومتابعة أنشطتي، غيرَ أني ما عرفته إلا عندما دخلته، حين استقبلوني في المقر، سألت أحدهم: "كم سأبقى هنا؛ لأن عندي امتحاناً في الجامعة؟"، فردَّ عليّ: "من دخل هنا فلينسَ شيئاً اسمه جامعة أو دراسة، اهتمَّ بنفسك وما أنت عليه قادم".

كان الوقت طويلاً ومملاً، ومع أنهم قدّموا لي طعام الغداء فإنّ الشهيّة كانت معدومة طبعاً، وعندما حان وقت صلاة العصر طلبت منهم الوضوء والصلاة، فمنعوني وزجروني وهددوني، ووضعوني في دار مظلمة لها باب من حديد (٠،٥ م × ٢ م)، وكان لساني لا يفتر من قول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عندما فُتِح باب الزنزانة أخرجوني وغطوا على عيوني، وهكذا أصبحت العصابة التي كنت أراها في الأفلام الإجرامية حقيقة تطبّق علي، وقادوني كما يقاد الأعمى، وطرحوني على الكرسي الخلفي للسيّارة، ثمّ حملوني إلى مقرّ أعرفه؛ لأنه قريب من مدرستي الثانوية، هو مقرّ لقيادة لواء الحرس الجمهوري.

لما أدخلت عليهم إذا بي أمام مجلس عسكري للتحقيق ممتلئ برجالات القذافي من الشقّين المدني والعسكري، وأذكر منهم مفتاح بوكر، وإبراهيم بكار أمين اللجنة الشعبية في بنغازي، والطيب الصافي، وعبد الله السنوسي، والهيبلوا.

وعندما دخلت، قلت: السلام عليكم. فأجاب رئيس الاستخبارات: "هذه من عوائد الإخوان المسلمين"، فأطلق الله لساني بقول الله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾[النساء: ٨٦]، فقال لي: "أخبرنا عن الخلايا التي معكم،











فالتنظيم الديني مكشوف لدينا؛ لأن فتحي الشاعري اعترف بكل شيء"، وإذ ذكر فتحي الشاعري، وهو ملازم أول طيار، فقد حدد الجهة التي يتحدث عنها.

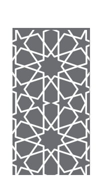
من هو فتحي الشاعري؟

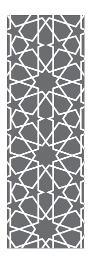
يتزعم فتحي الشاعري ما يسمى بتنظيم الحركة الوطنية، التي من أهدافها قتل العقيد القذافي، كان شخصاً لا يرى بأساً في مجالسة أهل الخمور وأهل الدين، درس في روسيا، ثمّ رجع منها متذمراً ساخطاً عليها وعلى أفكار الشيوعية، وكان ذا ثقافة عالية مقارنة بمن هم مثله وفي جيله، ومن الواجب إنصافه بالقول: كان صاحب لسان ومنطق، وقد توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ داخل السجون الليبية في التسعينيات من القرن الماضي.

- لقائي وحواري مع فتحي الشاعري

أرسل إليّ نبيل، ابن أخي فتحي الشاعري، الذي كان زميلاً لي في الدراسة الثانوية، بأن عمه يريد أن يجتمع بي، إذ سمع عن موقفي الرافض للذهاب إلى تشاد، فذهبت إليه، ودار الكلام بيني وبينه، وتكلم عن التنظيم، وعرض فكرة الحركة الوطنية، ثم أخرج منشوراً وقرأه عليّ، ففهمت من ذلك أنه كان السبب في البلبلة التي حدثت في الدولة من المنشورات الأخيرة التي انتشرت في بنغازي.

ولما حضرتنا صلاة المغرب لم يقم للصلاة، فاستأذنته لكي لا تفوتني، وكان ذلك الموقف-أي التهاون بأداء الصلاة في أوقاتها- نقطة سلبية لدي عنه، وقد كنت حريصاً في حديثي معه، دقيقاً في انتقاء عباراتي؛ خوفاً من إخفائه لمسجل صوتي يسجل فيه كلامنا.





وكان أهم ما تناوله في اللقاء:

- التنديد بالخط الاشتراكي للقذافي وتقربه من الشيوعية.

- كان ضد إلغاء القذافي للسنة المحمدية المشرفة.

- كان ضد التدريب العسكري داخل المدارس الثانوية، ويعدها من أخطاء النظام.

- كان ضد القرارات التي اتخذها القذافي بخصوص تحريم التجارة وأخذ البيوت من الناس وقمع العلماء والحركات الإسلامية.

- كان يدعو لإيجاد تنظيم يضم قسماً عسكرياً ومدنياً، وكان قد شرع فيه، ويضم هذا التنظيم الاتجاهات الوطنية للعدو المشترك.

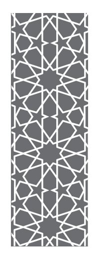
وكان ردي عليه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾[الرعد: ١١]، ويجب على من أراد الإصلاح أن يحارب المعاصي ويدعو للطاعات، فكيف للروض أن يبسُم ثغره إن كانت تربته قاحلة؟ وقد قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾[الإسراء: ١٣]، إذاً فالله سيحاسبه وحده لا في تنظيم!

في الحقيقة كان كلامي فيه حذر، فلم أتكلم بسجيتي في الحديث، وبينما كنت قد نسيت تلك الجلسة، فقد وجدتها في لواء الحرس، وما حدث من كلام كُتب عني، وبالرغم من أن الكلام لم يكن خطيراً أو يؤدي إلى التهلكة فإنّه كان سبباً لفتح ملفات قديمة في الكُفرة.

أيام في التحقيق

بدأ التحقيق معي، فقال أحدهم: هذا الشاب ممن يلبسون لباس الدين من أجل أجندة سياسية خفية، وسألوني: أأنت من الإخوان المسلمين؟ فقلت لهم:

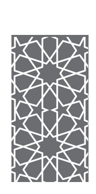




لا، ثم سألوني: هل أنت من حزب التحرير؟ فأجبت: لا، ولو كنت من حزب التحرير لصدعت به! فدُهشت لجنة التحقيق من جرأتي، وقال لي أحدهم: ما هذه الأعمال التي عملتها في الكُفرة؟ فقلت: ما فعلت شيئاً سوى أني كنت أدعو إلى الصلاة وآمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وانطلقت الآية من قلبي مثل القذيفة بانفعال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

قال لي رئيس الاستخبارات: أنا بريء من ذنبك، فأجبته: أنت لست بريئاً من ذنبي، هؤلاء سيشهدون عليك يوم القيامة بأنك ظلمتني! فارتجف الرجل من الغضب، وأحضر خشبة ضخمة ذات حبل مربوط بها، وأراد أن يبدأ بأسلوب التعذيب الأول، فأجلسوني كي أضع رجليّ على الخشبة لبداية التعذيب، وفي تلك اللحظة رددت بثبات قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[التوبة: ٥١]، وهنا تدخل أسلوب اللين، وقام بهذا الدور أمين اللجنة الشعبية إبراهيم بكار والطيب الصافي، وانفردوا بي في غرفة أخرى، وقال لي إبراهيم بكار: "يا بني، لعلك تخدم في أمريكا وأنت لا تشعر، فالمرشد العام للإخوان المسلمين في مصر يدعو في صلاته على أمريكا وهو عميل أمريكي، ونحن لا نريد إلا رضا الله، فلماذا هذه السبحة إلا لذكره جَلَّوَعَلَا؟"، وأخرج السبحة من جيبه، وكانت تلك الحركة منه استدراجاً حتى أتكلم على والدي، وأنه عنده علم بما حدث من الحديث عن الحركة الوطنية، وقد اتّهم والدي أن في رأسه أفكاراً سوداء يريد أن يزرعها في أبنائه... فانتبهت له.

جاء الطيب الصافي بهدوئه ودهائه وسألني: ماذا تعرف عن أبي الأعلى المودودي وسيد قطب، هل تقرأ لهم؟ فقلت له: لا أعرفهم. فسأل:





ما هي الكتب التي تقرؤها؟ فقلت: كتب ابن كثير والمنار لرشيد رضا. ثم سأل: من المدرسون الذين تأثرت بهم، ومن الشيوخ الذين تحضر لهم، ومن أصدقاؤك؟ فذكرت لهم محمد المصري العالم الأزهري، وهو خطيب مسجد الشهداء في بنغازي.

كانت لجنة التحقيق أشبه بوحوش بشرية، تستخدم أساليب الإرهاب، وتستخدم اللين أحياناً في تدمير الإنسان من داخله، وقد كانوا معي كمن يحاول عبثاً أن يثقب السماء، ونسوا قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ومما أذكره في ذلك التحقيق أني حين دخلت إلى هذه اللجنة قال لي أحد الحاضرين: اجلس يا حمار! وفي نهاية التحقيق جاءني وحده واعتذر؛ متأثراً بما قلته من آيات وأحاديث دفاعاً عن الحق، فسامحته، سامحه الله.

براءة من التّهم

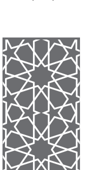
لم تخفَ أحداث التحقيق بالطبع، إذ سرعان ما كانت ترفرف في أوساط مدينتي (بنغازي)، وتشي للناس بأني متدين جداً، ومتهم بالانتماء لأحد التنظيمات الإسلامية، ولكني خرجت من تلك الجلسة بريئاً من جميع التهم:

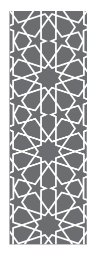
١. الإخوان المسلمين، ولهذه التهمة علاقة بوالدي الذي سجن عام ١٩٧٣م.

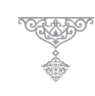
٢. حزب التحرير؛ لوجود بعض أصدقائي في السجن بهذه التهمة.

٣. الحركة الوطنية، من قضية يتزعمها فتحي الشاعري.

٤. محاولة اغتيال العقيد القذافي، وهي تابعة للحركة الوطنية.







٥. الاتصال بالجبهة الوطنية للإنقاذ خارج ليبيا، بزعامة الدكتور محمد يوسف لمقريف.

٦. التنظيم الديني؛ لأن العمل في الكُفرة من ٣ صفوف وحتى ١٧ صفاً في نهاية العام لا بدَّ أن يكون تنظيماً محكماً، على حد زعمهم.

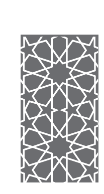
والدي سجيناً خلف القضبان

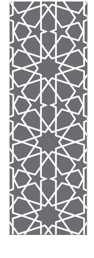
في حديثهم وتحقيقهم معي شعرت بتركيز متعمّد على والدي، وبالفعل أعلموني بعد ذلك أنّهم قبضوا عليه وألقوا به في السجن، فزاد ثقل الهمِّ على صدري، وافترش الحزن قلبي، وأصبح دعائي وبالغ همي أن يخرج والدي من السجن، وعندما عجزوا عن إيجاد مبررٍ لإبقائه حبيساً خلف القضبان أخرجوه من سجن ٧ إبريل، الذي كان مقراً لعصابات الإرهاب "اللجان الثورية"، ومعروفاً بالقمع والتعذيب والتنكيل بأساليب لا تخطر على بال أحد، وبمجرّد لفظ اسمه على أسماع الليبيين تفتح جراحهم، ويُفيق الألم من غفوته.

خرج والدي بعد خمسة عشر يوماً، وقد نقص وزنه، كما روت لي جدّتي، وما رآه أحد إلا انهمرت الدموع من عينيه بكاءً على حاله التي كان عليها ساعة خروجه، ومنذ ذلك الحين وُضعت علامات حذر على منزلنا، وتخوّف أهل المنطقة والأقرباء والأصدقاء من زيارته أو الاقتراب منه، وكأنّ عائلتنا أصبحت شبهة، فمن اقترب منها استحقّ السجن. ويصدق على هذه المرحلة قول الشافعي:

جَـزَى اللهُ الشَّدَائِدَ كُـلَّ خَيْر ... وَإِنْ كَانَتْ تُغَصِّصُنِي بِرِيقِي

وَمَا شُكْرِي لَهَا حَمْداً وَلَكِنْ ... عَرَفْتُ بِهَا عَدُوِّي مِنْ صَدِيقِي





حكي لي والدي لحظات ما بعد خروجه من السجن، فقال لي: "لم يأتِ أحد من أهل المسجد إلا الحاج محمد الهرسي، فحزنت لذلك ولم أعد أصلّي في المسجد المجاور، حتى جاءني بعض الناس الطيبين وألحوا عليّ، فرجعت للصلاة في المسجد الأول، وكأن شيئاً لم يحدث".

في غيابي

لم تستلذّ والدتي بفرح أو زيارة، وأصبح وجهها شاحباً من جراء الدموع التي أحرقت خدّيها، والأحزان التي تضرم النار في فؤادها. وكان جدّي (والد أبي) إذا ذكر اسمي شرع في البكاء، فصارت الأسرة تتحاشى ذكري أمامه، أما إخوتي فقد كبِروا، ومُنعت من رؤيتهم، حتى إنّي لم أتعرّف إلا على الكبار، فقد قُطعت الزيارات إليّ عن أهلي أربع سنوات تقريباً. وفي ذلك التحقيق لو أن لساني زلّ وذكرَ اسم أحد إخوتي أو أصدقائي لقُبض عليه، ولكن الله سلّم وحفظني من ذلك.

في لواء الحرس

حملوني إلى زنزانات لواء الحرس، فكان العذاب عذابين، حيث لا يطرق أسماعك إلا الصراخ والضرب والتعذيب، ويسّر الله لي من ساعدني وصليت العصر والمغرب، فكانت الصلاة مسكّناً لآلامي، ومهدّئاً لاضطرابي، وراحة تكشف تعبي، وطمأنينة تربت على كتف الثبات في نبضي.

هناك جاءني أحد الحرّاس ونصحني، على حدّ قوله لوجه الله، وقال: إن كان عندك شيء فاعترف به ولا داعي أن تتعب نفسك.





وهناك أيضاً رأيت شاباً قد كُبّلت يداه بالسلاسل إلى الخلف، والحارس يصفعه ذات اليمين وذات الشمال، ويقول له: اشرح لي هذه الفكرة "المدينة الفاضلة"[1]. وكان هذا الشاب قد تأثّر بها ودعا إليها، فاعتُقل وعُذّب، والله أعلم بمصيره!

في المقرّ الأوّل

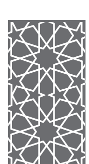
بعد يومين عدنا إلى المقرّ الأوّل، وهناك وجدت في الزنزانة أحمد العبار، كان طالباً وأبوه قد جاوز السبعين من عمره، حكى لي عن أوضاعه الاجتماعية، والقضية التي اتّهم بها وحبس بسببها وهي التخطيط لـ"قتل القذافي"؛ إذ كان سائقاً لفتحي الشاعري، وقد فهمت من خلال حديثه ما هي أبعاد القضية وما هو حجمها، ومن المتورّط فيها، فقد تمّ فعلاً التخطيط والتنفيذ والشروع في القتل!

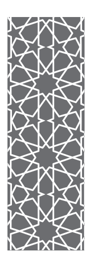
بعدها عُزلت وحدي في الزنزانة، وبقيت عشرين يوماً في زنزانة انفرادية، فكنت أقضي الوقت بين تلاوة القرآن وتسبيح الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾[الرعد: ٢٨].

خلال هذه الفترة، بدت أهميّة حفظ القرآن في الصدور جليّة الملامح أمامي؛ الصلاة وذكر الله والدعاء نورٌ وضّاء في الرخاء، ولكنه يبزغ أكثرَ حُسناً وجمالاً في الشدّة، حين يكون زاداً لصاحبه، يثبّته ويتمرّد على عزلته، فيربطه بمحبوبه الذي يسمعه ويبصره ويرحمه. ومن بعد تلك الحادثة صرت أتمنى على شباب المسلمين الاهتمام بحفظ القرآن، فإنهم لو حفظوه لوجدوه في الرخاء والشدّة، ولبلغوا بما فيه من العلم والحكمة ما ينشدونه.

---

(١) المدينة الفاضلة: مدينة نادى بها الفيلسوف اليوناني أفلاطون، تمنى أن يحكمها الفلاسفة ظناً منه أن كل شيء بذلك سيكون معيارياً، ومن ثم ستصبح المدينة فاضلة، وقد حاول أكثر من مرة بناء هذه المدينة بمساعدة حكام سيراكوسا إلا أنه فشل.



في المساء جاء شاربو الدم "اللجان الثورية" للتحقيق، ومعهم ملفات الكُفرة، فُتحت أبواب الزنزانات وأخرجني الطيب الصافي، وكان من كبار اللجان الثورية، وقال لي: وجدت بأنك رجل طيب ولا علاقة لك بالتنظيم، حيث وجدنا الحلقة المفقودة التي ظننا أنك صاحبها، فاخرج إلى أهلك.

لم تكد الدنيا تتسع لفرحتي، فها أنا أنجو من غياهب الجبّ التي رموني فيها؛ لكن عندما خرجت من الباب قال لي: ادخل إلى اليسار، وكان الباب الرئيسي لمقرّ الاستخبارات على اليمين، فانطفأت بوارق الفرح لحظة هزيمتها، وأيقنت أنّ لعبةً تحاك ضدّي.

وبالفعل عندما دخلت وجدت أمامي رجالاً أشراراً من قادة اللجان الثورية، متخصصين في التعذيب، وسيماهم في وجوههم من أثر المعاصي، فقال لي أحدهم: أنت علي الصّلابيّ.. نعرفك جيداً، أنت وأعمالك في الكُفرة، ولا تظنّ أنّا عنها غافلون، ولكنا كنا ننتظر الفرصة المناسبة لتصفيتك وسحقك يا متعفّن يا رجعي، غير أنك والحمد لله سُقت نفسك إلينا بنفسك، وفتحوا ملفات الكُفرة، واتهموني بأشياء أعرفها ولم أشترك فيها، وأخرى لم أشترك فيها ولا أعرف عنها شيئاً. وقد كانت التهم:

١ . كلّ ما فيه حرق وتخريب وتدمير نسبوه إلي، رغم أنّي بطبعي لا أؤمن بهذه الأساليب في التغيير، بل أذكر أنّ بعض الطلبة أرادوا نشر المناشير المعارضة في المعسكر، فمنعتهم من ذلك، وما كنت موافقاً على فكرة الحركة الوطنية من أساسها، وخاصةً في نشر المناشير؛ لأنّ مضارها أكثر من منافعها، كما أنّ عادة القذافي أنه لا يهدأ ولا يستقرّ حتى تقدِّم له الأجهزة قرابينَ من الأبرياء.







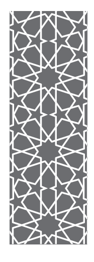
٢. محاولتي مع مجموعة من الطلبة قتل أحد أعضاء اللجان الثورية اسمه خالد سليم، وأذكر بالفعل أنه اعتدي عليه بالضرب والركل والشتم، إذ كان الطلبة يكرهونه وينبذونه، لكن يعلم الله أني لم أكن مشتركاً معهم في فعلتهم، بل كانت تربطني به علاقة احترام، ولم أوذِهِ بكلمة.

فرددت على المحقق عن هذه التهمة: "أنا مسلم، وليس من أخلاقي القتل"، فاستشاط غضباً، وشرع يتلفظ بالكلمات البذيئة وضربني بالكرباج، وكان خيوطاً من النحاس تصعق الإنسان بالكهرباء، وأصبحت يدي اليسرى كلوحة سكب عليها أحدهم حبراً أزرق من كثرة الضرب، وكان هو يضرب وأنا أردد: "سآخذ منك حقي عند الله في الآخرة"، هذا الكلام في تلك المواضع بمنزلة قنابل هدمٍ لكيان الظَّلَمة الداخلي، وقلّما يجدون من يصدع في وجههم بكلمة الحقّ.

٣. ذكروا أسماء الطلبة الذين كانوا معي في الحجرة في معسكر الكُفرة، واتهموهم بأنهم منظمون في خلية معي هم وغيرهم من الطلبة، وكان من تلك الأسماء: محمد إبراهيم (وهو الآن مهندس زراعي)، وناجي الحريري، وعمر صريط، وآخرون، حينها لو قلت لهم "نعم" عند ذكر أسمائهم لزجّوا بهم في السجن ولتعرضوا للشدائد، ولكنّ الله ثبّتني.

٤. حدث أن صورة للقذافي تحتلّ حائط الإدارة المدرسية ضربت بالفأس، وتُركت الفأس معلّقةً فيها رمزاً للعداوة والحقد على هذا الرجل، فاتهموني بذلك وقالوا: "أنت كسرت صورة المعلّم المفكّر القائد الثائر المناضل ابن الخيمة"، كما يتشدّق هو عن نفسه في خطاباته، فأجبتهم: "الحادثة وقعت يوم الاثنين حينما كنت في بنغازي، ولم آتِ إلى الكُفرة إلا يوم الثلاثاء، فكيف أكون أنا؟"، فبُهت الذي ظلم.





وفي تلك الحادثة قُبض على مجموعة من الطلبة وأدخلوهم السجن، ثمّ حققت معهم الاستخبارات في الكُفرة وحاولوا حملهم لطرابلس العاصمة، ولكن خوفاً من البلبلة بين الطلبة أطلقوا أسرهم مع فتح ملف خاص بهم.

٥. التحقيق في المجلة الإسلامية التي حاولت إصدارها من خلال اتحاد الطلبة. وقد أخذت حظها من النقاش، والكتّاب الذين شاركوا في المقالات، منهم الآن مهندسون وضباط وأطباء، ولكن إدارة المدرسة وأدت تلك المجلة ومنعت صدورَها لكونها تتنافى مع فكر الكتاب الأخضر.

٦. زار العقيدَ القذافي وفدٌ طلابي من اتحاد الطلبة، ولم أكن حاضراً رغم أني كنت رئيساً للاتحاد الطلابي، فكانت مزاعمهم: لقد امتنعت عن تلك الزيارة لأن الرجعية تجري في دمائك، وعند وقوفك أمام قائد الثورة سيكتشف بفراسته الثوريةِ رجعيتَك ويتبينُ له أمرك! فأجبتهم: إن معنى الثورة الحقيقي هو القضاء على الفساد، وليس معناها الزيارات والهتافات والشعارات، وما تركَت لي ممارسةُ عملي الثوري في المسجد والصلاةُ والدعوةُ وقتاً للزيارات؛ لانعدام من يخطب بالطلبة، فقالوا: الخطب التي خطبتها نعرف أهدافها ومغزاها، كما أنها مسجلة لدينا، فأجبتهم: تكلمت في الخطب عن الصلاة والرياء والظلم والخمور، فكانت واضحة!

٧. ثم اتهموني فقالوا: "استعار منك عبد العزيز الطلحي[1] كتاباً، ما اسمه؟"، كان ذلك الكتاب هو (رياض الصالحين)[2]. ومما أثار تعجبي هو أنّ بعض

---

(١) عبد العزيز هو شقيق جاد الله عزوز الطلحي، وحينها اختارني الطلبة رئيساً للاتحاد الطلابي بالاجماع.

(٢) كتاب (رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين) مؤلفه الإمام يحيى بن شرف النووي الدمشقي، المتوفى سنة ٦٧٦هـ.







النقاشات وجدتها مدوّنة أمامي، فمن الذي أعلمهم بذلك؟! ليسوا إلا طلبة من بني جلدتنا يبيعون كلّ شيء في سبيل أن يتقربوا زلفى إلى شياطين الإنس.

٨. "يا دجال، ما قصة النمل التي شاعت في المعسكر، تدجّل على الطلبة، وأنت مشعوذ بارع بالخزعبلات؟"، فأجبتهم: "عندما ظهرت جحافل النمل في المسجد شرع الطلبة في إحراقها، فأوقفتهم وقلت لهم إن هذا لا يجوز"، ثم سألت المحقق: "أليس القرآن شريعة المجتمع؟"، فقال: "نعم"، فقلت: "إذاً أما سمعت في سورة النمل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[النمل: ١٨]؟ لقد قرأت سورة النمل فتحول عن المسجد بعض النمل، ثم انتشرت هذه الحادثة وزاد فيها الطلبة... فما ذنبي أنا؟!".

حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا

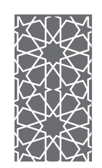
كانت كل الأعمال مرصودة عندهم بدقة متناهية، وقد أثار ذلك تفكّري في أمري؛ فإذا كان هؤلاء العبيد أفلحوا في مراقبة تحرّكاتنا، فما بالك بربِّ العزة؟ قال سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[الأنبياء: ٤٧].

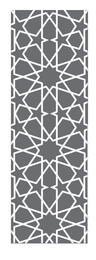
كان بعض المتهمين ينكرون أصحابهم من بعيد وقريب، بل وينسبون إليهم أشياء هم منها بريئون في سبيل خلاصهم، ثم يذكّرونك بقول الله تعالى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤ - ٣٧].

حدّثني الشيخ محمد الحراثي أنه قُبض على مجموعة الشيخ البشتي[١]، وأن أحد الشباب لم يقبض عليه، لكنه كان على علم بأنه سيكون في قبضة

---

(١) مجموعة الشيخ البشتي: من المجموعات السلفية التي تنتمي للشيخ البشتي،=





وحوش النظام عاجلاً أو آجلاً، فذهب إلى مقبرة ونام في القبر، وتخيل أنه مات وجاء منكر ونكير وبدؤوا مساءلته، فحاسب نفسه، لتكون هذه المحاسبة فيما بعد سبباً لتخفيف أهوال التحقيق على نفسه.

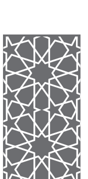
اللجان الثورية من أصعب أجهزة التحقيق

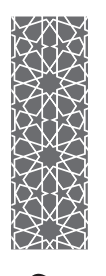
هددني الرائد الكيلاني، وهو شخص نُزعت من قلبه الرحمة والإنسانية، وقال لي: سأحملك إلى سجن ٧ إبريل، وهو لا يقل وحشية عن السجن الحربي في مصر، وسأقطعك إرباً إرباً، ثمّ صاح بمعاونيه: احملوه إلى الفلقة، فحملوني إلى صالة التعذيب حتى آخذ نصيبي من الضرب المبرح، الذي أسأل الله أن يكون تكفيراً للذنوب والخطايا.

يا أخي.. إنّ الألم النفسي الذي تجرّعته كان أشد عليّ من الألم الجسدي، ذقت معنى ذلة الرجال وغلبتهم، فأثَّر ذلك العلقم في أعماقي، فقد كانت الأرجل معلقة إلى أعلى والرأس إلى أسفل، وأنا أصيح: يا ربي يا ربي يا ربي، يا مغيث المستغيثين أغثني، وكان صوتي يصل إلى الإخوة، الذين حكوا لي فيما بعد عن شعورهم وإحساسهم وأنا أعذب، بأن الدعاء كان يصل إلى قلوبهم فيسري في أوصالهم حتى أوقف شَعْر رؤوسهم.

وبين الحين والآخر كانوا يفكون القيود عني ويجعلونني أهرول ثمّ أضع رجلي في ماء بارد مع نوع من الأدوية حتى لا تتورم، وأنا أصيح: "والله ما درت حاجة، غير أصلي بالناس وربي يعلم"، ولكن دون جدوى، فتورمت الأرجل

= وسميت باسمه، وقد كان الشيخ محمد البشتي خطيب مسجد قصر الملك بطرابلس في أواخر السبعينيات، وكانت خطبه حماسية تحرك عواطف الحاضرين، وكان ينتقد القذافي جهاراً نهاراً، وعارضه في عدة مسائل منها إنكاره للسنة النبوية.







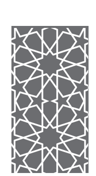
حتى بكت قيحاً ودماً، ليرمونني بعدها في الزنزانة كما ترمى الكلاب، ثمّ أعطوني أوراقاً وأمروني بأن أكتب فيها أسماءً، صدقاً أو كذباً، لكي يعتقلوهم، وتوعّدوني بالأساليب المتعددة إن لم أنفّذ الأمر. فدخلت وأنا أبكي، وصعوبة التحرك تزيد من بكائي، وفي فؤادي يتردد قول الله تعالى مكفكفاً للدمع: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت: ٢]، وقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَن وَلاَ أَذى وَلاَ غمٍّ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها، إِلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه»[1]. كان ذلك يشعرني بلذة إيمانية وأنا على المحك، وكنت أسلي نفسي بقول الإمام حسن البنا: "إذا فتحت لكم السجون وعلقت لكم أعواد المشانق فاعلموا أن دعوتكم بدأت تثمر".

وبين الفينة والأخرى تؤرق الأوراق الضمير وما طلبوه مني من افتراء على الناس، فقررت تجاهل تهديداتهم، وألا أكون يداً تغتال الأبرياء، والله المستعان.

وقد كان مما يحيرني أني لست عضواً في الحركة الوطنية، فكيف يقحمونني في هذه المنعطفات؟ ألم يكن الأولى بهم أن يتهموني بقضية إسلامية؟ لكنها حكمة الله التي اتضحت لي عندما التقيت بالشباب داخل الزنزانات؛ فما حدث في الكُفرة تكرر نفسه معهم بتوسع؛ إذ كان معنا من الإخوة من لا يعرف الوضوء ولا يتقن حفظ المعوذتين، وبفضل الله حفظ كثيرٌ منهم القرآنَ الكريم، وكأنّ الوقت قد توقّف، أو كأنّ الدقيقة تحبو ببطء على صدري، فالصبح والمساء ملغيان في قاموس السجن! فلا يمكننا أن نميّز بينهما؛ إذ لا شيء يدلّ على دخول أحدهما وخروج الآخر.

---

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، رقم الحديث (٥٣١٨)؛ مسلم، صحيح مسلم، رقم الحديث (٢٥٧٢).





وجاء محققو المساء، أو هكذا علمت من توعّداتهم، وفتحوا لي الباب ولساني وقلبي مع ربي يلهجان: "حسبي الله ونعم الوكيل، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولاحول ولا قوة إلا بالله..."، وكنت أفكر في حالي، وكنت أردد: "الله معي، فهو وليي وناصري". زجرني أحدهم وقال: أين الأوراق؟ فقلت: لم أكتب عن أحد، فهذا ظلم، والأصل إثبات أني مجرم لا بالتعذيب والضرب ولكن بالأدلة، فإذا واجهتموني بأناس نظّمتهم وشهدوا علي، فافعلوا ما شئتم.

إن الذين يقتدون بفرعون دائماً أساليبهم: ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[الشعراء: ٤٩]، فشرعوا في تعذيبي من جديد، حتى ساق الله لي ضابطاً من الاستخبارات العسكرية دخل على المجلس الثوري وهو يسأل عني، فأخرجني من المجلس بشدة وعنف، ثمّ حذّرهم قائلاً: لا يمسّن أحدكم علي الصّلابيّ، وأنا من سيجري معه التحقيق. نعم لقد أنجاني الله منهم في تلك الليلة... لكنّي لم أكن أدري أهذا من الأساليب المعتادة؟ فقد رأينا من يقوم بدور الإرهاب ليأتي بعده من يمثّل دور الطيب واللين، فتجد نفسُك حاجتها عند الآخر، وتنهار وتحكي له كل شيء، كالغريق الذي يتعلق بقشة.

في تلك المواضع... كلمة طيّبة من شأنها أن تصنع ما تعجز عنه السياط، ولكن ما حدث معي على يد هذا الضابط الأسمر أنّه قال لي: نحن نريد شباباً ملتزماً يصلي بالناس، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، الثورة ما أتت إلا لهذا، سأنظر في ملفات المتّهمين، فإن وجدت عنك شيئاً فلا تلومنَّ إلا نفسك، فأجابه أحد المحققين: هذا يشهد عليه ١٣ متهماً بأنه عضو في الحركة الوطنية، وهنا أيقنت أن المحققين يكذبون؛ لأن علاقتي بالشهود كانت علاقة سطحية،





ولم أجلس معهم ونتناقش في أمور التنظيمات، بل أقصى ما تطرّقنا إليه هو الحديث عن الصلاة والحثّ عليها.

وجاء هذا الضابط بنفسه لاستجواب الإخوة، وسألهم: ما علاقتكم بفلان؟ فأجابوه: كان يحدّثنا عن الصلاة والإسلام، فظهر الأمر للمحققين واتّضح أنني من المظلومين، وقد تأسف ذلك الضابط وأخبر أهله أن دخول مثل هؤلاء السجون خسارة للمجتمع، وأثنى عليّ، حتى إنّ الأمر وصل إلى أهلي وعلموا بالقصة قبل لقائهم.

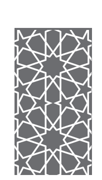
ألف باء الزنزانات

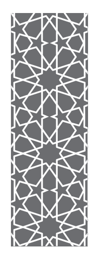
١. تخرج مرتين للحمام في الصباح والمساء تحت وابل من الضرب والإرهاب والشتائم في مدة لا تتجاوز دقائق، ولكنّها قد تقلّ عن ذلك، وقد يحالفك الحظ فتتوضأ، والغالب أنك لن تستطيع أن تتوضأ، بل أحياناً كان بعض الإخوة يقضون حاجاتهم داخل الغرفة من شدة الضغط.

٢. أجبروا البعض على شُرب الأوساخ والنفايات بالقوة مع السخرية والاستهزاء، فيُكرهونه من هنا ثم يحضرون له الطبيب من هناك، وإحضار الطبيب يكون في أثناء التحقيق فقط.

٣. من كان يعاني عقدة نقصٍ لتدني مستواه التعليمي والثقافي عيّنوه في الحراس للانتقام من السجناء السياسيين المثقفين.

٤. لا قبيلة ولا قريب ولا أسرة ولا شهرة ولا منصب ولا جاه، ولا أي شيء، نعم لا شيء بإمكانه مساعدتي، إلا الإسلام والإيمان والقرآن، فأيقنت أنه لا منجى من الله إلا إليه، وكان لي في يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسوة حسنة.





لم أنقطع عن الاستحمام أسبوعاً في حياتي، إلا في تلك الزنزانات، فمن عادتي الاستحمام كل يوم حتى يومنا هذا، حيث اسودّت الملابس وأصبحت متعفنة، وقد خلعت الملابس الداخلية ورميتها في الحمام، وأما وزني فقد نقص كثيراً بحيث أصبح سروالي يسقط إلى قدميّ، ويحتاج لربطه بخيط.

كان وجه أمي لا يفارق مخيلتي، وقد رقَّ قلبي لها، وذرفت الدموع حزناً عليها، واشتعل الشوق والحنين للإخوة والأخوات والأصدقاء، الذين كانوا يمدونني بالجلادة وقت الشدة التي أقاسيها، وتلك محنة لا يتحمّلها أو يثبت فيها إلا رجل ربط الله على قلبه بالإيمان ولذة تلاوة القرآن، فكنت أستمدّ رباطة جأشي من صلتي بالقوي العزيز الجبّار.

ما تورعت الدولة عن عرض العمل لديها على بعض السجناء في هذه الفترة، وبالفعل وافق بعضهم وخرجوا بكفالة (العمل مع النظام).

ساعات التعذيب

بداية مسلسل التعذيب والضرب بالكرباج تكون بعد صلاة العشاء في أغلب الأحوال، وتمتد إلى ساعات متأخرة من الليل، حتى إذا ما انتهت، تبدأ قصة جديدة على يد رجلٍ سفاح يجد لذّته في التعذيب... طويلٌ.. عريضٌ.. أحمرُ البشرة.. يترنّح مخموراً كعادته، ويباغت الإخوة فيقتحم الزنزانات ثم ينهال على القابعين فيها ضرباً، وقد سمَّاه الإخوة الثور البولندي، وهكذا كانت تمضي الساعات وأنا في ترقّب، أبقى منتظراً دوري، وهم ﴿ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾[التوبة: ١٠]، ولم يكن في قلوبهم رحمة، ولا تفريق عندهم بين الضحايا، فلا صغير تشفع له حداثة سنّه، ولا كبير تشفع له شيبته، والكل سواسية أمام هذا الثور البولندي.







وإن كان أحد السجناء من الخمارين قدّموا له الأعذار، ونعتوه بالقذارة، وإن كان شيخاً من أهل الدين والتدين، جعلوه من الدجالين، وسخروا منه، فقالوا: ما أتى بك إلى هنا إلا سخط الله عليك، والذنوب التي فعلتها.

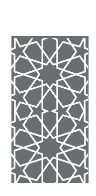
ويتحدث علي العكرمي كما جاء في رواية "طريق جهنم" للكاتب الأردني أيمن العتوم عن مسلسل التعذيب داخل السجون فيقول:

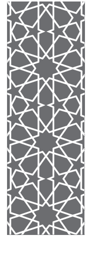
كنا نسمع صرخات التعذيب، آهات المذبوحين، استجداءهم، في كل يوم، أحياناً توقظنا تلك الصرخات في منتصف الليل، أحد الزبانية عنَّ له أن يتسلى فأخرج سجيناً بطريقة عشوائية من أقرب عنبر إليه وراح يتلذذ بتعذيبه، وكان بعض التعذيب يتم أمام أعيننا جميعاً، كانوا يفعلون ذلك لزرع الرعب في قلوبنا.

أحدهم ألزموني أن أقف فوق رأسه، انهالوا على رأسه بهراوة غليظة، نفر الدم من جبهته كنافورة، صرخ صرخة نزعت الحياة من روحي، استجداهم أن يتوقفوا، قال لهم: "توقفوا واكتبوا ما تريدون على لساني وأنا أوقع عليه.. فقط ارحموني". لم يتوقفوا، ظلوا يضربونه، وظل يصرخ حتى خفت صراخه مرة واحدة، وهمد فجأة!

رأيت أناساً قلعت أظافرهم، وظلوا لا يستطيعون المشي شهوراً، ورأيت جلوداً اصطبغت بالدم أول التعذيب، ثم لما تجلط الدم في المساء بدأ اللون الأزرق يظهر، ثم لما ترك فيها العفن زمناً تحولت إلى اللون الأسود حافرة أخاديد، وتاركة تشوهات ظلت ترافق السجين إلى آخر عمره.

ورأيت أصابع مقطوعة جراء الضرب بالكاوات المعدنية، لممت عن الأرض بعضها، ولم أدر ما أفعل بها، أعطيتها للحاج صالح، لفها في بعض القماش ودفنها في الآريا في صباح اليوم التالي في غفلة من أعين الحرس،





رأيت أسلاكاً كهربائية تغوص في أقدام سجناء وتُنتَزع من باطن تلك الأقدام آخذة معها شيئاً من لحم القدم، مخلفة وراءها دفقات كبيرة من الدم لا تتوقف.

رأيت أناساً ماتوا تحت التعذيب أمام ناظري، كيف يمكن أن أصف خروج الروح من جسد المعذب؟ هل يكون الخروج خلاصاً؟ هل يكون الموت في هذه الحالة أمنية؟ لقد كان كذلك حقاً، لكن أمنية الموت كانت تجري على ألسنتنا ألف مرة دون أن تتحقق، كان الدخول في الغيبوبة أول الخطوات إلى الخلاص؛ أول الدرب إلى النجاة، كثيرون لم يصحوا من غيبوبتهم، كانت أرحم من أن تعيدهم ببعض رشقات الماء إلى الحياة ليواجهوا الموت في كل جلدة[1].

وأمام هذه المشاهد المؤلمة، يستحضر المؤمن عبارات الأمل والمصابرة التي نادى بها شعراء الأمة حول السجن ومعاناته، والصبر على ضيقه، إذ يقول الشاعر الدكتور أنس الدغيم:

مِن قلبِ يعقوبَ حتى قلبِ يوسُفِهِ — ذئبٌ وجُبٌّ وأشواقٌ وأحزانُ

عينانِ وابيَضّتا، ظَهرٌ كمئذنةٍ — مقسومةٍ وتراتيلٌ وقُمصانُ

وسُنبلاتٌ بلونِ الحُلْمِ يعبرُها — قلبٌ نبيٌّ وسلطانٌ وسَجّانُ

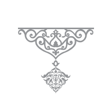
فمَن يؤذّنُ في العيرِ التي فصَلتْ — أنّ الذي في ظلامِ السِّجنِ إنسانُ؟

مستضعفون في السجن

تغير حال البلد، وأُقْفلت المطارات، وشددت الحراسة على البوابات، وأُعلنت حالة الطوارئ في الأجهزة الأمنية، غير أنّ كل هذا لم يمنع الأخطاء

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.



التي يرتكبها أعوان النظام، فمثلاً: وقع في قبضة الأجهزة الأمنية رجل اسمه أسعد محسن البناني، وهو من نفس عائلة المتّهم سعد المطلوب لهم، وألقوا بأسعد في السجن، وبعد ما فعلوا به الأفاعيل، انتبهوا أنهم وضعوا الشخص الخطأ، فأخرجوه وساقوا له بعض الأعذار التي لا تسمن ولا تغني من جوع!

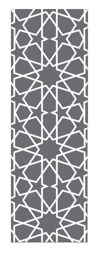
إن رحمة الله لا يمكن منعها، فعلى الرغم من كل ما مر بنا، فقد كان هناك من يرى في منامه رؤى طيبة، فأحد الإخوة رأى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدّثه في منامه، هذا بالإضافة إلى الواردات التي يقذفها الله في قلوب المستضعفين، فأيقنت أن السجن سجن القلوب، لأنّ السعادة تسكن قلب صاحبها لا مكانه، وبهذا المعنى أصبح سجني خلوة.. وموتي شهادة.. ونفيي سياحة..

حادثة لا أنساها في الزنزانات

في الأيام الأولى من السجن فُتحت أبواب الزنزانات، وأخرجوني أنا ومجموعة من الإخوة، فسلم بعضنا على بعض، وكنت أعرف منهم نايف السنوسي، وكنت على يقين في داخلي بأنهم لن يتركوه لأنه من العائلة السنوسية، ومن بعدها تغيرت معاملة الحراس معنا، وطلبوا منا السماح والعفو، إذ ظنوا بأنّنا سنخرج ونعود إلى أهلنا، وبالفعل طويت تلك الصفحات السوداء، وسامحتهم من أعماق فؤادي؛ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[يوسف: ٩٢].

بعد تلك المرحلة حملونا إلى مقر مركز شرطة المدينة في ميدان الجزائر في بنغازي، وكان سابقاً مقر شرطة المرور، فأصبح مقر محكمة الشعب،





وفيه التقينا بوكيل نيابة أمن الثورة، والتقيت أيضاً بمجموعة من الشباب، وتعارفنا، وكان منهم عبد اللطيف بسيكري الذي له علاقة نسب بمصطفى الخروبي[(١)].

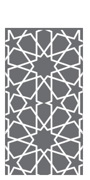
وبعد دخولنا السجن كان يرسل التطمينات للأسر والأهالي، ولكن لم يُنفذ منها شيئاً، وعلمنا أن الرجل الذي فيه شيء من التدين ولا تفارقه السبحة والصلاة والمصحف كان يعدُّ محلّ ثقة مطلقة للقذافي، وكان هذا الرجل تمرّ عليه كل الحركات السياسية، فيحكي بنفسه لأحد الإخوة الذين حقق معهم بأنه هو والعقيد القذافي عندما كانوا يريدون التحرّك إلى مقر أو مكان ما، يطلبون البركة والتوفيق بقراءة سورة "يس" قبل الانطلاق، وعندما يباشر في التحقيق مع بعض الإخوة يحضر له المصحف ليحلف عليه ثم يستأنف التحقيق، وكان لا يقول: تريدون قتل أخي العقيد، بل يقول: أخي معمر.

يا ظلام السجن خيم

تشتدّ ظلمة الليل حلكة بسواد قلوبٍ ما عرف نور الرحمة إليها طريقاً، ففي مركز المدينة؛ مركز الظلم والظلام والأعصاب المشدودة، تظهر لنا طاقة من الرحمة تطمئنّ لها القلوب، هي النور الخالد الذي لا ينطفئ في كلام الله عَزَّوَجَلَّ...

في ذات ليلة، طلب الموقوفون مني أن أتلو على أسماعهم شيئاً من القرآن، فتلوت لهم سورة الكهف في تلك العتمة وسط الجدران الحديدية، وكان هذا لقائي الأوّل بالشباب الذين كُتب لنا أن نكون معاً بعد بضع سنين، وبدأت الدعوة من تلك الجلسة، فانتفضت في نفسي من جديد روح التحدي، ووخزني شعوري

(١) مصطفى الخروبي: أحد الضباط الأحرار، وعضو من أعضاء مجلس قيادة الثورة التي قام بها القذافي للانقلاب على محمد إدريس السنوسي.





بأن علي دوراً لا بد أن أقوم به، ولا سبيل إلى الراحة إلا بالمهدئات النفسية والقلبية المتمثّلة في تعلّم تعاليم الدين وتعليمها.

كان الإخوة في الجلسة من ألوان طيف المجتمع، فمنهم الخمّار والحشاش وصاحب النساء والأسفار والتأثر المتطرّف بالغرب، لايعرفون شيئاً عن الإسلام إلا أنّه الدين الذي ورثوه من آبائهم وأمهاتهم مع عاطفة جياشة في محبة الرسول الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقرآن العظيم، لقد دخلوا قلبي من أوسع أبوابه، فأحببتهم حباً شديداً، خاصةً من لم يتجاوز عمره الثامنة عشرة، فأولئك كانوا الأقدر على فهمي .

وإن ظلام السجن لا بدّ له أن ينتهي، وأن يخرج الأحرار إلى الحياة، وينتصر المظلوم على جلاديه، وعن التفاؤل والأمل يقول الشاعر أنس الدغيم:

يا صاحبي السّجنِ إنّ قلوبَنا ... لا تستطيع حصارَها القضبانُ

ما زال فينـا مِن خزائنِ يوسفٍ ... كَـيـلٌ ومِـن قمصاننا برهانُ

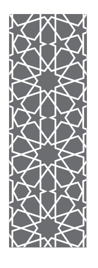
والسّنبُلاتُ الخُضرُ في أعماقنا ... ما زال ينبضُ عِرقُها الرّيّانُ

رغـمَ القيودِ طليقةٌ أرواحُنـا ... ومُقيَّدٌ بقيودنـــا السَّجّانُ

تحقيق المباحث العامة

عناق البحر للشاطئ لم يكن يعني بُعد أحدهما عن الوجع الذي تزفره البلاد، إذ يقع مقرّ هذا الجهاز في وسط المدينة قرب ميناء بنغازي، ومِن رجالاته مَن خدم النظام السابق أيام المملكة الليبية، ووقف مع من جاء للحكم، وهم في الحقيقة يتسببون في المضرة أكثر من النفع، ولا يملكون قراراً في الحل والعقد؛





لأنهم قطع شطرنجية يلهو بها غيرهم ويحرّكها كيف يشاء، لا أخلاق تردعهم ولا دين يوقفهم، وكنت أحسبهم يفعلون ما يرضي النظام.

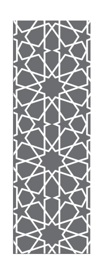
ومن عادة جهاز اللواء والاستخبارات واللجان الثورية والمباحث العامة أن يكون بينهم عداء كما قال تعالى: ﴿بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰۚ﴾[الحشر: ١٤]، فكانوا يقدمون أبناء الشعب الليبي المظلوم قرابين إرضاء للنظام، ونالوا من نظام القذافي الامتيازات والأعطيات والسيارات، وكانوا يصولون ويجولون في البلاد؛ وأذكر من بين القيادات في جهاز اللجان الثورية والاستخبارات، عمران والسنوسي وعثمان الوزري والمقروس والمنيسي والشيخي والزلاوي وغيرهم.

كان هذا الجهاز ملاذاً لمجموعة من الشباب الهاربين من القوات المسلحة والتجنيد العسكري، وله شبكة واسعة في الصفوف الطلابية، وقد خصصت رواتب لأعضائه، ومقاعد في جميع الكليات والجامعات، ولهم مقر أيضاً لقمع أي انتفاضة طلابية، وكانوا يعرفون من أشكالهم، وسياراتهم، ولباسهم، والنظارات التي يلبسونها والشوارب التي يربونها.

ومن أعضاء الجهاز من كان يُكلف بترك اللِّحى، والتوغل في أوساط المتدينين، والحفاظ على الصلوات وكتابة التقارير، وأعرف منهم من كان يصلي في مسجد الشهداء في بنغازي بمنطقة الحدائق المقابلة لبيتنا، ويحضر الدروس التي كنت ألقيها.

وبعد خروجي من السجن، وفي أحد الدروس أخطأت في الاستدلال بآية فأصلحها لي في الجلسة، فقلت له: بارك الله فيك، وجزاك الله خيراً، ومنهم من يشتغل في المصانع والمؤسسات والحقول النفطية، فيأخذ راتباً من الجهتين؛





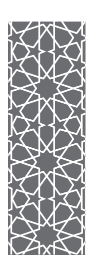


من الجهة التي يعمل فيها ومن الجهاز التابع له، ومنهم من يكلف بالسفر للخارج وخاصةً في مواسم العمرة والحج، ووظيفتهم كتابة التقارير عن الحجاج، وفتح الملفات لهم، والاستعداد للإشارة لقادة الأجهزة الأمنية للقبض على أي شخص، وأذكر أنهم كانوا يهتمون حتى بلون الملابس التي يلبسونها، فكانوا يترددون عليّ بعد خروجي من السجن.

هذه بعض اللمحات عن هذا الجهاز وأعضائه، وقد كنت حين دخلت إليه لا أعرف عنه شيئاً، ولا عن طبيعة عمل أعضائه، وكنت أظنهم يحاربون المخدرات والجاسوسية، لكن اتضح لي أنهم يحاربون الساسة والوطنيين الذين لديهم آراء وأفكار تخالف نظام القذافي.







مجلس التحقيق وغياهب السجون السوداء



في فترة الزنزانات، استدرجت الاستخبارات ١٢ شاباً، لم يبلغوا الثامنة عشرة من عمرهم، والسبب أنهم صغار ويريدون مساعدتهم، وسيُحملون إلى الدائرة المغلقة ليتقدموا بالاعتذار لأخيهم الأكبر (القذافي) عما كانوا سيفعلونه، وأنهم قد غرّر بهم، وبعد هذا الاعتذار سيذهبون إلى عائلاتهم، وبالفعل أدخلوهم الإذاعة، وتكلموا مع القذافي مباشرة عن طريق الدائرة المغلقة، واقتنع القذافي بأنهم يريدون قتله، فأمر أن تأخذ العدالة مجراها، ووقع الأولاد في الفخّ، وعندما خرجوا ظنوا أنهم راجعون إلى بيوتهم، ولكنهم أُلقوا في غيابات السجون المظلمة.

ومما أثار غضب السلطة أن الأولاد المتهمين في القضية هم من أبناء الأسر المعروفة في ليبيا، وهو ما دفع القذافي للانتقام من الأسر من خلال سجن فلذات أكبادهم.

حاولت الاستخبارات ربط القضية بالجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، ولكن لا توجد أدلة على ذلك، ففي ١٩٨٤م تكلم القذافي عن الإخوان المسلمين، وعن عمرو النامي، وقال إنه صاحب نزعة بربرية، ولهذا كان من الشخصيات الإخوانية التي تنتمي للإخوان المسلمين، وحاول في نهاية الخطاب أن يربط بين الجبهة الوطنية والإخوان، وفي ذلك الخطاب تحدث عن ملف قضيتنا، وقال إن الأولاد الآن يواجهون مصير الموت، وينتظرونه في السجن في خطاب رسمي، فتأثرت الأمهات والآباء والأقارب، أما أسرنا فحاولت ما في وسعها حتى يئست وعلمت بأنه لا مفر ولا ملجأ من الله إلا إليه.








تحقيق واستجواب

نعود إلى التحقيق في المباحث العامة، أذكر أنه حقق معي كل من المقروس والمنيسي[1]، وقد استجوباني وسألاني عن الإخوة الذين كانوا معي في المدرسة وقُبض عليهم بتهمة التحرير الإسلامي، وعن علاقتي بالتحرير الإسلامي، فكنت أجيب بحذر من طبيعة الأسئلة؛ وكان الاستجواب على الشكل التالي:

- ما رأيك بالقذافي؛ أهو مسلم أم كافر؟

فأجبت: رجل يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، ثم أليس يصلي!

- ما رأيك بالبيت الذي يسكنه؟

فأجبت بقول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلى مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَن كانَ لَهُ فَضْلٌ مِن زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَن لا زَادَ لَهُ...»[2].

- ما رأيك بالتجنيد؟

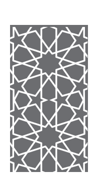
أجبت بقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[الأنفال: ٦٠]. وانفجر المجلس بالضحك.

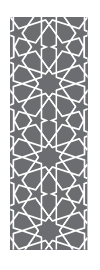
- ماذا تريد؟

لم يخطر ببالي إلا شيئين؛ وهما: الاستحمام لأغتسل من الجنابة؛ إذ لم استحم منذ ٤٥ يوماً، والمصحف لقراءة القرآن، وفعلاً دخلت الحمام واغتسلت،

(١) المقروس والمنيسي: محققان في جهاز الأمن الداخلي، وهما الآن في ذمة الله.

(٢) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال، رقم الحديث (١٧٢٨).







وكانت فرحتي كبيرة في وقتها، وكان باستطاعتي أن أهرب من الحمام، ولكن كنت أظن أن المدة لن تطول إلى بضع سنين في كلية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكنت وكأني أزحت عن نفسي ثقل الدنيا وهمومها.

وحقيقة كانت الإجابات صادقة من الواقع، ومن ثم فقد كان هناك أمل كبير أن أخرج، كما أنه لم يكن هناك ما يثبت إدانتي ويسوغ بقائي في السجن، ولكن الله أراد شيئاً آخر؛ أراد أن أجول ببعض المحاكم والسجون في ليبيا، وبدأت من الكويفة إلى الجديدة إلى الحصان الأسود (القسم المدني) إلى (القسم العسكري) إلى سجن أبو سليم، وكنت أوّل دفعة في هذا السجن.

وتنقلت ما بين المحاكم الجنائية إلى الثورية إلى العسكرية، والتقيت بأطياف من الناس كانوا في السجون منذ عام ١٩٦٩م، -أي عندما كان عمري ٦ سنوات- متهمين بالقضايا العسكرية والسياسية والانتماء للتحرير الإسلامي، ومنهم الشيوعيون والوطنيون والقوميون واليساريون واليمينيون والإسلاميون، وكنت أعيش حياة مختلفة تماماً عن حياة البشر خارج السجن، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[يوسف: ٢١].

كان اللقاء في اليوم التالي مع وكيل نيابة أمن الثورة (ابن يونس)، الذي كان يشتغل في هذا السلك من أيام حكم المملكة، فله باع طويل وخبرة واسعة في هذا المجال، وهو من الثقات الذين لهم رأي يؤخذ به عند القذافي، وخاصةً في القضايا السياسية، ويعرف ملفي جيداً، فقال لي:

– ما هو برنامج والدك في البيت؟ (سؤال لئيم)

فأجبته: أنا لا ألتقي بوالدي إلا في المساء.

– هل يكلمكم عن شيء في الدين؟

فأجبته: أحياناً عن سيرة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.







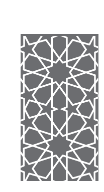
فقال لي: هكذا الإخوان يفعلون؛ ولو شددت في التحقيق معك لأخرجت منك خلايا من الإخوان في بنغازي، يا بني احمد ربّك أنك الآن لست في غياهب السجون مع التحرير، وأنك ستخرج، عليك بدراستك والصلاة، فلا تتكلم في الدين إلا في المسجد، وفي الحدود المسموح بها.

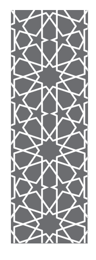
خرجت من عنده متفائلاً مستبشراً، ولكن الله أراد أن يكون زملائي في حزب التحرير بعد عامين ونصف من الحبس في الخارج، وبقيت في السجن إلى عام ١٩٨٨م!

وقد ذكر الأستاذ صالح القُصبي في كتابه "كأنك معي: مذكرات سجين رأي في سجون القذافي"، وهو من أكثر الأشخاص الذين تعرضوا للسجن السياسي في عهد القذافي: "من الطريف أن المدعي العام حسن بن يونس مرض قبل إحالتنا على محكمة الشعب، وقد اتفق أن يمرض الأخ الشهيد حسن كردي، وأن يُمرَّضا في مكان واحد، ويتحادثا في قضية المحاكمات، ويقول الأستاذ حسن بن يونس للأخ الشهيد: إنكم أولادي، وإنكم مسلمون مخلصون، ولا أريد بكم شراً، غير أن العقوبة لا بد أن تلحق الشيوعيين.

وإذا بالأستاذ المحامي العام يستأسد علينا ويصول ويجول في مرافعاته التي ينسبنا فيها إلى القرامطة وغير القرامطة من الزنادقة المتطرفين، ويطالب بإعدامنا جميعاً نحن الـــ ٦٠ شاباً".

يقول الأستاذ صالح القصبي، في قضية حزب التحرير الإسلامي: "وأسأل الله تعالى أن يعينني على نشر مرافعة الأستاذ المحامي العام لأطلع الملأ على سوء نية وأفعال هذا المدعي العام، وللعلم فإن الأستاذ حسن بن يونس طالب بإعدام جميع المتهمين في قضايا الثورة الشعبية عام ١٩٧٣م، فما الذي ينجيه في دنياه وآخرته".



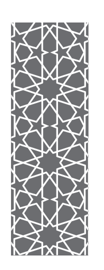




ومما جرى في التحقيقات أنهم قالوا لي: لا داعي لذكر الآيات، فقلت لهم: أنتم تريدون الكلام الذي حدث، وهذا هو الكلام الذي حدث، فكانوا ينظرون إليَّ ثم يكتبونها على مضض، وكان موعد التحقيق في وقت صلاة الجمعة، بعدها أرسلوني ضيفاً إلى سجن الكويفة برسالة توقيف مدتها ٤٥ يوماً، حيث كانت القوانين الوضعية المعمول بها تقضي بأن من حق نيابة أمن الثورة أن توقف المتهم ٤٥ يوماً، وبعدها إما أن تفرج عنه وإما أن تحوله إلى المحكمة، أما أنا والإخوة فلا يعرفون التعامل معنا إلا بإشارة من السلطات العليا، ولذلك ذهبت ٤٥ يوماً وجاءت التي بعدها والتي بعدها، فحملوني إلى نيابة أمن الثورة لتجديد المدة أكثر من ١٠ مرات، حتى حملوني مع الإخوة مكبلين بالأغلال إلى العاصمة طرابلس.







الدخول إلى سجن الكويفة

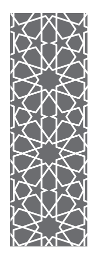


في يوم الجمعة، وتحديداً بعد صلاة العصر، وكانت الروح المعنوية عالية، استقبلني الحراس وأخذوا مني بعض الأشياء؛ منها مبلغ مالي وساعة، وقادني أحد الجنود بقسم (الشيلات) إلى الزنزانات الانفرادية، وعندما دخلت وجدت أمامي رجلاً عارياً، فظننت أن الذي يدخل إلى هذا المكان يجرّد من الملابس، لكن تبين لي أن ذلك الرجل أصابه الجنون في جريمة حشيش، ووجدت الشباب في الزنزانة منهم من يبكي واضعاً يديه على القضبان الحديدية، حيث كانت الزنزانات مثل أقفاص الأسود، ومنهم من كانوا فعلاً كالأسود في الشجاعة والجرأة والإقدام، وأذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر محمد سويسي، وهو من أبناء الحركة الوطنية، وقد آمن بضرورة التغيير، وشرع في تنفيذ قتل القذافي، فأودع السجن وحكم عليه بالمؤبد، وكان ثابتاً في محنته، ثم إنه تعرف على الإسلام، فآمن به عقيدة ومنهجاً، وكان كثير البكاء عند سماع السيرة النبوية وحياة الصحابة، حيث كان محباً لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وكان يترك الإخوة حتى يناموا ويشرع في قيام الليل.

كما كان محافظاً على الصيام، ومحباً للعلم، يحب الدعوة، وقد شرع بمسؤولية العمل للإسلام، وأكرمه الله قبل خروجه من السجن برؤية عمر بن الخطاب في المنام يمتطي جواداً وخلفه مجموعة من السجناء، وبالفعل بعدها فرج الله عنه.

وعندما خرج من السجن قام بما في وسعه من عمل الخير، وكان عندما يحضر جلسات الإخوة وهم يتحدثون عن نقد الحركات الإسلامية بعضها لبعض،







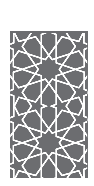
كان يلقي عليهم هذه القنبلة: "إخوانكم في السجون والظلم لا يزال قائماً ونحن ينقد بعضنا بعضاً".

وكنت قد تركته على خير، والله أعلم ماذا حدث معه في الأحداث التي ضُربت فيها الحركة الإسلامية في يناير ١٩٨٨م، ونسأل الله أن يحفظهم جميعاً، ويخرّج منهم العلماء والشهداء.

فهذه شخصية من الشخصيات التي تربت في مدرسة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وله وقفات أمام المحكمة الثورية، حتى إن أحد الإخوة الحاضرين من أولياء الأمور أطلق عليه اسم (العفريت المؤمن)؛ نسبة إلى أحد أبناء الحركة الإسلامية في مصر.

دخلت على الإخوة وحالة التعاسة تملأ وجوههم، فأحببت أن أرفعَ من الروح المعنوية لديهم، وطلبت منهم أن يرددوا معي: "اللهم إنِّي عبدك وابن عبدك وابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيَّ حكمك، عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي، وأن تجعلني أخشاك حتى كأني أراك، وأسعدني بتقواك"، فراحوا يرددون معي وتتجاوب جدران الزنزانات مع صوت المستغيثين والمستضعفين، وقد تأثر الحراس من ذلك المشهد؛ إذ عادة يدخل في تلك الزنزانات القتلة والحشاشون واللصوص، أما الآن فحدث شيء آخر.

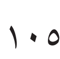
بعدها بدأت بتلاوة القرآن وتنزلت السكينة في المكان، وارتفعت المعنويات، ثم بدأت بإلقاء المحاضرات، وشرحت قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأجر الصبر عند الله، وتحدثت عن الامتحان والابتلاء والاختبار من الله، وبأن في ذلك فوائد





كثيرة للعباد، ثم نظمت جدولاً لتلاوة القرآن وللأحاديث والسيرة، ولم يكن أغلب الشباب قد سمعوا بهذا!

وفي تلك الفترة حفظ الإخوة مني قول الله تعالى: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[يوسف: ٣٩]، وأيضاً قول الله تعالى: ﴿وَقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾[الإسراء: ٨١]، ومنهم من لم يصلِّ بعد، ومنهم من لم يفتح القرآن من قبل، فبدأت الاستجابة الحقيقية للإسلام، وكنت أكتب لهم السور القرآنية القصيرة: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا﴾[الزلزلة: ١]، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾[النصر: ١] على أوراق الحليب، وتنتقل من الزنزانة إلى زنزانة أخرى، وفي وقتها لم تكن هناك كتب أو مصاحف في السجن.

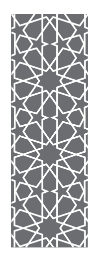


وكان في القسم المقابل مجموعة من الإخوة السودانيين حُبسوا معنا بتهمة العمالة للرئيس السابق جعفر النميري، وحصلنا منهم على مصحف قديم، وما كان أشد فرحتنا بذلك. ومن رحمة الله التي لا يستطيع القذافي منعها أن قذف الله في قلوب بعض الحرس محبتنا، وتكلمنا معهم عن الإسلام، ومنهم من تأثر وتعلم منّا الصلاة، فكانوا يساعدوننا لفتح أبواب الزنزانات بعضها على بعض، فإذا سمعوا بأحدٍ قادم من الخارج ويقترب من العنبر، دخلنا وأقفلوا علينا الزنزانات؛ لأن لوائح السجن تمنعنا من ذلك.

وقد استطعنا من خلالهم الاتصال بأهلينا، فجزاهم الله عنا كل خير، فهذه نرى فيها قول الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[فاطر: ٢].

وتعرفت في السجن على عبد الكافي بو زيان، وهو سائق سيارة نقل لا يقرأ ولا يكتب، اتهموه بأنه ممول للحركة الوطنية، ودعمها، والسبب في ذلك





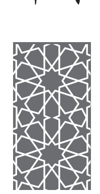


أن زعيم التنظيم استدان منه مبلغاً من المال وقد ذكر في التحقيق ذلك، فتحولت التهمة إلى ممول للتنظيم.

حكى لي بو زيان عن ظروفه الاجتماعية، وعن احتراق أخيه في حادث سيارة عند المدينة الرياضية في بنغازي، ووفاة والده ثم والدته، وأنه هو الذي يشتغل ويصرف على إخوانه وأخواته ولا أحد يعينهم إلا الله ثم خاله.

وحكى لي أن المباحث العامة طلبوا منه التحدث عن زوج أخته، وكان ضابطاً سابقاً في قضية عمر عبد الله المحيشي وهرب من ليبيا، وضغطوا عليه للاعتراف بأمور لا يفهمها، ووضعوا له المنفاخ وطلبوا منه خلع ثيابه، فأخبرهم أن يكتبوا ما يريدون؛ لأنّه أُمّيٌّ لا يستطيع الكتابة، فكتبوا ما أرادوا وسلم الرجل أمره لله، وكان الحكم بالسجن المؤبد، فتعلم في مدرسة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (السجن) القراءة والكتابة والقرآن والإسلام، وحسن حاله، وفرّج الله عليه معنا في ما يعرف في تاريخ ليبيا الحديث بجماعة "أصبح الصبح"، فلا السجن باقٍ ولا السجان.

وأذكر ممن كان معنا أيضاً يوسف الشاعري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد قبض عليه لأنه أخو الزعيم فتحي الشاعري، وقد تعب كثيراً في حجزه، وفرج الله عليه في فترة التحقيق، ولا أنسى أنه كان في الليل يطلب من الحراس فتح الزنزانة وإحضاري إليه لقراءة القرآن، وقد ودعنا بالبكاء والدعاء، وخرج من السجن، وبعدها بأيام مات إثر حادث أليم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة فلما جاءنا الخبر تأثرنا به جميعاً، وقرأنا لروحه القرآن ودعونا له، وأقام له الإخوة دورياً لكرة القدم، وسموه كأس المرحوم يوسف الشاعري، وكانت لنا عبرة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾[لقمان: ٣٤]، وهو الوحيد الذي خرج من بين إخوته في الزنزانات، ولعل الله أخرجه ليكون أجله.





وممن ابتلاه الله بالسجن معنا الأخ عبد الله الشاعري، وكنا ننظر إليه كأب لنا، وقد زجَّ به نظام القذافي ظلماً وزوراً في السجن. فقد كان مسافراً في الخارج، وحين عاد وجد عملاء النظام في انتظاره بالمطار، وأودعوه معنا وأتعبوه كثيراً، وكان ابنه معنا أيضاً، وقد ابتلاه الله بالسجن رحمة به؛ لأنه لم يكن يصلي، ومن المنغمسين في هذه الحياة وغفلتها، فتحسن حاله وأصبح من القراء، يُعلم الإخوة التلاوة، وأنا تعلمت منه قواعد النحو، وفي أحد الأيام مرض، فقال لي: "سألت الله ألّا يجمع عليَّ شيئين؛ إما السجن وإما المرض"، وبالفعل عافاه الله من المرض.

كان صريحاً إلى أبعد الحدود، ففي يوم من أيام السجن وبمناسبة إتمامي حفظ القرآن الكريم أقام الإخوة احتفالاً ليعبروا فيه عن فرحتهم، فكان مما ذكره في كلمته التي ألقاها قوله: "من فضل الله علي هذه أول مرة أحضر فيها احتفالاً دينياً بمثل هذه المناسبة"، وتغيرت فكرته ونظرته داخل السجن، وأصبح على خير كبير، نسأل الله له التثبيت.

طلبة يُدخلون أستاذاً معهم في السجن

هو الأستاذ محمد عباس، مدرس الرياضيات بمدرسة شهداء يناير، وكان يدرّس مجموعة من الطلبة الذين اشتركوا في عملية تخطيط لقتل القذافي، وقد سجنوا بسبب ذلك، وأُدخل معهم السجن، فتأثر كثيراً ولم يُطِق صبراً، فروينا له ما مر على أيوب ويوسف عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ من بلاء وصبر، وكان يصرّح بأنه لم يكن يعرف سيرتهم وذلك ما أثار استغرابنا.

ثم إنه تحسن حاله بعد ذلك، وشرع في حفظ القرآن، وكنا إذا قمنا لصلاة القيام كان معنا كثير البكاء، وإذا أقيمت صلاة جمعة بكى، وقد بقي معنا، ولكنه لم يكمل المراحل كلها، فعندما نفد صبره فرّج الله عنه.






سعد عامر البرغثي

هو أخ في الله، من طلبة كلية الزراعة، تعرض لنفس المحنة وكانت له قريحة شعرية، عبَّر فيها عن تلك الأحداث وهداه الله وشرح صدره للقرآن، وأتم الله عليه بحفظ القرآن مع العمل والفهم الجيد والاطلاع.

كان صاحب نكتة فلا تمل من الجلوس معه، له نفس حساسة جداً، ذات غَيرة، مع قوة في الحق، بل لقد أكرمه الله برؤية رسوله الكريم ورؤى مباركات، فشعر برحمة الله عليه، وقد حكم عليه خمس سنوات ظلماً وزوراً.

كان ذا شخصية مؤثرة ومحبوبة، وقام بدور مهم في الدعوة في السجن على قدر الاستطاعة، وبعد أن فرج الله عليه فتح متجراً للعصائر، وكان يقول: أرجو أن أكون تاجراً أميناً حتى يحشرني الله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثمّ انتقل إلى لندن بعد ذلك.

عبد الحكيم سعد صالح البرغثي

طالب بكلية الطب في السنة الرابعة، ترى في وجهه نور الإيمان، من تلاميذ الشيخ محمد البشتي، اُعتقل مع الشيخ البشتي ودخل السجن أسبوعين، ثم خرج وساقه الله إلينا، ودخل معنا أيضاً السجن، كان عبد الحكيم قد حفظ القرآن الكريم، وسبب دخوله السجن أنه علم بمنشور ضدّ نظام القذافي ولم يبلّغ عنه.

كان ذا شخصية محبوبة للجميع، مع أدب وخلق وعلم، تأثرت بهدوئه وأخلاقه، وتعلمت منه كثيراً من الفقه، وكنت أقول له أنت أستاذي، وهو من الذين أجرى الله على يديه الخير الكثير، ونقل إلينا صورة طيبة عن الشيخ محمد البشتي ودوره في الدعوة في مدينة طرابلس، وعن الأحداث التي اعتُدِي فيها





عليهم داخل المسجد بعد صلاة العصر من يوم الجمعة، وثبات الشيخ البشتي، وعن تكفير الشيخ البشتي للقذافي الذي ألغى سنة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ونقل لنا صورة من تجربته القصيرة مع اللجان الثورية، وأساليب التعذيب التي مارسوها عليه، وكيف تركوه في تابوت واقفاً داخل سيارة النقل تسعة أيام، وكيف حاولوا تشويه صورة الشيخ البشتي في شرفه وعرضه، وامتناع الشباب من شهادة الزور.

لقد عرفنا بعض التفاصيل وأحببنا الشيخ البشتي من خلال عرض الأخ عبد الحكيم له، ولكن تفصيل القضية وحياة الشيخ البشتي الربانية التي عاشها عرفتها في المرحلة الأخيرة التي عشت فيها مع الشيخ محمد الحراثي، الذي لنا معه صفحات قادمة؛ لأنه يعدُّ شيخ المشايخ في السجون الليبية في عهدنا، أي في الفترة التي كنت فيها سجيناً؛ لما قدمه من تعليم للشباب وتحفيظ القرآن الكريم.

اختلاف لا خلاف

أذكر أني في المرحلة الأولى من السجن كنت أدعو بهذا الدعاء: "اللهم إن كان أمر السجن خيراً لنا فصبرنا"، فيعترض بعض الإخوة على ذلك، ويقولون: "ادعُ بهذا الدعاء لك"، فأردّ عليهم: "إننا نطلب من الله أن يخرجنا بالإيمان والإسلام وفهم القرآن مع الثبات"، فكان البعض يقول: "نتعلم هذا في الخارج".

سليمان الشاعري

هو أخو فتحي الشاعري، حملوه للتعذيب ونكلوا به تنكيلاً شنيعاً، وكان القائم بذلك عبد الله السنوسي، فردَّ عليه وقال: إن طال الزمان وأخرجني الله لأنتقمنّ منك، ولأزرعن ذلك في أبنائي، لقد فعل عبد الله السنوسي -عديل القذافي- الأفاعيل بسليمان الشاعري، كما كان يحكي لنا سليمان.






كان سليمان بعد أن تعرفت عليه عوناً من الله في حلِّ المشاكل والنزاعات بين الإخوة، وكان يمثل للإخوة الأب الحنون؛ يتفقد النائم في الشتاء بالغطاء، والمهموم بالجلوس معه، ودائماً ما يقول: "فرجُ الله أراه قريباً إن شاء الله، هذا التجمع فيه حكمة من الله لا نعلمها نحن"، فقد أعطاه الله القدرة على الدخول في أوساط الناس، حتى إنه كان يحضر لي بعض المجرمين فنحدثهم عن الإسلام.

وفي يوم من أيام رمضان جاء برجل قُبض عليه بتهمة حشيش، فجلس معنا وتأثر بالحديث، وقال: ما جلست في حياتي مثل هذه الجلسة، وكان قد تعلم منّا الصلاة، وتعهده سليمان بالتربية، فحسن حاله، وأصبح من الدعاة داخل عنابر المجرمين.

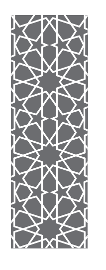
سجن الكويفة في سطور

يقع مقرّ هذا السجن شرقي مدينة بنغازي، ويعدُّ مدرسة كبرى في الإجرام، وما من شاب دخله في قضية سرقة إلا واعتدى على شرفه المجرمون في الداخل، إلا من رحم الله، ومن ثم يخرج للمجتمع مجرماً محترفاً حقيقياً، فكان بؤرة فساد تجمع أعتى المجرمين في حياة أخرى.

هل تعلم أن السجّانين يخافون من بعض المجرمين الذين يضربونهم ويعتدون على بيوتهم وأولادهم وسياراتهم، بل كان السجانون يحضرون لهم ما يريدونه من الخارج، ففي الداخل تجد مصانع للخمور، وسوقاً رائجة لبيعها، وكذلك الحشيش، وأسعار السلع التموينية مضاعفة!؟

هل تعلم أن أجساد المجرمين كانت تملؤها رسومات خضراء في صدورهم، وهي عبارة عن رسومات لنساء عاريات، وعلى أيديهم ثعابين وقلوب واستيلات (من علامات الألمان)، ومخاطيف وزخارف متنوعة!؟





هل تعلم أن المجرم عندما يكمل مدة حكمه يخرج ويسطو على البيوت ويعتدي على الناس، حتى يعود من جديد للسجن!؟ ويمكننا القول: إن الدولة هي المسؤولة عن هذا الفساد.

هل تعلم أن لهم صلاحيات ليست للسجناء السياسيين، فيشتغلون في الخارج ويخرجون كل خميس للمجتمع؛ لأن القوانين الوضعية لا تجعل الفطرة السليمة تستقيم على المنهج الرباني، فكم من شاب حكم عليه ستة أشهر في قضية زنا، فلما دخل السجن أفسده مجتمع المجرمين فأصبح مفسداً، وبدل أن يخرج مستقيماً يخرج أكثر اعوجاجاً، فلو قام عليه حكم الجلد مثلاً، ولو أقيم على السارق حكم القطع، لخفّت ميزانية السجون، ولصلح حال المجتمع بدل أن يزداد ظلاماً فوق الظلام.

ومن فضل الله علينا أننا عزلنا عن هؤلاء المجرمين، وحُبسنا في عنابر خاصة، ووضع معنا المتهمون الذين لا تتجاوز أعمارهم ١٨ سنة، فكانت فرصة طيبة للدعوة إلى الله، واستقطبنا منهم من نستطيع، وأقمنا مدرسة داخل السجن للتعليم، وأذكر من الذين ساهموا فيها علي إدريس الشلماني، شقيق أبي الدحداح (الشهيد في أفغانستان)، وعبد الحكيم البرغثي، وجلال البرعصي.

مدة جديدة وعَنبر جديد

حملت من السجن إلى النيابة العامة لتمديد المدة بعد انتهائها، فقد مضى ٤٥ يوماً جديداً، هكذا والأيام تتوالى، أذهب لتجديد المدة على يد وكيل نيابة أمن الثورة، وفي ذلك المشوار حدث حوار مع وكيل نيابة أمن الثورة (علي أبو بكر) ومساعده المقصبي الكاتب، وسألني:







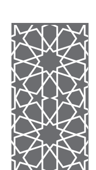
بعد مراجعة التحقيق هل لديك أقوال أخرى؟ أجبته: نعم. فقال: وما هي؟ فقلت له: أنا مظلوم، والله بيني وبينكم، فقال: تريد طلب استرحام أو رحمة من الدولة؟! فأجبته: لم أفعل شيئاً يستحق هذا، الذي أعلمه أنكم أخذتموني من دراستي ومن بين أهلي وأبي وأمي، ولا أحد يستطيع أن يأخذ الحق منكم إلا الله، فقال: أنا لم أفعل لك شيئاً، فشعرت وكأن ضميره وخزه، فأجبته: لم تفعل شيئاً غير أنك تكتب فقط، وذكرت قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾[إبراهيم: ٤٢]، فقال لي وكيل النيابة: تصلح أن تكون شيخاً، فأجبته: هذه الشدائد تؤهلنا أن نكون شيوخاً في المستقبل، ومن فضل الله عليّ أني أردّ على سخريتهم فأشعر بسعادة في نفسي عند رجوعي إلى السجن، أما الرائد المقروص فسألني بسخرية: كم شخصاً هديت؟ فأجبته: الهادي هو الله. فقال: هابا عليك حتى أنت غير تسلم[١].

وجدت ما حصل في الزنزانات أمامي في مقرّ المباحث العامة، وسألوني: ما هي الآيات التي تقرؤها للشباب في الليل حتى يناموا؟ فضحكت وحزنت؛ ضحكت عليهم، وحزنت على إخوتي وعلى ضعفهم بحيث أنه حتى هذه الأمور لا يستطيعون كتمانها.

ورجعنا إلى السجن، ونقلونا من الزنزانات إلى العنبر الخاص بالسياسيين، ودخلنا في الحجرة التي دخل فيها والدي من قبل، والحاج صالح الغول، وعبد الكريم الجهاني، وصالح النوال عام ١٩٧٣م، في ما يعرف بالثورة الثقافية.

---

(١) عبارة باللهجة الليبية، ومعناها "لست هيناً، حتى أنت غير تسلم".







إسلام جاسوس في الزنزانة

كان في الحبس رجل إيطالي قد تجاوز الخمسين من عمره، متهم بقضية تجسس، وقد وضعته إدارة السجن مع الإخوة، فتأثر بأخلاقهم وصفاء نيتهم، فدعاه الإخوة للإسلام، فاستجاب لذلك، وأذكر ممن دعاه وكان سبباً في إسلامه علي الشلماني وبعض الإخوة، جزاهم الله خيراً، وقد أقمنا له حفلة صغيرة ولقناه الشهادة، ودخل إلى حجرته ومسح الصلبان المرسومة على الجدران، ولا أدري ما هي أخباره الآن.

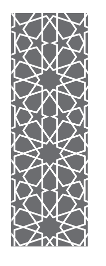
وخلال مراجعة وتحقيق هذه المذكرات، كان لي حديث مع أحد رفقاء السجن، وهو الأستاذ علي الشلماني، وهو رجل أعمال مقيم في لندن، وقد خرج من ليبيا في عام ١٩٩٤م، وقد تواصلت معه وتبادلنا أطراف الحديث بعد انقطاع دام أربعة عقود، واجتهد جزاه الله خيراً في قراءة مسودة هذه المذكرات، وكان له تعليق عليها، وذكرني بمشاعر الفرح بالنجاح وأمل اللحاق بالجامعة، وكيف قضينا أياماً حافلة، ولحظات فيها الأمل والألم في مدرسة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ .

طُرَفٌ من حياة السجن

لا أنسى يوم الجمعة، وذلك المنظر الجميل حيث يصطف الإخوة على طول الممر، وأنا أقف بين بابي الزنزانة أخطب بهم وأصبرهم على حالنا، وكنت أثناء الخطبة أصف لهم حنشاً، وخانني التعبير فقلت: "جاء الحنش مهرولاً"، فمسكوها عليّ، وأصبحت نكتة طريفة يتندر بها الإخوة؛ لأن الهرولة لا تكون للأفاعي.

وأذكر حدثاً فكاهياً آخر، وهو أني حين كنت أؤذن لصلاة الفجر نمت في منتصف الأذان من شدة الإعياء والتعب، وبينما كان الإخوة ينتظرون





أن أكمل الأذان كنت مستغرقاً في النوم، وراح الإخوة ينادونني وظنوا أنه حدث لي أمر ما، فاستيقظت وأكملت بعدها الأذان، وأصبحت من الذكريات الطريفة.

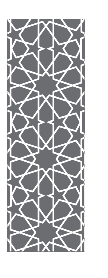
أول زيارة من الحبيبين

من المواقف التي لا أنساها عندما جاء الحرس وأخبرني بأن لديَّ زيارة من أهلي، فلا أنسى شعوري وأنا أكتب وقلبي يهتزّ مستذكراً صورة والدي ووالدتي من خلف القضبان، وشباك الزيارات، والحزن، والوجوم، وآثار البكاء ظاهرة على وجه أمي الحبيبة، كان والدي متجلداً صبوراً محتسباً مسلماً أمره لله، وبعد هذا المنظر تأثر الحرس مما رأى، فقد كان أول لقاء لي، وسمح لنا باللقاء عن قرب لا حاجز يفصلنا، ويختزل اللقاء بكلمات: (أم نكبت في ابنها وابن مشتاق لها)، وبعد أن انتهت الزيارة رجعت إلى الإخوة في الزنزانات أحمل لهم الهدايا وما أتاني من والديّ، ووزعته بالتساوي، فهذه عادة السجناء، فما جاء من شيء إلا وأصبح للجميع، وقد كان والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كريماً خيّراً يأتي بكميات كبيرة.

دعاء في الزنزانة

في يوم من أيام الجمعة عشت ما عاشه البشر من ألم نفسي وضيق، وأنا جالس وحدي في الزنزانة، وإذ بلساني ينطق هذا الدعاء: "اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين..."، فانقلب حزني وألمي بقدرة الله إلى سعادة، وأصبحت الزنزانة كأنها روضة بقدرة الله، وهذه الحادثة لا أنساها أبداً.





ذكرى ميلادي في الزنزانة

حصلت على كتاب تفسير لسورة الأحزاب، وما كان أشد فرحي يومها بحصولي عليه، وما ذلك إلا دلالة على الظمأ والعطش للكتب الإسلامية، وبدأت بقراءته متمعناً في كلماته، ولا أنسى إلى الآن بعض تفاصيله حول غزوة الخندق.

وجاء ذكرى يوم ميلادي (١٧/ ١/ ١٩٦٣م)، وأنا بين القضبان، وعندها دخلت في سن الثامنة عشرة، وأذكر عند خروجنا من الزنزانات فصلوني مع الأحداث؛ لأني كنت لم أتجاوز الثامنة عشرة من عمري عند القبض علي، فكان بعض الإخوة يتندر: (شيخنا ظهر، حَدَث وهو صغير).

وهذه من بعض الذكريات وقد ضاع كثير منها نتيجة لطول المدة والانقطاع عن الإخوة الذين كنت معهم.

العبْ تكسب (لعبة الضامة)

لعبت مع الإخوة لعبة الضامة، وكنت أشترط إن فزت أن يلتزم الآخر بحفظ سورة من القرآن، وأذكر أن المباريات كانت تدور مع صلاح بوزريبة، وقد هزمني، وتكفلت بحفظ سورة الأنبياء، وحفظتها.

إبراهيم المايل سجيناً بسبب نسيبه

التقيت بإبراهيم المايل، رجل جزّار، اشتعل رأسه شيباً، حكى لي عن سبب سجنه أن أحد زعماء تنظيم الحركة الوطنية كان نسيباً له، وهو زوج ابنته عبد السلام الشلتات، ففي إحدى المرات ترك زوجته عند أبيها، وأخبره أنه سوف





يتأخر؛ لأن عنده اجتماعاً مع أعضاء التنظيم، فقال إبراهيم المايل: شكلك شكل تنظيمات!

وبعد القبض على عبد السلام سجنوا أبا زوجته، وكان رجلاً أمياً، وفي التحقيق سألوه عنه، فأخبرهم بما قاله له عبد السلام، فقال له المحققون: ما هي أشكال التنظيمات في تصورك؟ واتهموه بأنه يعمل ممولاً للتنظيم.

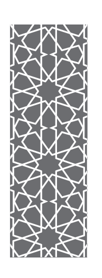
كان إبراهيم المايل شديد النقد للنظام، ولديه نكت لاذعة، تكتب فيها رسالة جامعية منفصلة، منها: (هذا عصر الجماهير، عصرنا عصرة شينة)، وكان كثير التعليق على الخميني، ويسميه (النخيمي السفاح)، وكان كثير الدعاء عند الوقوف والجلوس وقبل النوم حتى يفرج الله عنه لأبنائه وبناته الذين لا يملكون مصدراً للرزق إلا من أبيهم الجزّار، ويذكرني بقول الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوۡ قَاعِدًا أَوۡ قَآئِمٗا ﴾[يونس: ١٢]، وحكم عليه بالسجن المؤبد، وسبحان الله! على قدر المصيبة ينزل الصبر على عباده.

كانت تلك من مظالم نظام القذافي، فرجل جزّار أميّ لا يقرأ ولا يكتب يحكم عليه بالسجن المؤبد في قضية سياسية، وتلفق له التهم والمكائد، وكان أن تعلم القراءة والكتابة وحفظ سورة (تبارك) وسورة (يس).

التعرُّف على محسن ونيس القذافي

هو أصغر سجين سياسي في ليبيا، فقد كان عمره حين قبض عليه ١٥ سنة، لم تكن له علاقة بالقضية، ولكن والده كان رئيساً للوزراء في زمن الملك إدريس الأول ملك ليبيا قبل الثورة، وامتنع أن يذهب إلى القذافي من أجل ابنه، والقذافي يريد إذلاله، ولكن الرجل أبى وكابد محنة فراق ابنه، وقد تربى ابنه في مدرسة







يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فمن فضل الله على هذا الشاب أن أدخله السجن؛ إذ حفظ فيه القرآن، وتعلم التفاسير، وكان كثير الصمت مع تفكير دائم في المستقبل.

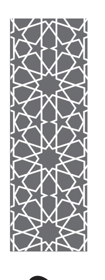
ربطتني به أخوة في الله، فقضينا معاً ثلاث سنوات قبل انتقالي إلى العنبر السادس، كان من المحافظين على مجالس العلم، وخاصةً في دراسة القرطبي من الساعة التاسعة إلى ما قبل الظهر، ومن بعد الظهر والعصر إلى المغرب، فكان السجن له مدرسة شرعية.

كان بعيداً عن المشاكل، وفرض احترامه على الجميع مع صغر سنه، ومن مواقفه التي تدل على ثباته صبرُه وتحمله التعريض والإساءة إلى والده في التحقيق والمحاكم، وقبل خروجه من السجن بقليل سمع بموت والده فاسترجع وأسلم حكمه لله.

جمعنا القرآن على المحبة، فكان كل منا يعرض ما حفظه من آيات على الآخر، فوقفنا عند قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[الحشر: ٢]، ولم نستمر في تسميع القرآن في ذلك اليوم، يوم خروجنا من السجن، إذ جاء القذافي بآلة ضخمة وهدم جداراً من جدارنا، وباباً من أبواب السجن، وكان يمكن أن يفتح الباب بدون هذا الإفساد للعباد والبلاد.. وبعد خروجه من السجن قدمه رواد مسجد الجبل الصاعد (مستشفى الأطفال في بنغازي)، وصلّى بهم صلاة التراويح، وأتى أناس كثيرون للصلاة خلفه.

لقد دخل السجن طفلاً، وخرج رجلاً بشخصية إسلامية لا تعرف المداهنة، فبعد خروجه جاءت الإذاعة المرئية للمشاركة في احتفالات الشعب







بمناسبة إخراج السجناء واللقاء مع أهاليهم؛ لمدح القذافي والنظام، فمنع أمه وأخته من اللقاء في التلفزيون، ولم يمدح النظام ولا القذافي، على عكس كثيرين مع كبر سنهم، فأصبح ذلك اللقاء حديث الساعة في أوساط الشعب الليبي، ودليلاً على تربية الإسلام لأبنائه.

وأذكر أني رأيت رؤيا وأنا في سجن طرابلس في العنبر السادس، ومحسن كان في العنبر الخامس، فقصصتها على الشيخ محمد الحراثي، وهي أني مع محسن نزور قبر أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الشيخ: "ستذهب للحج أنت ومحسن"، وبفضل الله خرجنا، وفي العام نفسه ذهبنا معاً للحج، ودخلنا الروضة الشريفة، وزرنا قبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبر الصحابيين أبي بكر وعمر، وتذكرت حينها الرؤيا، فسبحان الله! ما أعلى شأنه وأعظم قدرته!

وقصة الحج والأحداث التي مررت بها كتبتها في رسالة سميتها (الحج بعد السجن)، وكيف هو شعور السجين بعد خروجه إلى الحج مباشرة، وخاصةً عندما يكون في سجن القذافي، لم نكن ونحن في المعتقل نظن الخروج في زمن القذافي؛ بسبب أساليبه الإرهابية؛ المعنوية منها والمادية، التي يستعملها ضد السجناء السياسيين وأهاليهم.

كان سجن القذافي مثل سجن فرعون، من دخل فيه لا يخرج، كنا نرى مَن حَكَمَت عليه المحكمة ثلاث مرات براءة، ومكث ٨ سنوات في السجن، ومن حكمت عليه ٧ سنوات ومكث ١٧ سنة، فهم لا يفرقون بين أعمى ولا مجنون ولا شيخ كبير، ويقطعون زيارات الأهالي سنوات متتالية حتى نسينا صورة إخواننا وأصحابنا، وكان القذافي في خطاباته يشبه سجنه بجهنم، فيقول: "لابثين فيها أحقاباً"، ومرة أخرى قال: لا إعدام للخونة أعداء الثورة، بل نضعهم في مكان "لا يموت فيها ولا يحيا"، ولا أحد يستطيع أن يطالب







بحقوق السجناء السياسيين، وقد أنكرهم نهائياً عندما قال: لا يوجد في ليبيا سجين سياسي، بل كلهم مجرمون. فكيف خرجنا نحن؟ إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء.

ما الذي أخرجنا؟ إنه الله الذي لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض، ساق القذافي وفي حكمه خرجنا لنعلم أن الله فوق الأسباب والمسببات، وهنا نستحضر قوله تعالى: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[فاطر: ٢].



وقد خرج أخي محسن من ليبيا، بسبب المضايقات واشتداد القبضة الأمنية، إلى تونس عام ١٩٨٨م، وله وجهة بعدها؛ لأن النظام أراد إرجاعه من جديد لكن الله سلم، وآخر ما علمته عنه أنه في محنة النفي الجبري، هذا هو نظام القذافي.. وكيف يعامِل أبناء الشعب الليبي المسلم في ليبيا.

وفي هذا القسم التقيت بالإخوة جلال البرعصي، وأحمد البرعصي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ومصطفى خليفة، ومحمد العبار، ويوسف قرقوم، ويوسف الفيتوري، وناصر العبدلي، وغيرهم من الشباب المظلومين في الخارج، وكانت اللجان الثورية تُطالب بإعدامنا، وكل يوم لها رأي وقرار، وكان شغلي الشاغل في مدرسة يوسف حفظ القرآن وقراءة التفاسير والدعوة والعلم والتعلم، فحفظت القرآن بدون شيخ، ووقعت في أخطاء كثيرة في الأحكام والتشكيل، وقد عانيت منها كثيراً حتى عندما راجعته على يدي الشيخ محمد الحراثي، فما زال الحفظ الأول يؤثر فيَّ إلى الآن، ونسأل الله أن يمكننا من القرآن قراءة وتلاوة وعملاً لما يحبه ويرضاه.





وفي هذه الفترة دخلت الدعوة، ووصلنا إلى المجرمين، وقد طلب مني بعض الإخوة أن أبتعد عن إلقاء الخطب والدروس والصلاة بالناس؛ وذلك إشفاقاً وخوفاً منهم، ولأنها تؤكد الانتماء إلى الإخوان، ولكن بفضل الله لم أهتمّ ولم أبالِ بذلك.

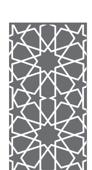
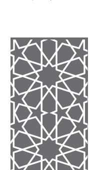
وحدثت متاعب كثيرة مع الإخوة السجناء، فهناك من وقع في الغيبة وكان يحذرهم مني ومن الاستماع إلي؛ لأن فكري إخواني، وهذه قضية قد تحسب إلى جانب قضيته، لكن بعض الإخوة الطيبين كانوا يلومون المتكلم ويفضحونه ويخبرونني بذلك، ومن فضل الله لم تكن ردود أفعالي نحو الإخوة سيئة، بل كنت أقول سامحهم الله، وكان منهم من يأتي ويعتذر لي بعد ذلك..

وتحدثت مع الإخوة الذين يتابعون الغناء والمغنيات كأم كلثوم ووردة الجزائرية، ويدافعون عن ذلك بكونه حلالاً وليس حراماً، وكنت أنصحهم بتركها، وأقنعتهم بأنه ليس من حقهم أن يفرضوا علينا السماع، فكانوا يجعلون السماعات في آذانهم.

كانت تمرُّ علينا مشاكل كثيرة من هذا النوع بسلام، وذلك من نعم الله علينا، وأذكر أنه مع مرور الزمن أصبح الإخوة يعرفون معنى الوقوف عند النصوص الشرعية.

أحداث مهمة في العنبر

هذه هي المرحلة الثالثة، وقد فتح الله علينا باباً من أبواب الرحمة، إذ سخر لنا رزقاً ووصلتنا كتب التعليم والتفاسير، ومن المعروف أن جهاز أمن الثورة هو المسؤول عنا، والتعليمات تمنع منعاً باتاً دخول أي كتاب أو مجلة إلى



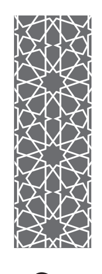
عنبر السياسيين، وقد علقوا إعلاناً على مدخل السجن بذلك، ومن يتعاطف مع السياسيين يتعرض للعقوبة، فكان المجرم من تجار الحشيش يخاف كثيراً من التهمة السياسية.

لقد أراد الله لمجموعة من الشباب الخير، فقذف في قلوبهم محبتنا، وكانت في السجن مكتبة مليئة بالكتب من زمن الملك إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وعند دخولنا كانت مغلقة ففتحت، وأصبحوا مسؤولين عنها، فكانت تخرج الكتب بأسماء المجرمين وتصل إلينا، وأصبحت بذلك سبباً في بناء قاعدة مؤسسة على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قبل أن نختلط بالسجناء السياسيين الآخرين في طرابلس؛ وأذكر من هذه الكتب تفسير القرطبي في عشرين مجلداً، ومنهاج المسلم، وصحيح مسلم، وتفسير الجلالين، والإيمان والحياة للقرضاوي، والعلم والإيمان لعبد الرزاق نوفل، وغيرها، فهذه المرحلة من المراحل الأولى للعلم التي قطعتها داخل السجن.

في السجن تربى كثير من المجرمين المحترفين على أيدينا، وصلح شأنهم، وأذكر منهم على سبيل المثال: عبد الرزاق الذي دخل السجن في قضايا متعددة كالسرقة والاعتداء، ويحكي عن نفسه أنه ليست هناك أفعال تخطر على الشيطان إلا وفعلها، ويعدُّ من شباب السجن وفتوته.

وكانت بداية أمره أنه كان يتضايق من حديثنا، ثم بعد أيام جاءنا يسأل عن دينه، وجلس معي في مجالسي الخاصة، وأصبح يرافقني باستمرار، وتوثقت العلاقة بيني وبينه. وأذكر من مواقفه أنه لما جاءني الخبر بوفاة جدّي -والد أمي محمد مخزوم الفيتوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بكى بكاءً شديداً.








ومن مواقفه أيضاً أن أحد الإخوة رفع صوته عليَّ فهمّ بضربه، وقال له: أترفع صوتك في وجه شيخنا؟! ولكنّي منعته بالقوّة، ومن مواقفه أيضاً أن مجموعة من المجرمين كانوا قد أدخلوا الخمر إلى حجرته، فبطش بهم بطشاً قوياً، وقال لي: لقد أخبرتنا بأننا لا بد أن نغير المنكر باليد.

ويحكي لي أنه بعد التزامه أصبح السجانون ينظرون إليه نظرة احترام وتقدير، وقدّمناه للصلاة بالسياسيين كلهم، وهو كان من المجرمين، فتأثر كثيراً وشعر بعزّة الإسلام وبآدميته وإنسانيته، وبعد خروجي من السجن علمت أنّه مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة.

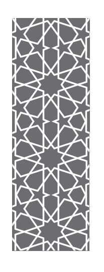
إدارة السجن تهدم مسجدنا في العنبر

قام الإخوة بنصب خيمة فوق العنبر، ومن خلال جزء منه أصبح لنا مسجد، ومن داخله بطن بالقماش وبني المحراب فيه وكأنه تحفة من المساجد العتيقة، وسجلت فيه الخطب، وكان محورها يدور حول مواضيع يحتاج إليها السجناء في داخل السجن.

ولكن إدارة السجن خشيت على نفسها، وخاصةً بعد أن أصبح المسجد مقرّاً للتجمع، فطلب مني آمر السجن إزالة المسجد، فكانت إجابتي قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن﴾ ﴿خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤]، وسألته: لماذا تُصرّ على أن أزيله أنا، ألا يوجد في السجن غيري؟

وعلمت أن الإخوة قالوا إنهم لا يستطيعون إزالته إلا بإذن مني، فامتنعت، فهددني، ولكني لم أبالِ بالتهديد، فعزلني وحدي، وتمرّد الإخوة





عليه داخل السجن، فألحقوهم بي في سجن انفرادي، وأثناء تلك الحادثة جاءت برقية توصي بنقلي إلى المحكمة الثورية في سجن طرابلس.

بعض المواقف في تلك الفترة

قامت الشرطة بتحطيم المسجد البسيط وتدميره، وكان أحد المجرمين الذين هداهم الله يصيح في الشرطة: "شلت أيديكم"، فألقوه معي في الزنزانات، أما الأخ (جمعة) فجاء وهو يبكي لأنه لم يستطع أن يواجههم ويردّ عليهم، وكان يقول: لم أصلْ بعد إلى الإيمان المطلوب.

وكان في هذا العنبر قسم للشرطة فيه جنود من الشرطة العسكرية، والمسؤول عنهم النقيب مسعود الحاسي (ربما رتبته الآن مقدم)، جاءني في إحدى المرات -قبل المقدم محمود العبار- وناقشني فرددت عليه، فقال: أنا لا أفهم إلا القوانين العسكرية، فقلت له: لكني لا أفهم إلا القوانين الإلهية، وتركته وهو يتكلم، فأقسم إن نقلوني إلى السجن العسكري لينتقمن مني وليؤدبني، ولكن الله عَزَّوَجَلَّ نجانا منه.

محكمة الجنايات في بنغازي

بعد خمسة أشهر قدّمونا لمحكمة الجنايات في بنغازي، وكان القضاة فيها المهدوي وعلي بوزغيبة، وقد فرّج الله عن نصف المجموعة، وكنت أنا من بينهم، وعندما خرجت من الباب الأول عند صلاة الظهر وجدت الإخوة مجتمعين يبكون وكذلك الحرّاس في موقف مهيب، فقال لي أحد السجانين: ما رأيت مثل هذا الموقف قطّ!







وكنت أقول للإخوة: الله معكم، وكنا نردد: سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر، ولاحول ولا قوة إلا بالله، حتى المجرمون أصبحت لهم قلوب أرقّ من قلوب أعوان القذافي.

وقد وجدت أمامي عمي عمر، وأخي حسن، وكان ممن خرج معي إلى الباب الأخير مودعاً سليمان الشاعري، الذي بكى بشدة ودموعه شاهدة على ذلك، وعندما خرجت من السجن قلت: "الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين"، ومن ثم ودعته، وكان بالي مشغولاً على إخواني داخل السجن.

مكثت اثنين وعشرين يوماً بعد خروجي من السجن، وكان الناس يزورونني مسلِّمين حتى ملأ الضيوف البيت. ثم حان يوم عودتي من جديد، وللمحنة أثر في نفوس الناس من حيث الدعوة إلى الله، وقد جاءني أصدقائي الذين كانوا معي في الكُفرة من كليات متعددة، ولا أستطيع أن أصف شعوري وإحساسي بلقائهم.

موقف لا أنساه

أتى أصدقاء محسن إلى بيتي، وذهبنا إلى إحدى المزارع مع مجموعة من الشباب، وجلسنا إلى المغرب، ثم رجعنا إلى البيت، وكنا قد أقنعناهم بأداء الصلاة.

ما أعظم الدعوة إلى الله في تلك الأيام الجميلة!

ميلاد قمرة

طلب مني مجموعة من الإخوة أن يأتوا إلى البيت للنقاش والحوار في بعض الأسئلة، وكان من بينهم ميلاد قمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي أتى من أرض الجهاد من أفغانستان أخيراً، وقد حُبس في سجن القذافي، ومات في أحداث بوسليم.

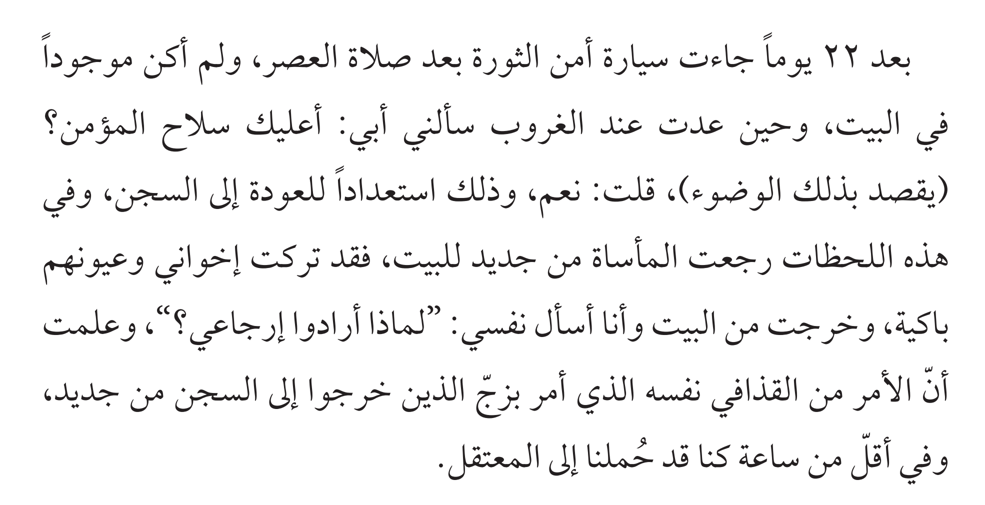




كان ميلاد صائماً رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقت الغداء، فطلبنا إليه أن يتغدى معنا، وله -إن شاء الله- أجران؛ تلبية الدعوة والصيام، ومرّت السنوات وصورة ذلك الفتى الصائم ما نسيتُها، وعندما خرجت لم يأتِ، فسألت عنه، وعاد إلى ليبيا بعد الرجوع من أفغانستان عام ١٩٨٨م، وكان معي في المناظرات التي حدثت مع مشايخ الطرق الصوفية، وهو من الدُّعاة إلى الله وتعرض لمحنة، واستشهد في سجن بوسليم مع ١٢٧٠ شهيداً، نحسبهم كذلك، ولا نزكي على الله أحداً.

العودة إلى السجن





بعد ٢٢ يوماً جاءت سيارة أمن الثورة بعد صلاة العصر، ولم أكن موجوداً في البيت، وحين عدت عند الغروب سألني أبي: أعليك سلاح المؤمن؟ (يقصد بذلك الوضوء)، قلت: نعم، وذلك استعداداً للعودة إلى السجن، وفي هذه اللحظات رجعت المأساة من جديد للبيت، فقد تركت إخواني وعيونهم باكية، وخرجت من البيت وأنا أسأل نفسي: "لماذا أرادوا إرجاعي؟"، وعلمت أنّ الأمر من القذافي نفسه الذي أمر بزجّ الذين خرجوا إلى السجن من جديد، وفي أقلّ من ساعة كنا قد حُملنا إلى المعتقل.

وقالوا لبعض المعتقلين سوف تحضرون الاحتفال وترجعون بعد اللقاء مع "الأخ القائد"، ولا تسأل عن الكذب هنا -يا أخي- أبداً.

أدخلونا في الليل سجن الكويفية من جديد، وكانت محنة شديدة على الإخوة أثرت فيهم تأثيراً بالغاً، سواء على العائدين أو على الذين كانوا ينتظرون دورهم في الخروج، وأذكر أنه بعدما أعلنت رفض هدم المسجد الذي أقمناه، وزُجَّ بي منفرداً في الزنزانة، حدث تمرّد جديد من الإخوة، ودافعوا عني، واعتذر رئيس السجن عما حدث، وقال إنه ليس مسؤولاً عنه، وبأنه لم يُخبر إلا لاحقاً،

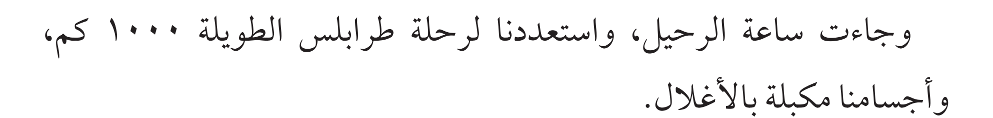






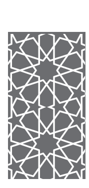


إلا أنّ البرقية جاءت من طرابلس مع الأحداث التي وقعت، وأدخلني رئيس السجن محمود العبار مكتبه، واعتذر إلي، وطلب مني السماح، وبدوري اعتذرت إليه وطلبت السماح منه، وبيّن لي أن القوة الثورية في السجن تكتب التقرير عما يدور في داخل السجن، وطلب مني أن أحافظ على نفسي من أجل الدعوة، وظهرت على ملامحه الشفقة، وقال لي: إنّ سجون طرابلس تختلف عن سجون بنغازي.



وجاءت ساعة الرحيل، واستعددنا لرحلة طرابلس الطويلة ١٠٠٠ كم، وأجسامنا مكبلة بالأغلال.









إلى سجن الحصان الأسود في طرابلس

قبل صلاة المغرب من يوم الخميس ودعنا السجناء وهم يدعون لنا، وانطلقنا إلى طرابلس إلى سجن الحصان الأسود.

يا أخي القارىء.. ما نحن إلا مجموعة من الشباب، أغلبنا لم يتجاوز العشرين من عمره، وبعضنا كان طالباً في الثانوية، ومنّا من يدرس في الجامعات، تعرضنا لهذه المحنة ونحن على أمل الخروج بعد العهود التي حصل عليها أولياء أمورنا من مصطفى الخروبي وبكّار والطيب الصافي والأجهزة الأمنية، ولا تسأل عن كثرة العهود.

وِجهَتُنا الآن هي العاصمة طرابلس إلى الحصان الأسود، هذا الاسم الرهيب المعروف عند الناس، من دخل إليه لا يخرج، سِجْنٌ بُني في عهد إيطاليا وما يزال حتى دخولنا إليه. ودّعنا مدينتنا الحبيبة التي ولدنا فيها، وأذكر أني كنت مع محسن ونيس القذافي في قيد واحد، وكنا نراجع ما تيسر لنا من القرآن الكريم، وقال لنا الحراس: أسبوع ثمّ ترجعون إلى أهليكم وسننتظركم هناك.

بدأت رحلتنا، وبينما نحن جلوس في الحافلة قال المنيسي-رائد في الأمن الداخلي- بِتَهَكُّمٍ: لو علمت بأنكم تصلون لوقفنا بقرب مسجد وانتظرناكم للصلاة، وفي الطريق احتاج أحد الإخوة أن يقضي حاجته، فنزل وما فكوا قيده، وكان الأخ يلتفت بوجهه عن أخيه المقيد معه، ويقضي حاجته على استحياء، لقد كانت رحلة متعبة، لم أسافر إلى طرابلس عن طريق البرّ إلا مرغماً، لا أملك لنفسي ضراً ولا نفعاً.

وفي بداية التحرّك قرؤوا سورة يس؛ لأنهم يعتقدون أن سورة يس مفتاح السجين، وأنّ من قرأ سورة يس ٤١ مرة فرّج الله عليه من السجن، وشرعوا في قراءتها، ولكنّ الله أراد شيئاً آخر.







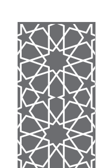
توقفت الحافلة أمام الحصان الأسود يوم الجمعة، وكانت الصدمة، وبدأت التعليقات من الإخوة، أذكر أحدهم قال: لما رأيت الحصان الأسود طارت المبادئ وتراجعت عن الأفكار والقيم التي أناضل من أجلها.

لم ندخل سجن الحصان الأسود في ذلك اليوم، وهذا من رحمة الله بنا، ولم نلتق بسجناء سياسيين هناك، ورفض ضابط الخفر إدخالنا السجن دون أمر رسمي من الشرطة العسكرية، ونقلونا إلى سجن الجديدة إلى الحاج طاهر مدير السجن، وهو رجل تظهر عليه الطيبة، فوضعنا في حجرتين ضيقتين يوماً وليلة، وكان عددنا ٤٧ شخصاً.

وفي اليوم التالي نقلونا إلى فيلا ضخمة مستقلة وتركونا فيها من اليوم الأوّل لدخولنا إلى الجديدة، كان بيننا وبين السياسيين باب، وعلمنا في اليوم التالي أنّ الشيخ الحراثي ورشيد كعبار ومحمود وحمزة والشيخ العدولي ومجموعات من اتجاهات متعددة، منها مجموعة من الطلبة والشباب اتّهمتهم الدولة بالماركسية، ومنهم إسلاميون وغير إسلاميين كفتحي البرقاوي، وعمر بن كاطو، وجلال السوسي، وحاتم الماجري، وكانوا حوالي أربعين شخصاً، وكلهم محبوسون هنا، حيث بقيت القضية في السجن عاماً؛ من رمضان ١٩٨٢ - رمضان ١٩٨٣م.

يحكي الشيخ محمد الحراثي أنهم عندما أدخلوهم امتنع مجموعة من الناس عن الاختلاط بهم؛ لأنهم شيوعيون، فقال الشيخ الحراثي-وهو من تلاميذ البشتي- لأصحابه: ربما تكون الدولة اتهمتهم كذباً، وهذا غير مستبعد، وإن كانوا حقاً ماركسيين فندعوهم إلى الله؛ لنكون معذورين عند الله.







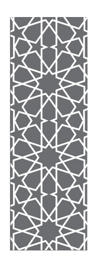
ودخل الشيخ بأخلاقه الإسلامية بين صفوف الشباب، ودعاهم إلى الله، واستجاب الشباب المظلوم لدعوة الله، وأصبح ٣٩ شخصاً منهم يقيمون الصلاة إلا واحداً، وتعلموا أحكام القرآن، ودرسوا في حلقات العلم في كتاب رياض الصالحين الذي أتمه الشيخ على مسامعهم، وارتفعت روحهم المعنوية، وبعد عام فرّج الله عليهم، فكأن الله أراد لهم الهداية وإقامة الحجة عليهم، وبعدها أُخرجوا من السجن.

الشيخ محمد الحراثي يُحدثنا عن الشيخ البشتي

هو من تلاميذ الشيخ البشتي (وهو الذي أخبرنا عنه)، عاش مرافقاً له ١٥ سنة ينهل من علمه وأدبه، ومن خريجي الجامعة الإسلامية بالبيضاء، أدخله القذافي السجن سنة ١٩٨٠، عندما وقف وأفتى ضد القذافي في قضية إلغاء السنة النبوية، وكان الشيخ البشتي له تلاميذ ومؤيدون من الشيوخ المعروفين في القاعدة الشعبية، وفي بداية حياته اتبع الطرق الصوفية، وبعدما تعلم وفهم الشريعة أصبح حرباً ضروساً على هذه الطرق، وتأثّر بالكتب الإسلامية السلفية ككتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وناصر الدين الألباني، يقول الشيخ البشتي: إن إلغاء السنة في ليبيا أشد على الناس من فتنة خلق القرآن في زمن أحمد بن حنبل، فاتفق هو وتلاميذه أن يتصدوا للقذافي، ويعلموا الناس أنه خرج عن الإسلام.

يقول ناصر الدين الألباني، الشيخ المحدث الشهير، عن الشيخ البشتي، وقد التقى به في السبعينيات: إنّ الشيخ البشتي في ليبيا مثل الشجرة الخضراء في الأرض البيداء، وفي ذات يوم حضر السفير السعودي درساً للشيخ البشتي، فأعجب به وأصبح من تلاميذه، وهو ما سهل على الدولة أن تتهم الشيخ بالوهابية عندما قبضت عليه.





حاولت الدولة إغراءه بالجاه وبالوسائل المادية فما استطاعت، فقررت القضاء على الشيخ وتلاميذه بالقوة، فدخل رجال الشر والفساد من أتباع النظام إلى المسجد بالهراوات، وشرعوا يضربون المصلين، وحملوهم في السيارات إلى مقرّ اللجان الثورية، حيث تفننوا في تعذيبهم بأساليب وحشية، ومنها: حرق اللحية بالنار، والضرب المبرح بالكرباج، والتجويع بقطع الطعام، والجرّ بالسيارات.

ويحكي لنا الشيخ محمد الحراثي عن لطفي امقيق، وهو شاب من خريجي معهد الإمام أنس بن مالك الديني، وهو في أيام التعذيب طلبوا منه أن يقول: الفاتح أبداً، وهو شعار من شعارات القذافي، فامتنع وهو يردد لا إله إلا الله حتى فاضت الروح أثناء التعذيب، وكان وقتها لم يتجاوز سن العشرين من عمره، أما الشيخ الحراثي فقد عُذب عذاباً عظيماً، ومن الأساليب التي مورست عليه حرق لحيته بالنار وغيرها.

قتل الشيخ البشتي داخل السجن، وهو يُعدُّ من رواد الدعوة الإسلامية الحديثة في ليبيا الذين نذروا أنفسهم لله للرد على ضلالات النظام الليبي وفساده، وبعد وفاته خسرت الحركة الإسلامية في ليبيا رائداً من روادها في العصر الحديث، كان يقول في دعائه في الخطبة: "اللهم من فصل الكتاب عن السنة فافصل رقبته عن جسده".

وكان الشيخ البشتي يقول: من وقف على منبر رسول الله فيجب عليه ألا يخاف من أحدٍ إلا الله، وأن يقول الحقّ ولو كلّفه قطع عنقه، وذات مرة خطب القذافي وكان مما قاله: "إذا ذكر محمد قلتم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإذا ذكر الله لم تقولوا شيئاً، وهذا تعظيم لمحمد أكثر من الله"، فشكك القذافي الناس في الصلاة على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فردَّ الشيخ على ذلك الخطاب من على المنبر، فقال في





بداية الخطبة: "اللهم صلِّ على محمد رغم أنف الظالمين، اللهم صلِّ على محمّد رغم أنف الحاقدين، اللهم صلّ على محمّد رغم أنف الحاسدين، اللهم صلّ على محمّد رغم أنف الكافرين، اللهم صلّ على محمد رغم أنف المنافقين"، وما زال يصلي على النبي ربع ساعة، ثمّ بين أحكام الشريعة في الصلاة على النبي، وقد كان دائم الكلام عن مكانة السنة، ويبين أنه لذنوب الناس سلط الله عليهم هؤلاء الأشرار، فقال: "إنه بسبب الذنوب التي ارتكبتموها سلط الله عليكم شر خلق الله؛ هؤلاء الطواغيت".

وكان مصطفى الخروبي، العقيد والمفتش العام للقوات المسلحة، يتردد على مجالس الشيخ، فكتب الشيخ البشتي رسالة عن مكانة السنة في التشريع الإسلامي وأعطاه إياها ليحملها للقذافي.

وكان الشيخ الصبحي من مشايخ جمعية الدعوة يحضر دروس الشيخ فقال للشيخ: لقد درسنا في الأزهر فما وجدنا هذا العلم، فقال الشيخ: أنتم أخذتكم السياسة ونحن تفرّغنا للكتب فوجدنا هذا العلم.

ويحكي لي الشيخ محمد الحراثي أنه كان مع الشيخ البشتِّي في إحدى المرات ذاهبين إلى مقر جمعية الدعوة، فدخل على الشيخ الصبحي وقال له: أنتم المسؤولون أمام الله لانحراف القذافي، ماذا ستقولون لله؟ فبكى الشيخ الصبحي وقال: يا شيخ محمد الرجل دخل في طريق ولن يرجع أبداً، وقد أرسلت له رسالة في هذا الموضوع فما ردّ.

بعد أن تمكن القذافي من البلاد والعباد ما ترك فرصة تسنح للطعن في أحكام الشريعة إلا واستغلها، فمن ذلك أنه قال مرة إن عقوبة الرجم على الزنا ليست في آية من القرآن، وليس على المتزوج إلا الجلد أيضاً.









ومما قاله أيضاً: لو أقمنا حد الخمر لاضطررنا إلى جلد الوزير وكل الشعب، وهذه خباثة منه لإبعاد تفكير الناس عن الحكم بالشريعة، وأخيراً تبنى القذافي فكرة إلغاء عقوبة الإعدام؛ لأنها -كما يقول- لا تتناسب مع تقدم الإنسان، إلا من حارب الثورة وأراد القضاء عليها، وقد نسي القذافي قول الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٩].

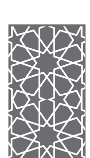
وكان اكتشاف عدائه للشريعة بعد سنوات من حكمه، ففي بداية الثورة طالب العلماء أن يحكموا بالشريعة، فلقي تأييدهم، ولكنه لم يكن جاداً.

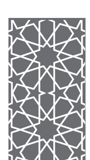
لقد كان الشيخ البشتي على فهم جيد للإسلام؛ ديناً ودولة وسياسة، فدائماً كان يحض الناس على ضرورة سيادة الشريعة على الجميع، وإعادتها في نظام الحكم، ومن ثم تفرغ لنقد النظام الحاكم، وكان معوله لا يكلّ ولا يمل في ضرب الطرق الصوفية المنحرفة في أعماقها، وكانت له صولات وجولات، ومن الناس من فرح بدخول الشيخ المعتقل.

وكان المرحوم الشيخ طاهر الزاوي -مفتي الديار الليبية- يطلب من الشيخ ألا يتهجم على النظام حتى يستفيد الناس منه، وكان الشيخ البشتي يحترم الطاهر الزاوي كثيراً، ولكنه لم يتأثر، فكانت نصيحة الشيخ الزاوي لتعليم الناس الدين، والابتعاد عن الاصطدام بالدولة؛ لأن ذلك يؤدي إلى سجنه، ويحرم الناس من الاستفادة منه.

• بعض المواقف بين الناس والشيخ البشتي

- يحكي الشيخ الحراثي أنه كان مع الشيخ البشتي في سيارة، فأشار إليهم ولد بالوقوف لحمله فلم يقف السائق، فأمره الشيخ بالوقوف والرجوع وحمله إلى المكان الذي يريده، ثم قال: إذا تركنا لدى هذا الفتى انطباعاً جيداً







عن المسلمين، وعن أصحاب اللحى الكبيرة، فإن ذلك سيساعده على الانقياد لدين الله إذا كلمه أحد عن الإسلام.

– ذات مرة في ساعة متأخرة من الليل مر على مسجد الشيخ سائح نمساوي يبحث عن مبيت، ففتح الشيخ البشتي المسجد وفرش للسائح بقرب المنبر، والشيخ الحراثي يحكي لنا ويقول: استشاط غضبي.. فكيف يدخل هذا الكافر إلى المسجد، وشعر البشتي بذلك فقال: "يا محمد، عندما يرجع هذا الغريب إلى بلاده سيخبر قومه بما فعلناه معه، وتكون دعوة إلى الله في صفوفهم".

– وجاءه مرة أحد أبناء الطرق الصوفية يريد ضرب الشيخ في خلوته، وبفضل الله انقلب الأمر، وأصبح من أتباع الشيخ.

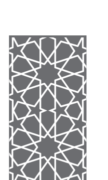
– وكان للشيخ قريبٌ منحرفٌ عن جادة الصواب، وله أصدقاء أشرار فدخل معه الشيخ الحراثي في بيت ذلك القريب وهم يلعبون القمار، وعندما رأوا الشيخ خرجوا وتركوا المال فقال: خذ هذه الغنائم يا محمد.

– وتغيرت الأفراح إلى أفراح إسلامية، ففي فرح الشيخ الحراثي جاءه بعض الضيوف فوجدوا حلقات العلم والذكر والبشتي يتحدث للناس، فقال له بعض الضيوف: "هذا مأتم أم فرح!؟"، لأن الناس ما تعودوا الأفراح بهذه الطريقة، وأقام تلاميذ البشتي زواجهم على أسس إسلامية، وأصبحت هذه القواعد تتوسع وتنتشر، وكان محمود حمزة، وهو ميكانيكي، يُحضرُ الشباب للشيخ، ويقول الشيخ: اتق الله فيهم

ولعلّ أبرز مواقف الشيخ البشتي هي:

١. مواجهة النظام في أخطائه والصدع بكلمة الحق ضد القذافي ونظامه.

٢. محاربة الطرق الصوفية المنحرفة بشدة عرف بها.







٣. تربية الشباب في مدينة طرابلس على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبالطبع لم يتحمل النظام الليبي قذائف الحق الموجهة له ولنظامه، فقبض على الشيخ وتلاميذه بوحشية، ومزقت كتبه التي في بيته في الشارع، وزج به في السجن، وأرجحُ الرواياتِ أنه استشهد، لأنه عزل عن إخوانه من البداية.

وكان الشيخ الحراثي يقول لنا وهو لا يملك نفسه من البكاء: "ما عرفت قيمة الشيخ إلا بعد دخولي للسجن، رغم أنّي عشت معه أكثر من ١٥ سنة، ما تركته في سفر إلا حمل معه كتاباً يقرؤه في الطريق أو يذكّر الناس أو يتلو القرآن أو يدرِّس شباباً العلم".

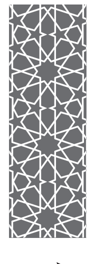
وذكر الأستاذ علي العكرمي عن قضية الشيخ البشتي فقال: كان الشيخ محمد البشتي يخطب في مسجد القصر في طرابلس، ويقول: إنني أعلم أنكم معنا تستمعون الآن إلى ما أقول، فأرجو كتابة ذلك عني: إن السنة تعد أصلاً من أصول التشريع، وإن منكرها كافر. وهو يرد بذلك على إنكار القذافي للسُّنة، وكانت فتنة، فأخذته اللجان الثورية من على منبره، وانهالوا عليه وعلى عدد من المصلين بالضرب، وجر من هناك إلى أحد مقار اللجان الثورية، وظل ثابتاً على رأيه، فعذب أشد التعذيب، واختفى منذ ذلك التاريخ، وكان ذلك عام ١٩٨٠م، وفي عام ٢٠٠٨م صرح السنوسي بأن البشتي قتل في غابة ولا أحد يعرف قبره إلا الله[١].

الشيخ الحراثي أسد في سجنه

علَّمَ الشيخ الحراثي كثيراً من الشباب أحكام القرآن وحقيقة الإسلام، فكان القاسم المشترك لمعظم السجناء، وكان يشتهر بخفة الدم والنكتة.

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢٤٤.







في أحد الأيام دخل الشيخ على مجموعة من الشباب، وكان معهم رجل كندي داخل السجن، فسلم عليهم الشيخ، فسأل الكندي: ماذا قال لكم؟ قالوا له: قال السلام عليكم، وهذه تحية الإسلام، فطلب الشيخ من المترجم أن يترجم له ما يقول: لك السلام في نفسك، ولك السلام في عرضك، ولك السلام في مالك، وهذه تحية الإسلام فقط، فالإسلام أعظم بكثير.

فأسلم الكندي وحسن إسلامه، وتعلم الصلاة والصيام، وبعد مدة فرج الله عليه، وذهب إلى كندا للمركز الإسلامي، وأصبح من الدعاة، وكان في برنامجه من يدخلون في دين الله أفواجاً.

والتقوا في الجزائر مع الرجل الكندي، فسألوه عن سبب إسلامه، فقال: التقيت بمجموعة من الشباب المسلم في أحد السجون العربية وتأثرت بهم فأسلمت، وأثناء كتابة المذكرات، أخبرني أحد الليبيين المقيمين في كندا عن الشخص الذي وزّع مذكرات عن إسلامه في كندا.

يحكي لي بعض الإخوة الذين كانوا معه في سجن الجديدة عن قراءته للقرآن في صلاة المغرب، حيث كان الحرّاس والأجانب يسمعون تلاوته وكأن على رؤوسهم الطير، وحقيقة أن تلاوة الشيخ الحراثي إلى الآن ما عهدت مثلها، وكان الشيوعيون في القسم السادس من سجن أبو سليم ينصتون لقراءته ويعترفون بأنها تهزهم في أعماقهم، ويرتاحون عند سماعها.

رشيد كعبار الشهيد البطل

يحكي لي الشيخ الحراثي عن رشيد كعبار، الذي حفظ القرآن على يديه في حياته داخل السجن وقبل السجن، وهو من الأسر المعروفة في مدينة طرابلس، وكان والده من المسؤولين في الدولة زمن الملك السابق.







تأثر رشيد كعبار بالشيخ البشتي عندما كان طالباً يدرس في كلية الصيدلة في طرابلس، وقد أوتي شطراً من الجمال، فكان محبوباً في الأوساط الجامعية، وأصبح من الدعاة، وتحجبت على يديه فتيات في الجامعة، وتعلق بالشيخ البشتي والحراثي، فكان يحضر الطلبة من الجامعة ويعزمهم على ولائم في بيته، ويكون الشيخ الحراثي معلماً وداعياً فيهم إلى الله.

أدخله نظام القذافي إلى السجن في قضية البشتي، وأرسل له القذافي مع أسرته أن يطلب الاعتذار ويخرج من السجن، فامتنع البطل عن الاعتذار للقذافي، فقال له الشيخ الحراثي: يا أخي خذ بالرخصة لعل الله يفرج عنك، وينفع بك في الدنيا خارج السجن، فقال: يا شيخ محمد، الدعوة لها ربّها.

وفعلاً اشتغل الشاب للشهادة في سبيل الله، وعمل بأعظم الجهاد، وهو كلمة حق عند سلطان جائر، واقتدى بصاحب ياسين، وكان يدعو الله ألا يقبضه حتى يختم كتاب الله. وفعلاً حفظ كتاب الله، وأخذ بالعزيمة في المحاكم، وواجه النظام بقوة الشباب المسلم، وضرب لنا أروع الأمثلة في سبيل الله، وكان معه أخوه في الله المدني لا أعرف عنه إلا أنهما تحابا في الله، واستشهدا في يوم واحد في جامعة طرابلس، حين جمعت اللجان الثورية الطلاب، وحاكمته أمامهم، ونُفِّذ حكم الإعدام به، وقالوا له: كنت شاباً وسيماً تغشى مجالس النساء، وتسلم عليهن في الجامعة، ثم أصبحت تلبس الملابس الفضفاضة، فقال لهم: الحمد لله، تتهمونني بتهمة تشرفني عند ربّي، فقالوا له: كنت عضواً في اللجان الثورية، قال: نعم، لكن تركت، لأن القذافي في أحد اللقاءات قال: إذا عرقَلَنا القرآن في مسيرة التحول وضعناه على الرف، ومن يومها عرفت أن القذافي لا خير يرجى منه، وفي حينها أعدم رشيد، واستقبل الموت بثبات وصلابة أهل الإيمان،





وتأثرت الجامعة في طرابلس من استشهاد البطل، وجاءت حمامتان بيضاوان على أعواد المشنقة بعد مدة من إعدامه ثمّ رحلتا.

عندما كان رشيد في معتقل أبو سليم في طرابلس كانت حقائبه في سجن الجديدة، ولكنها لم تنقل إلا بعد سنوات، وبين النقل إلى سجن الحصان الأسود وسجن أبو سليم ضاع أكثر من نصف الحقائب، لتصل في النهاية حقيبة رشيد كعبار بعد استشهاده بسنوات، فأخذها الشيخ الحراثي، وعندما رأى زملاؤه الحقيبة تذكروه، ولم يستطيعوا أن يتمالكوا أنفسهم من شدة البكاء، وأذكر منهم الأخ الذي حكى لي عن أخلاقه.

عاش رشيد داخل السجن عيشة الأولياء، فقضى حياته قراءة وقياماً وصياماً، وآمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر، واستشهد في سبيل الله.

فإما إلى النصر فوق الأنام   وإما إلى الله في الخالدين[1]

تتلمذتُ على يدي الشيخ الحراثي (تلميذ البشتي)

كان الشيخ الحراثي تلميذاً للشيخ البشتي، ومن أكثر الشخصيات الإسلامية تأثيراً في السجناء في المعتقل، وأحكي عن نفسي؛ فأنا لم أكن أعرف شيئاً عن الناسخ والمنسوخ من الأحاديث النبوية، والعام والخاص، والمطلق والمقيد، ومصطلح الحديث، إلا بعد أن التقيت به، ودرسني سبل السلام وحضرت له الدروس.

كان الشيخ محمد في كل يوم اثنين في أثناء ساعات الاستراحة يجلس بفناء السجن وحوله الناس يستمعون لنصحه، وقد استفاد منه السجناء كثيراً.

(١) البيت الشعري منسوب لسيد قطب من قصيدة (أخي أنت حرٌّ وراء السدود).









ثم إنه شرع في تنظيم دروس الجهاد في الإسلام (حكمه وأنواعه)، إلا أنه لم يتم ذلك بعد أن تحدث في قضية تشاد وليبيا، وبيّن أن القتال في تشاد بين الليبيين والتشاديين ليس جهاداً، إذ عزلوه بعدها عن العنابر ستة أشهر، وقد قضاها في فصل الشتاء، فاستفاد منه الإخوة في الزنزانات، وكان ينظم لهم بعد الساعة الثانية عشرة ليلاً وعند الفجر دروساً؛ خوفاً من الأذرع المخابراتية التجسسية، ومع ذلك تعرض للأذى من قبل الحراس، إلا أنه لم يبال، وبعد مدة أرجعوه إلينا.

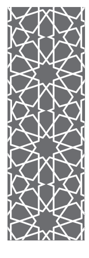
وكنت قد طلبت منه إعداد برنامج لأحكام الجهاد، وعندما خرج من الزنزانات وأعادوه إلينا في العنابر، قال لي مازحاً مع ابتسامة: حفرت لي حفرة مباركة يا شيخ علي..! يقصد أن دروس أحكام الجهاد كانت سبباً في وضعه بالزنزانات ستة أشهر.

كان القذافي يظن أنه أحكم الحصار الفكري على الإخوة، ونسي قول الله تعالى: ﴿ مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾[فاطر: ٢]، فما كان يخطر على بال أحد من الإخوة أن يكون في ذلك الموضع المعزول في السجن المجلات والكتب الإسلامية.

وقد نظم الإخوة كذلك برامج للاستفادة من الوقت، ومن خلال تجربتي في السجن من أراد عدم الوقوع في مشاكل مع الأخوة فعليه أن يملأ وقت فراغه بالبرامج المفيدة، وإكثار التفكير في الهموم يفتح أبواب الشياطين.

لقد تتلمذت على يدي الشيخ الحراثي في تلاوة القرآن بالأحكام، وفي مسائل العقائد والأحكام، وتعرّفت على مدرستي ابن تيمية وابن القيم بعمق، فقد كان متمكناً من المنهج السلفي العلمي، ومتبحراً بقضايا الأحكام المستندة







إلى الدليل من القرآن والسنة، وقد ورث عن شيخه محمد البشتي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علماً وأدباً وحالاً وسلوكاً وزهداً وحباً للدعوة إلى الله وتعليم الناس دينهم.

برامج في السجن

من الأحداث التي دارت في السجن برامج الرياضة المستمرة التي شارك فيها إبراهيم المائل، وقد استفاد كثيراً، وكذلك عمنا عبد الله الشاعري، وكانت تشكل مجموعات ويدربها المشرفان الرياضيان احسين اكويدير، ومحمد موسى قرقوم.

أذكر منها لعبة كان يدخل فيها الأخ مع بعض الإخوة ويضع صحناً مليئاً بالدقيق، وبداخله مبلغ من القطع المعدنية، ويتسابقون بإخراجها بالنفخ، فيتغير وجه الأخ ويصبح أبيض من الدقيق، فكان الإخوة المعذبون والمسجونون يضحكون حتى يسقط أحدهم على الأرض من شدّة الضحك؛ إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء.

وكانت هناك برامج ثقافية، حيث نقيم المسابقة في كلتا الحجرتين، وينقسم المتسابقون إلى مجموعات، وتدور المسابقة، وفيها أسئلة دينية وتاريخية وأدبية وسياسية، وكان ذلك بعد صلاة العشاء.

كذلك فتحنا صحيفة حائطية حرة، كان الإخوة يكتبون فيها ويرد بعضهم على بعض بالآراء والأفكار والنقد البنّاء للمجموعة، ومن ذلك تحصلت على الأوراق وبعض الاقتراحات التي ساعدتنا على إجراء كثير من الأشياء المفيدة.

وأذكر أن مسابقة في القصة القصيرة قد حدثت في السجن، وفاز بها عبد الوهاب بسيكري وكان عنوان القصة (الصياد والعصافير).







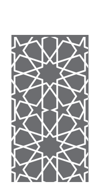
جلسات من المحكمة الثورية

انعزلنا عن المجتمع كلياً، ودخلنا في مجتمع جديد فيه حياة مختلفة عن حياة البشر في الخارج، وأصبحنا ننتقل من شدّة إلى شدّة، ومن محكمة إلى محكمة، والمحاكم الثورية معروفة بأحكامها القاسية، كالإعدام، والحرمان من الحقوق المدنية، والمؤبد، وغيرها.

وبدأت الدورة الجديدة مع أعضاء اللجان الثورية، وكان عبد السلام الزادمة رئيساً للمحكمة، والجناحان الأيمن والأيسر بوجازية والطيب الصافي، ومنهم امرأة اسمها نعيمة المغربي، وأيضاً سعيد رشوان، وهؤلاء معروفون بوفائهم للنظام في ليبيا، وبأفعالهم الانتقامية من أبناء الشعب في ليبيا.

فتحت الجلسات وأجهزة التسجيل والدائرة المغلقة لنقلها لمن هم أعلى منهم في القيادة الليبية، وسمحوا لأولياء الأمور بحضور الجلسات في بداية الأمر، وكنت المتّهم العاشر في القضية، حين خرج المتهم الأول في القضية أمام الناس طلبوا منه أن يشرح لهم خطة قتل القذافي، فخرج ورسم الخطة على السبورة.

اقتنع أولياء الأمور بأنّ القضية ليست لعب أولاد كما كانوا يظنون، وأن كثيراً من الشباب المكبل في قيوده لا علم لهم بتفاصيل هذه القضية، وبعضهم شرع في التنفيذ، وتكلم عن أهداف الحركة الوطنية، وعلمنا من عدة مصادر بأنّ فتحي الشاعري سلّم نفسه بنفسه للسلطة، واعترف بكل صغيرة وكبيرة في التنظيم؛ لأسباب متعددة، أما الإخوة فرفضوا التهمة الموجهة إليهم وأنكروها؛ لأنه في القضاء لا بدّ من وجود شاهدين أو اعتراف صريح من المتهم نفسه، وأصبحت الجلسات تتعدد وتتوالى، وأذكر أننا صلينا في إحداها صلاة المغرب





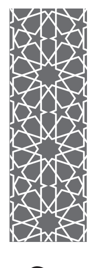
في القاعة، وكنت الإمام، وكانت آيات الصبر تدوي في قاعة المحاكمة، والحرّاس يسمعون آيات من سورتي البقرة والحديد؛ فقد قرأت في الركعة الأولى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتُۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة: ١٥٣ - ١٥٧]، وفي الركعة الثانية قرأت من سورة الحديد قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[الحديد: ٢٢ - ٢٣].

تعرض الأخ عبد الحكيم البرغثي للاستجواب عن الشيخ البشتي، وأساؤوا الأدب معه، فردَّ عليهم محمد السويسي القرقوم بقوة، وأهمّ الأحداث في تلك المحاكمات أنهم كانوا يقولون: وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، ولا بد أن نجعل هؤلاء عِبرة لغيرهم حتى لا تكون فوضى، ورفعت الجلسة وقتها.

كان المحققون يفضحون المتهمين في تحقيقاتهم؛ بذكر مجالس الخمر والحشيش أمام الناس، حيث تطلب المحكمة ولي الأمر أمام الناس والمتهمين، ثم تقول للمتهم إنك حشاش وشارب خمر، فتسود الدنيا في عيني ولي الأمر حتى كأنه لو طُعن بخنجر لا تخرج من جسده نقطة دم واحدة، ويجلس كسير الفؤاد متحسراً على ابنه.

وكان من ضمن من حققوا معه الأخ ميلاد البدين العقوري، وهو أخ فاضل من حفظة كتاب الله، وتربطني به أخوة في الله، وكان معي، والتقى بوالدي في زنزانات سجن ٧ إبريل، وقد تولدت بينهما مودة، وكان ظريفاً، خفيف الظل،







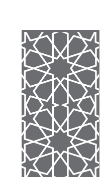

صاحب نكتة، سريع البديهة، ولديه القدرة على تقليد لهجة إخوتنا السودانيين، فإذا سمعته يتكلم بها فلا تملك نفسك من الضحك.

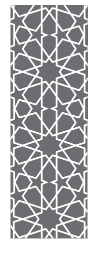
كانت عنده قدرة رهيبة على التزوير، وكانت محاكمته تدور حول التزوير وطرقه، وعندما يتكلم في القاعة تجد أولياء الأمور لا يملكون أنفسهم من الضحك، وكانت له ثلاثة جوازات سفر من جنسيات مختلفة، وسافر إلى بلدان متعددة مثل إسبانيا واليونان، وهم يخافون من الذين يسافرون كثيراً أن يكونوا من الجبهة المعارضة للنظام في ليبيا.

وقد استعار فتحي الشاعري منه جواز سفر جزائرياً، فقبضوا عليه بسبب ذلك وأصبح معنا في السجن، وفي إحدى الجلسات قال لهم خرجت بجواز سفر ليبي، وعند النزول في المطار، ولا أذكر ذلك في اليونان أو إسبانيا، قدمت لهم جواز سفر جزائرياً، وهو يحكي والناس يضحكون، وكان المحققون يقولون له: أنت مزوّر وأنت وغد، وكانت أعصابه باردة جداً، فجعل من المحكمة مسرحية فكاهية.

وفي الجلسة الأخيرة مُنع أولياء الأمور من الحضور، وبعد المداولة سأل المحققون: من يريد أن يتكلم؟ فتكلم محمد العقوري، وهو شاعر دوَّن محنة السجن في قصائد رائعة تعدُّ من التراث الشعبي المهم لتدوين محطات مهمة من حياة الشعب الليبي، وما يتعلق بالسجن والسجناء والسجانين، ثم أسكته عبد السلام الزادمة، فقلت له: أريد أن أتكلم، وقد ضاقت عليّ وعلى أخي الذي معي في الأصفاد التي كنا فيها، والتي كان لها حلقات واحدة في يد أخ، والحلقة الأخرى في يد الأخ الآخر، وكان الذي معي صلاح بوزريبة، وقد تأذى حينها في ذلك، واشتدّ النقاش، وقلت له هذه المقولة: "القرآن شريعة المجتمع"، فهدأ عبد السلام الزادمة، وطلب مني الطيب الصافي أن أتكلم.







قلت لهم أنتم تقولون: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٨]، هذه الآية نزلت في اليهود والكَفرة ولم تنزل فينا نحن أمة الإسلام، نحن وأنتم إخوان، والله يقول: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[النور: ٢٢]، وقلت لهم وكنت منفعلاً: "﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١]، ورسول الله قال للمشركين بعد فتح مكة: «اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»، فأثرت تلك الكلمات في كيان السجناء وكان لها وقع في أنفسهم فهدأت أعصابهم، فقد كانت خارجة من الأعماق، ومؤيدة بالآيات والأحاديث والسيرة النبوية المطهرة.

ومن الغريب أيضاً أن هناك عناصر من اللجان الثورية تأثروا وما ملكوا دموعهم، حتى إن أحد الشباب من أمن الثورة قال لي: بعد أن تخرج سآتي للمسجد الذي تخطب فيه، إن شاء الله، وأصلي معك، وشعرت وشعر الإخوة بنشوة الانتصار على قضاة اللجان الثورية، وهذا من فضل الله.

قال لي الجازوي –وكان يعرف أني طالب في كلية الهندسة إذ كان في الكلية نفسها–: "إن رسول الله لما ترك الأسرى ولم يقتلهم عاتبه الله على ذلك في بدر"، واستدل بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[الأنفال: ٦٧]، وكأننا أسرى كأسرى غزوة بدر، سبحان الله يا أخي من فهمهم وتصورهم! ألم أقل لك تبكي وتضحك، تبكي لأن مثل هؤلاء يملكون مقاليد الحكم، وتضحك على تفاهة عقولهم.

وعندما انتهت الجلسة سأل الإخوة القضاة: متى تكون الأحكام؟ فردّوا وقالوا: في هذا المساء، فسألوهم: وما نوعية الأحكام؟ قال الطيب الصافي:





الله ورسوله أعلم، أليس كذلك يا صلابي، فقلت له على الفور: الله أعلم، أما رسوله فبهذه الأعمال والمحاكم لا يعلم.

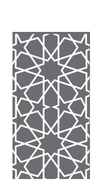
ورجعنا إلى السجن بانتظار العائلة أن تأتي في المساء، وكان الوقت يمرُّ ببطء ثقيلاً على الإخوة، وهكذا يمر على كل مُنتظرٍ آمِلٍ، وكالعادة وعدونا فأخلفونا، نعرفهم جيداً من هم، ولم يأت أحد يومها ولا الذي بعده ولا الذي بعده، ولم نعرض على المحاكم إلا بعد مرور سنتين على المحكمة العسكرية الدائمة... بقينا في التوقيف ٣ سنوات و٣ أشهر، ثمّ قُدِّمنا للمحكمة العسكرية، انظر يا أخي إلى هذا الظلم؛ التوقيف يستمر سنوات، وبعض القضايا ٦ سنوات، وتوقيف ثم توقيف، إنها الحرب النفسية المدمرة التي يمارسها النظام.

وصفهم سعد عامر -وتكلمت عنه فيما سبق- فقال: "إن الشخص فيهم ينطبق عليه حديث: آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا خاصم فجر"، وهذه الحقيقة يعرفها الليبيون، وتدل على حقيقة اللجان الثورية والإعلام الليبي في زمن القذافي.

ذكرى

وأنا أكتب هذه الذكريات أقول: بارك الله في تلك الفترة، كانت تارة محزنة وأخرى مفرحة، وأذكر في يوم ٢٩ رمضان من سنة ١٩٨٩م، وأنا في أرض الرباط في أفغانستان، ولا أدري كيف مرت تلك الأحداث وكأنها لحظات، فنتذكر قول الله تعالى: ﴿قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢ قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ فَسۡـَٔلِ ٱلۡعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢ - ١١٣].

في سجن الجديدة حصل أن انقطعت الزيارات أشهراً، وكنا نتواصى حينها بالمواظبة على الاستغفار، فمن يلزم الاستغفار يجعل الله له من كل همٍّ مخرجاً،





ومن كل ضيق فرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب، فقال أحد الإخوة -عفا الله عنه-: ونحن في هذه الحالة سواء لزمنا الاستغفار أو لم نلتزم فإن الرزق لن يأتي إلينا، فقلت له: نحن علينا أن نلتزم بالاستغفار والله يقدر ما يشاء.

وفي وقت الغداء، وأنا في حجرة صغيرة بالقرب من مقر الحرس أتلو القرآن، دخل علي الحارس وفي يده خبز مصنوع في البيت وطبيخة كان قد أحضرها ابنه، فقال لي: تفضّل، فأخذتها وقلت في نفسي سأحملها إلى أخي الذي اعترض وقال ما قال، فعندما رأى ما رأى دُهش.

ومن الغريب الذي أدهشني أنه جاء أحد الحرّاس ومعه بعض الصدقات ووزّعها على الإخوة؛ من أكل وغيره من الأشياء، وكان بعض أبناء العائلات الذين عاشوا في رغد وعز وثراء قد تأثروا، فقالوا: قد كُنّا أغنياء والآن يُتَصدق علينا، أما أنا فاستغربت من اعتراضهم على حكم الله.

تأثّرُ الحرّاس بمعاملتنا وأخلاقنا

كان في ذلك السجن حارس لا يصلّي، وبعد أن ذكرناه أصبح من المصلين، وطلب منه بعض الإخوة إحضار مذياع فأحضره، ولكن قبض عليه وتعرض للتأديب ثم عزلوه عنا.

وحدث أن دارت الألسن في السجن حول قضية حديثة قد حصلت، وهي أن بعض الأشخاص قبض عليهم وهم يتبادلون زوجاتهم لممارسة الزنا والفاحشة، وإنها لجريمة تقشعر منها الأبدان، فسألوني عن حكم الشرع في ذلك، فقلت لهم: الزاني المحصن عقوبته الرجم، وصرت أحكي لهم عن الشريعة وحكم الله، وكيف شرعت في المجتمع المسلم عقوبة القذف، وسقت لهم حادثة الإفك، فتأثر أحد الحراس، وكان لا يستطيع أن يمتلك دموعه من كثرة البكاء.







إن لدين الله وأحكامه مكانةً في نفوس المسلمين، ولكنّ نظام القذافي حارب منابر النور ومؤسسات العلم الدالّة على الصراط المستقيم.

في السجن، في ١٦/ ٤/ ١٩٨٣م، بفضل الله وتوفيقه، تمكنت من حفظ القرآن الكريم، وأرسلت رسالة إلى والدي الذي ما انقطع عني بالرسائل، والإتيان بالأشياء؛ كالملابس والعصير والمأكولات لي وللإخوة الذين معي، وكأن قلبه معنا، ولا شكّ بأنّه قد سرّه حفظي للقرآن الكريم كثيراً.

وقد قام الإخوة بمفاجأة الاحتفال، وأُلقِيَت الكلمات، وقالوا قصائد شعرية رائعة في ذلك، منها قصيدة للأخ عبد الحكيم البرغثي، وقصيدة لمحمد العبار.









مقر الحصان الأسود (القسم المدني)

جاء قدر الله لننتقل إلى المرحلة الخامسة، وهي الحصان الأسود القسم المدني. كان المقرُّ رهيباً مرعباً، عبارة عن بناء قديم تستوحش منه قبل الدخول، وعند دخولنا كان الإخوة يرتلون القرآن بصوت جماعي داخل سيارة السجن، وعندما دخلنا من باب السجن كنا قد وصلنا في الترتيل إلى قوله تعالى أول سورة الرحمن: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[الرحمن: ١ - ٢]، ودخلنا للمعتقل الحقيقي في ليبيا، فاستقبلونا بمجموعة من الشتائم وكلمات التوبيخ، ومن ذلك مناداتهم لنا: يا يهود، وكنت أول الإخوة الذين دخلوا العنبر الجديد، وشرعت في تلاوة القرآن في الزوايا، وقراءة آية الكرسي.

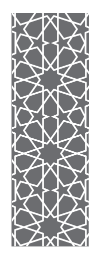


وقد شعر الإخوة بالضيق؛ لأنّ الأمر اشتدّ أكثر مما كان عليه، وكنت أستمدّ راحتي من قراءة آيات القرآن الكريم، نعم يا أخي؛ القرآن هو دواء ومصبّر للإنسان المسلم الذي يشارف على الانهيار.

وكان بقربنا زنزانات انفرادية اتصلنا بها، وعرفت أن فيها مجموعة من الشباب محكومين بقضايا عرفية، وهي قضايا مسلحة وفيها جوانب عسكرية، ولم تكن لدى الشباب دوافع إسلامية، وأذكر من الشباب؛ محمد الضراط، ومحمد الشلماني، والكاديكي، وبورويس، وغيرهم، وكانوا قد تعرضوا لمختلف أشكال التعذيب التي لا يتحملها بشر، ومنهم من فقد عقله وبدل أن يأخذوه إلى المستشفى تركوه مع السجناء.

كان في السجن رجل بولندي متهم بالجاسوسية، وذات مرة بينما كنت أقرأ سورة الكهف فتح الحارس عليّ الباب فرأيت البولندي، فأشرت إليه:





يا الله يا الله، ولا أدري أفهم أم لم يفهم، فقلت له: أخي، نحمد الله على كوننا مسلمين، لأننا نستشعر رحمة الله بنا، لو أنّا غير مسلمين كيف يكون حالنا؟

وبدأنا نفهم القضايا السياسية التي تتعلق بمناهضة القذافي ودوافعها، وتعرفنا على الحركات النضالية في تلك الفترة.

والتقينا بهم

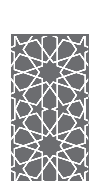
تعرفنا على صحفي أسمر نقد النظام في مقالات عدة، وكان رجلاً فاضلاً ضاع اسمه بعد أن حكم عليه بالإعدام ونفّذ الحكم، أما حالة الإخوة فقد ظلوا أكثر من سنة في الشيلات لا يرى النور وجوههم، وقد بذل الإخوة ما في وسعهم. وقد طلبوا منا أن نحضر لهم دخاناً، فامتنعت من ذلك لكونه حراماً، فقال عبد الحكيم: هؤلاء مساكين، قلت له: ولكن لن نساعدهم على معصية، فقال لي الإخوة: أنت لا تشتَرِه ولا تحمله، فقط اتركنا وشأننا، فتركتهم.

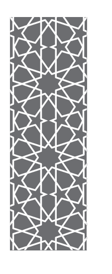
محاولة انتحار

حاول أحد الإخوة الانتحار، ولكن الله سلم، وحاولنا أن نعرف الأسباب وراء ذلك الموضوع، والحقيقة أن الجو العام سيطرت فيه الروح الإنسانية الإسلامية، إلا أن هناك من يعارض ويثير المشكلات، وكان الله يعيننا على حلّها.

من نوادر ذلك العنبر

في صلاة عصر يوم جمعة ما إن سلَّم الإمام حتى انصرف الإخوة للتفرج على مباراة الأهلي بنغازي، وكان معظم الإخوة أهلاوية، فقلت: "إن شاء الله يخسر الأهلي"، وخسر الأهلي، فعاتبني الإخوة على الدعاء.





تكسير المذياع

كان أحد الإخوة كثير المزاح معي، وكان يرفع صوت الأغاني الإنجليزية، فطلبت منه تخفيض الصوت فخفضه، ثم رفعه، فأتيته غاضباً وقلت له: أقسم بالله لئن سمعت الصوت لأكسرن المذياع.

وفعلاً عندما سمعت الصوت دخلت إلى حجرته وأخذت المذياع وكسرته، فأخذ بعض الإخوة تلك الحادثة مأخذاً وحدثت فتنة، فكادت أن تنشق الجماعة، فأدرك أخي (صاحب المذياع) الموضوع، وقال: المذياع ملكي الشخصي، ولا أريد من أحد أن يتدخل بيني وبين علي، وأخمدت الفتنة.



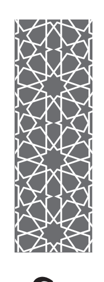
شعرت أني قد أخطأت، ولا بدّ من إصلاح الخطأ، وكان الإخوة عبد الحكيم وسليمان وعبد السلام مجتمعين، فدخلت على المجموعة واعترفت بالخطأ أمام الجميع، وطلبت منهم السماح. فنزعت -بفضل الله- الأحقادَ بذلك الموقف.

فتحي البرقاوي ورفاقه

في ذلك العنبر، اتصلنا بالمجموعة التي في السجن، وكان منهم فتحي البرقاوي، وقرابة أربعين شخصاً ممن تعلموا على يد الشيخ الحراثي أحكام القرآن والإسلام.

حكى لي فتحي البرقاوي أن اللجان الثورية أتت إلى بيته، فظن أنهم جاؤوا للقبض على أخيه، وكانت تربطني به علاقة من أيام الكُفرة، إلا أنهم قبضوا عليه، وحملوه في شهر رمضان عام ١٩٨٢م إلى معتقل ٧ إبريل، ووضعوه في التابوت، وبدؤوا بالتعذيب، فاعترف وجرَّ بقية الإخوة معه.







وكان قد قبض عليه في سكن الطلبة عام ١٩٧٦م، وبقي أشهراً في الحبس، وطرد من الجامعة، واشتغل في مطعم أبيه، ثم جُرَّ إلى المعتقل مع مجموعة من الشباب لهم اطلاعات فكرية وثقافية، ولم تكن توجهاتهم إسلامية، وأذكر أنهم التزموا داخل السجن، ولا أدري ماذا حدث لهم عندما خرجوا من السجن.

ويحكي فتحي البرقاوي أنَّ اثنين من المتهمين في قضيتهم ماتوا أثناء التعذيب، أحدهما ناجي، وأما الآخر فنسيت اسمه بسبب طول المدة، وشعر فتحي برحمة الله عليه؛ لأنه كان بعيداً عن تعاليم الإسلام، وأسرف على نفسه مثل كثير من الشباب آنذاك، فكان السّجن من الأسباب التي ساقها الله له لفهم دينه.

طريقة تواصل

كانت طريقة الاتصال بالزنزانات المجاورة أن أقف أسفل الشبابيك والأخ يوسف الفيتوري أمام الباب الرئيسي، واتفقنا على إشارة معينة، فإذا اقترب حرس الأسقف توقفت عن الكلام، وقد شرعت في الحديث معهم، وتذكيرهم بالله، فكانوا يسألون ما يهمهم من أمر دينهم، خصوصاً أنهم قد دخلوا بدون فقه وعلم، وليس معهم كتب للتعليم.

عذاب الحصان الأسود

نُقلنا إلى الشرطة العسكرية من مقر الحصان الأسود في شهر رمضان من عام ١٩٨٣، وجاء حرّاس الشرطة العسكرية واستلمونا من الشرطة المدنية، والحقيقة تقال: إنَّ الفرق بين الشرطة المدنية والشرطة العسكرية فرق شاسع، كالبعد بين المشرقين، فقد استضافونا بتوبيخ وكلام بذيء، وفرضوا علينا زياً خاصاً (بدلة) غير البدلة التي نلبسها.







كان لا يدخل عليهم لا كتاب ولا فرن كهربائي ولا ملابس مدنية إلا الداخلية، ويحلقون الشعر على الصفر، وإذا أخذت التموين تأخذه مع كلام سيئ.. الله أعلم به.

لم يتحمل الإخوة ذلك فانفجروا أمام السجانين، فحملوا عبد السلام بوفوناس للزنزانة، وعذبوه تعذيباً شديداً، ثم جاؤوا في الصباح وأخرجوا مجموعة وهم يضربونهم بالكرباج على ظهورهم وعلى أجسادهم، وكانت الإصابات في العيون وغيرها، والبقية الناجية كانوا يقرؤون آية الكرسي وسورة يس، حيث وزعوهم على الحجرات.

وبعدما وزعونا على أربع حجرات، أخرجوا من كان في الحجرة الرابعة للعقاب، فكنا نسمع صراخ الرجال في العشر الأواخر من رمضان، وكأنها كانت أعمالاً يتقرب بها السجانون إلى نظام القذافي.

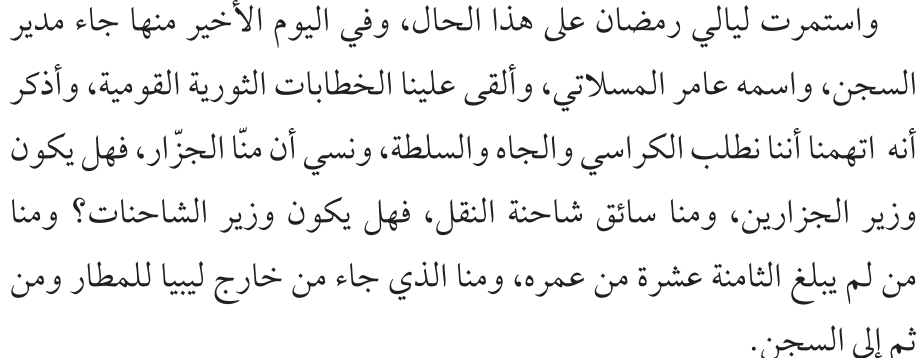
وأقفلوا علينا الأبواب، ولم يخرجونا في تلك الليلة المحزنة، فما ملكت نفسي، وشرعت في البكاء، والتجأنا إلى الله في الاستغاثة والدعاء، وقد وقع في تلك المجزرة البشرية فريسة للوحوش البشرية من الشرطة العسكرية: جمال جربوع، وسليمان بوحليقة، ومحمد العبار، ونايف السنوسي، وعبد اللطيف بسيكري، وغيرهم من الإخوة.

دخل أحد الحراس -واسمه صالح السرتاوي - وقال للإخوة: إذا التقيت بكم في الخارج فسأهرب منكم، أما هنا فأنا أفعل بكم ما أريد.

كان بلسم الآلام النفسية والجسدية تلاوة القرآن، وكانت التلاوة لها طعم في تلك الأحداث، وكنت أَنْشُد راحتي في بضع آيات من القرآن.







واستمرت ليالي رمضان على هذا الحال، وفي اليوم الأخير منها جاء مدير السجن، واسمه عامر المسلاتي، وألقى علينا الخطابات الثورية القومية، وأذكر أنه اتهمنا أننا نطلب الكراسي والجاه والسلطة، ونسي أن منّا الجزّار، فهل يكون وزير الجزارين، ومنا سائق شاحنة النقل، فهل يكون وزير الشاحنات؟ ومنا من لم يبلغ الثامنة عشرة من عمره، ومنا الذي جاء من خارج ليبيا للمطار ومن ثم إلى السجن.

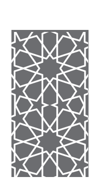
وكانت قوانين القذافي العسكرية تقول إذا أخطأ شخص فالعقوبة تنزل على الجميع، وإذا أخطأ بحقك الحارس فلا أفعل لك شيئاً، إنما الشكوى إلى الله، أما هنا فلا حق للمظلوم.

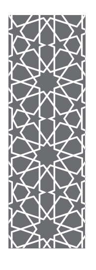
ثم إننا طلبنا منه إخراج عبد السلام بوفوناس من الشيلات، فأحضره لنا وفرحنا كثيراً بلقائه، وهذه هي المرحلة السادسة من حياة السجن، وقد كانت قاسية، إلا أن رحمة الله قريبة من المستضعفين المظلومين المقهورين.

العيد في المعتقل

من أصعب الأشياء على النفس البشرية حضور الأعياد داخل المعتقلات، كان ممر السجن طويلاً وضيقاً، يصل طوله إلى ثلاثين متراً وعرضه متر واحد، وفيه أربع حجرات، لكل حجرة شباك مبني من البلوك، ولها نافذة مفتوحة طولها حوالي نصف متر وعرضها بالمثل، ومقفلة بقضبان من الحديد، والحجرة مساحتها ١٠×٤م^{٢} أحياناً، وأقلها ٨×٤م^{٢}، وتطل على فناء، وذلك القاطع يطل على ساحة كبيرة.

وعند الحرمان من الخروج إلى الهواء الطلق كنا نغسل ملابسنا الداخلية وننشرها على السرير؛ لأن الفصل شتاء، وهي بحاجة إلى ٣ أيام حتى تجف،







ولكننا تعودنا على هذا الأمر، وأصبح بالنسبة إلينا عادياً، وفي ذلك الممر الضيق كنا نُقيم صلاة الجمعة وصلاة العيد، أنا الإمام والإخوة خلفي في صفوف مع اتجاه القبلة، في كل صف ٣ أشخاص، ويضم الممر أكثر من ١٤ صفاً.

كانت مشاعرنا في العيد تهتزّ، وقلوبنا تَرقّ، ونشتاق إلى أمهاتنا وأهالينا وعوائلنا، وفي يوم العيد -قبل الصلاة- من كانت له بدلة نظيفة واستطاع إدخالها إلى السجن، كان يصلي بها العيد.

وبعد أداء الصلاة كنا نتعانق، وكان البكاء في السجون من سنن الأعياد الثابتة التي مررنا بها، وإن كان بين الإخوة خصام جددوا الصلح والمحبة والسلام، وكانت تقام المسابقات وتجود القرائح بالشعر، ويتفنن الإخوة بمسلسلات فكاهية في أيام العيد.

الأخ علي أبو أصبع البرغثي

هو ملازم أول في قسم الجوازات في بنغازي، ساقه القدر معنا من فترة الجديدة إلى الحصان الأسود القسم العسكري، وكان متهماً بأنه ساعد نبيل عبد الله الشاعري في الخروج من ليبيا، إلا أنه لم يثبت عليه شيء، فكان يقول: لا أريد إلا أن أخرج من هنا، وفي الفترة الأخيرة نفد صبره، وكان يقول له الإخوة: إنّ رحمة الله قريبة من المحسنين، فيقول: أنا مسيلم، فهل نبقى بالسجن حتى نصل لدرجة المحسنين؟ وبالفعل فرّج الله عليه بعد سنوات من التوقيف، وبدأت أخباره تصل إلينا.







الشيوعية في السجن

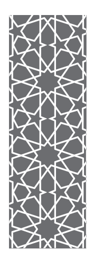
خرج أحد الإخوة من السجن للعلاج نتيجة لمرض شديد، فالتقى بأحد السجناء، وعرف أنه شيوعي، فلما دخل السجن تاب وأناب ورجع إلى الله، وهناك عدد من السجناء في السجون الليبية من لا يعترف بالإسلام ولا بالقرآن، ولكن لم نلتق بهم إلى الآن التقاء مباشراً.

وقد ذكرت أثناء الخطبة في صلاة الجمعة قصة أحد الشيوعيين في مصر، إذ كان يجمع الناس في الدهليز، ويتكلم عن الطبيعة وعن الفكر الشيوعي، وكان في المجموعة شخص مسلم وبعد أن انتهى الشيوعي من كلامه قال المسلم: وحّدوه، فقال الناس: لا إله إلا الله. وصار الإخوة بعد الخطبة يتفكهون بها: وحدوه.. لا إله إلا الله..

قدر الله

زار أهل سالم الجازوي ابنهم، وكان معهم سعد الجازوي، ولم أكن رأيته من قبل، ولم أعرفه، ولكن أرسل سلاماً مع أخيه سالم، وقال له: أخوك في الله يسلّم عليك، وأهدى إليَّ في تلك الزيارة مصحفاً عن طريق أخيه، وبعدها بسنة ونصف شاء الله أن يكون ضمن شباب قضية ١٩٨٤م (الجبهة الوطنية للإنقاذ)، ورجع إليه ذلك المصحف بعدما كان في أشد الحاجة إليه، وكأنه أودَعَهُ عندنا ليلتقي معه في المستقبل بالسجن، وقد شعرت بلزوم الوفاء له، والوقوف معه، وقد بقي حوالي سبعة عشر عاماً في السجن، ومن ثم فرج الله عليه، وفي تلك الفترة تحصّلنا على كتب إسلامية من مكتبة السجن المدني، وكانت كتباً منظمة، وأخذنا منها صحيح البخاري والعقد الفريد ونهج البلاغة وغيرها من الكتب.







محاولة هروب فاشلة

قام أحد الإخوة، وهو صلاح الدين علي الغزال، وهو ابن عمتي وشاعر معروف الآن، بمحاولة هروب، وأحكم الخطة، ولكن قُبض عليه، فألقوه في الزنزانة، وعاقبونا بإقفال الحجرات زمناً طويلاً إلى أن نقلونا إلى سجن جديد، وفي تلك الفترة زاد اهتمامنا بالبرامج المسموعة والقضايا والتطورات السياسية والثقافية والدينية.

السجن منارة للسجناء

تابعت في السجن برنامج نافذة على التاريخ سنوات، ومن خلاله عرفت الثورات العالمية، وأسبابها وزعماءها، ومنها الثورة الأمريكية والفرنسية والإيطالية، والحرب العالمية الأولى والثانية، ومعارك إسلامية وغيرها، وقادة وقضاة وشخصيات، كانت حصيلة تاريخية لا بأس بها، وكنت أدونها في أوراق الدخان وعلب الحليب وعلب الصابون.

وتابعت القضايا السياسية المهمة على الساحة في تلك الفترة، ومنها دخول الكيان الصهيوني جنوب لبنان والصراعات العربية، ودخول ليبيا في حرب لبنان، وتمكن سورية منها، وأحداث منظمة التحرير الفلسطينية، واحتلال السوفييت لأفغانستان، وقضية مسلمي الفلبين، والصراع الليبي الفرنسي في تشاد، والحرب الإيرانية العراقية، وغير ذلك، وكنا نُكبر عند سماع انتصارات المجاهدين في إذاعة لندن أو صوت أمريكا أو غيرها.

وتابعت المواضيع والبرامج والفتاوى الدينية مثل فتاوى الشيخ ابن باز والشيخ الفوزان وابن عثيمين والشيخ علي الطنطاوي، وأعجبني عرضه وأسلوبه وطرحه،







حتى إني بعد خروجي من السجن واستقراري في المدينة المنورة طالباً للعلم في الجامعة الإسلامية اقتنيت جلَّ كتب الشيخ علي الطنطاوي وقرأتها.

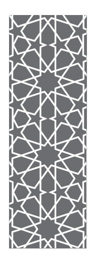
حين كنا في السجن كانت أجسادنا داخل الجدران وعقولنا وقلوبنا مع دنيا العلم والعلماء، وكان السجن فرصة للإخوة لتعلم الخطابة وأخذ كل من سعد عامر وعبد السلام بوفوناس فرصتهم ليتدرّبوا على الخطابة وتقدّموا لها، واستفادوا من التجربة الجديدة، كانت تجربة عملية في مدرسة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد كانت لنا علاقة خاصة مع قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وتناولنا تفسيرها في خطب متعددة، وكنا نرى أن قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لها أربعة أعمدة رئيسة، ألا وهي الإيمان والصبر والتقوى والإحسان.

وقد يتحول السجن إلى روضة من رياض الجنة إذا كان الإيمان بالقدر راسخاً في قلب المؤمن، فإن الأقدار تدفع بالأقدار، فقدر السجن يدفع بالإيمان والتقوى والصبر والإحسان، وكان بعض الإخوة يصل إلى حالة من الصفاء الروحي، بحيث يطلب من الله ألا يخرجه من السجن إلا بعد حفظ القرآن، ومنهم من يشتاقون إلى الليل، ويحنون إليه للقيام وتلاوة القرآن، نعم؛ إنها مدرسة وكلية يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، لمن أراد الله به الخير وشرح صدره للمحنة والشدة، وتربى تربية طيبة تزول الجبال ولا يزول.

فعندما سئل المفكر الإسلامي الكبير أستاذنا محمد قطب: أين يتربى الدعاة، قال في أحضان السجون! لقد جرّبنا معنى ظلم المظلومين.. معنى الغربة.. معنى الحرمان.. معنى الاشتياق.. معنى العناء، واشتدّ الجوع في هذه المراحل، فأحياناً كان الإخوة يأكلون الخبز اليابس وأطعمة أصيبت بالسوس أو تعفنت، فقد مررنا بحالات لا يعلمها إلا الله من الجوع المتعمد من سلطة السجن،







ونستشعر بقول رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بِكَ منَ الجوعِ، فإنَّهُ بئسَ الضَّجيعُ».

وعرفنا قيمة فردة الخبزة، ومعنى الأخوة في الله، ومعنى رابطة المحنة، والمحبة في الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ.

فريق إدارة السجن من العسكريين قساة القلوب

كنا نتابع أخبار البلاد السياسية عن طريق المؤتمرات الشعبية، ومن خلال حديث الناس والشيوخ الكبار، نعرف ما وصلت إليه حالة البلاد من خلال الخطابات التي يُلقيها القذافي في الإذاعة المرئية والمسموعة، ومن خلال الزيارات الأسرية للسجون في تلك الفترة.

جاءت جدّتي (والدة أبي عائشة محمد عادل الدّرسي رَحِمَهَاٱللَّهُ) إلى سجن طرابلس، وقد بلغت من الكبر عتياً، وقالت لي: ما ملكت نفسي أن آتي لزيارتك، وقالت لي: إن الخير في علم الله أحياناً يكون في داخل السجن، وليس في خارجه، فسلم أمرك لله، وإن كنا لا نملك شيئاً إلا ذلك.

وكانت امرأة صالحة تقية نقية أثرت في حياتي الدينية، وتعلمت منها صيام النافلة، ومحبة الحركة السنوسية، وأما والدتي فقد بكت في إحدى الزيارات، فقلت لها: يا أماه ما هي إلا أيام، وفرج الله قريب إن شاء الله.

نقلونا إلى مقرٍّ جديد أكثر انغلاقاً، فيه ست حجرات صغيرة بعضها يضم ٥ أشخاص وبعضها ٤ أشخاص، ولاقينا في تلك الفترة ضيقاً، وتضايق الإخوة كثيراً، فكان المقر عبارة عن بيت قديم من زمن الإيطاليين، وفي داخل الحصان الأسود تأقلمنا مع الجو الجديد، وشرعنا في البرامج معاً.







كانت هذه الفترة بالنسبة لي فيها انقطاع للعلم والحلقات، وأحياناً التدخل لحل مشاكل الإخوة، وقد أحضرت معي أوراقاً بها معلومات ملخصة في مجال السياسة والتاريخ والدين، وساعدني في ذلك عبد السلام بوفوناس وسليمان الشاعري وعبد الحكيم البرغثي.

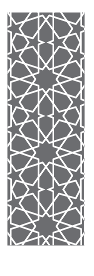
عقدنا مجلساً يومياً بعد صلاة العشاء بنصف ساعة، وكل أسبوع امتحان فيما أخذناه، وبعد ذلك تحسن العمل شهرياً ثمّ فصلياً، وكان الإخوة حريصين على المذاكرة، وتحسّن المستوى الثقافي، وتغيرت النقاشات، وتوسّع الأفق، وكثرت المجالس العلمية، وترك مجال الخطابة مفتوحاً لمن يريد أن يتقدّم، وكنا نمارس الرياضة في الممرات الضيقة مجموعات بعد صلاة الفجر وفي وقت الظهر وفي الساعة الـ١٢ ليلاً.

زيارة من يوسف

وفي هذا العنبر جاءت أسرتي لزيارتي، وقدمت لي بمولود جديد في مهده، فقلت لهم: من هذا؟ قالوا: لي هذا أخوك يوسف، فاحتضنت أخي الذي ولد وأنا في السجن، وأذنت في أذنه اليمين وأقمت الصلاة في أذنه اليسرى، وما كنت أظنّ أو يخطر على بالي أن تنجب أمي.

وبعد الزيارة رجعت مسروراً وأخبرت الإخوة بالمولود الجديد، وشرع الإخوة في تأليف الفكاهات (والحديث عن هذا الحدث الغريب بالنسبة لي)، ولم أرَ أخي يوسف وأنا في السجن إلا تلك المرة، وبعد أن خرجت من السجن بسنوات وجدته يمشي ويتكلّم، ولم تسمح الأوضاع أن أعيش مع عائلتي إلا بضعة شهور حتى خرجت من بلدي ولم أعد أستطيع الرجوع إليها، وحينها قال لي أخي يوسف: عندما تذهب للعمرة ادعُ لي هناك.





لا أدري متى التقيت به مرة أخرى، والسبب في ذلك نظام القذافي، هذا النظام الذي فرق بين الأب وابنه والأم وأولادها والأخ وإخوانه.

هذه الفترة عندما أذكرها تجول في خاطري ذكريات ومشاعر في نفسي لا أملكها، وأتأثر من أعماق قلبي، كانت شبه عزلة، صيام وقيام وقرآن وأذكار، وأصبحت في مدرسة يوسف، واطلعنا فيها على علوم تاريخية وسياسية ودينية وعلمية، ومكثنا في هذا العنبر ٩ أشهر، وقد تأقلمت فيها وأصبحت الحياة شيئاً طبيعياً، ومهما كانت ظلمته ومعاناته، فإن القرآن ومجالس العلم ما دخلت مكاناً إلا وجعلت من الظلام نوراً، ومن الشدّة ليناً، ومن البؤس سعادة.

رمضان عام ١٩٨٤



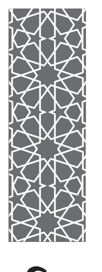
في ذلك الشهر المبارك وقعت أحداث ٥ مايو التي هزّت نظام القذافي من قواعده الواهية، واستمر إطلاق النار من قبل حرس اللواء الجمهوري الخاص بالقذافي أمام مقرّ القيادة أكثر من ٦ ساعات متوالية، كان يتساقط فيها الشهداء من أبناء شعب ليبيا، كما قُتل من نظام القذافي، حيث قام بالاشتباك مجموعة من الشباب المنتسبين للجبهة الوطنية لتحرير ليبيا.

الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا

تزعمها الدكتور محمد المقريف في لندن ببريطانيا، وكان في شبابه من الإخوان المسلمين في ليبيا؛ إلا أنه بعد خروجه من ليبيا في أواخر السبعينيات قطع صلته بالنظام، وأعلن الحرب على القذافي.

كان لهذا الرجل تاريخٌ حافلٌ في ليبيا، فهو صاحب دعوة في الجامعة الليبية عندما كانت الدعوة الشيوعية قائمة مع الدكاترة على أشدّها، وهو من المحسوبين





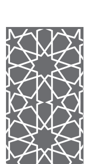


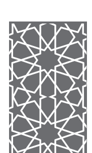
على الاتجاه الإسلامي في تلك الفترة، ودخلوا في نقاشات وسجالات فكرية وسياسية مع البعثيين والشيوعيين والناصريين والعسكريين في الجامعة، وقد كان زميلاً لوالدي، وصديقاً شخصياً، جمعت بينهم أخوة، وأذكر في طفولتي أنني زرته مع والدي في بيته ببنغازي في السبعينيات من القرن الماضي.

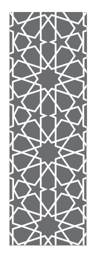
وبعدما أعلن عن الجبهة الوطنية للإنقاذ دخلت تيارات عديدة فيها، ومن بينها مجموعة من الإخوان المسلمين الذين تشربوا فكر الإخوان من ليبيا وخارج ليبيا، وكانت الجبهة تستهدف القضاء على نظام القذافي، وتدرب أفرادها في السودان، وكانوا على صلة بالمملكة المغربية والعراق، وغيرها من الدول، وكان منهم الدكاترة والمهندسون والطلبة من أمريكا وألمانيا وأوروبا، وتركوا الدنيا وأتوا ليبيا بزعامة الأستاذ أحمد احواس، وبعد انتهاء المعركة وسقوط الشهداء، كان منهم من لم يلقِ السلاح حتى استشهد، ومنهم من هرب، مثل كمال الشامي وسالم الحاسي.

وقد صرّحت الحكومة الليبية عن المؤامرة ضدها، وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، واستنفرت اللجان الثورية والاستخبارات والقوات المسلّحة للبحث عن أبناء الحركة في طول ليبيا وعرضها تمشيطاً بالمناطق.

ثم إنها قالت إن المدعو أحمد احواس حاول الدخول من الحدود التونسية وقتل هناك، ووجدوا معه كشوفات بأسماء أعضاء الحركة، وأطلقت الحكومة عليهم اسم الكلاب الضّالة، وقُبض على الألوف من أبناء الشعب من غرب ليبيا إلى شرقها ومن شمالها إلى جنوبها في شهر رمضان من ذلك العام، وعقدت المحاكم الثورية، وأعدم من كل مدينة أو بلدة في ليبيا شخص أو أكثر، من طرابلس وبنغازي ومصراتة ودرنة وغيرها من المدن، وأظهر القذافي حبه لسفك الدماء، وتعدّ هذه القضيّة من أكبر القضايا التي تعرّضت فيها الجبهة







للتعذيب والتنكيل، وتعتبر من الحركات التي هزت أركان النظام في ليبيا بين عامي ١٩٦٩ و١٩٨٤م.

من تصفيات نظام القذافي للمعارضة خارج ليبيا

تحدث الدكتور جمعة عتيقة في مذكراته عن حملة الاعتقالات والتصفيات في الخارج، والبداية مع محمد مصطفى رمضان، يقول: أطلق فريق الاغتيال النار على الإعلامي المشهور في إذاعة بي بي سي محمد مصطفى رمضان؛ وذلك إثر خروجه من صلاة الجمعة في مسجد المركز الإسلامي بلندن.

ومما ذكره الدكتور جمعة عن علاقته بمحمد مصطفى رمضان أنه كان يعرفه من ستينيات القرن العشرين، وكان قد التحق بالعمل الصحفي مبكراً بالإذاعة الليبية، وذلك فور حصوله على الشهادة الثانوية، وكان ذو اتجاه إسلامي معتدل، خفيف الظل، صاحب نكتة، وكانت تعليقاته لاذعة، ويتمتع بذكاء حاد، طيب المعشر، ويقول: "أذكر آخر مرة التقيت به في ليبيا بمنزله في أواخر ١٩٦٩م، وكان في زيارة لأهله قادماً من لندن، حيث يعمل مذيعاً بالإذاعة البريطانية، وأذكر أن مجلس قيادة الثورة قد أذاع في نفس اليوم بياناً حول ما سمي بـ"مؤامرة" (موسى أحمد وآدم الحواز) وزيري الداخلية والدفاع، وكان البيان مليئاً بنعوت الخيانة والعمالة والتآمر والغدر وغيرها من المفردات التي خبرها محمد مصطفى رمضان بحكم اطلاعه على تجربة الحكم العسكري في مصر، فأخرج بعد إنهاء إذاعة البيان شريطاً وأسمعنا خطاب عبد الناصر في المنشية، وواقعة إطلاق النار عليه بصورة يعتبرها محمد تمثيلية سيئة الإخراج.. المهم كان استهداف هذا الاسم المعروف والصوت المجاهر بنقد كل مظاهر العنف وتقييد الحريات بداية هجمة شرسة مسعورة؛ قادتها زمرة من القتلة





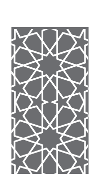

وأصحاب السوابق، بتوجيه من عناصر في اللجان الثورية معروفة، حتى صارت لازمة نشرات إذاعة لندن التي كانت تتربع آنذاك على سدة الإعلام قبل حقبة الفضائيات.. كانت نشرتها تبدأ بجملة مكررة.. (قتل ليبي آخر) اغتيل (عبد الجليل العارف) في روما... والمحامي المعروف (محمود بن نافع) في لندن.. و(صالح بوزيد) في أثينا.. وتوالى سقوط الضحايا على طريق الدم والجريمة.. كما كانت أخبار الاعتقالات الواسعة في الداخل تتوالى، خاصة المتهمين بالانتماء لحزب البعث فرع العراق[1].

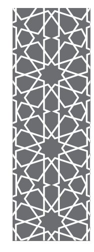
ويتحدث الدكتور جمعة عتيقة فيقول: "اتصل بي الحاج محمد هويسة من الدار البيضاء في بداية شهر رمضان ١٩٨٠م، وأعطاني شخصاً لتحيته لم أخطئ صوته ولا طريقته في الحديث؛ كان الدكتور محمد المقريف.. والذي أبلغني بأنه في طريقه إلى الرباط لاتخاذ خطوة هامة وخطيرة حسب تعبيره.

رحبت به وتمنيت له التوفيق، وفي المساء حضر إلى منزلي مع محمد هويسة، وأوضح ما ينوي عمله، بل إنه كتب صيغة استقالته في بيتي مستمعاً إلى ملاحظاتي والحاج هويسة.. ثم جاء شخص ذكر بأنه صحفي من وكالة الأنباء المغربية.. وأخذ البيان، الذي نشر في الصحف وأذاعته وكالات الأنباء لاحقاً.

استأجر الحاج محمد عثمان الصيد فيلا صغيرة لإقامة المقريف الذي أحضر أسرته إلى الدار البيضاء.. وبدأ المقريف نشاطه واتصالاته واستقبال زائريه؛ ولمبررات موضوعية عديدة، وحتى لا أنجرف إلى ما قد يسيء لمن أتحدث عنهم، فإنني سوف لن أعرض في هذا الجزء من المذكرات للتقييم السياسي والعقائدي، ولا للأخطاء، وأحياناً الخطايا، التي ارتكبت في تلك الفترة،

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، طرابلس، دار الرواد، ط٢، ٢٠١٢م، ص ٥٠.





ولا إلى دوائر الشبهة والريبة وحلقات المخابرات الدولية والإقليمية وخيوطها العنكبوتية.. ولا إلى المغامرات والأوهام والمركبات النفسية التي استنزفت جهداً ضائعاً..''، واقتبس الدكتور عتيقة نصاً من كتاب أحد مؤسسي جبهة الإنقاذ، وهو الأستاذ محمود الناكوع، في كتابه ''ملامح الصراع السياسي والثقافي في ليبيا الحديثة''، ونشرته مكتبة وهبة عام ٢٠٠٧م، ويقول: ''ثم جاءت مرحلة جديدة وهي مرحلة تكوين التنظيمات السياسية في ديار الاغتراب والهجرة، حيث أسس المثقفون الليبيون عدة تنظيمات بلغت أكثر من خمسة عشر تنظيماً، بعضها تمكن من حشد وتجنيد المئات، وكان من أكبر التنظيمات ''الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا''، وخاضت تلك المنظمات تجارب سياسية وتثقيفية وعسكرية، وعكست كل ألوان الطيف السياسي الليبي.

وفي أواسط التسعينيات من القرن العشرين وصلت تلك التنظيمات إلى أسوأ حالاتها، وفقدت قدرتها على مواصلة النضال السياسي كقوة مؤثرة كما كانت في عقد الثمانينيات أو أوائل التسعينيات.. ويضيف الأستاذ الناكوع: ويبدو أن هناك أسباباً كثيرة ساهمت في مسلسل الإخفاق، ومن أهم تلك الأسباب ثقافة الإقصاء التي شكلت عقلية ظلت محدودة الآفاق قصيرة النظر غير قادرة على إدراك المصالح الوطنية، وما تقتضيه من ضرورات الحوار مع الآخر، والاعتراف بوجوده ودوره مهما كان صغيراً.. وظلت التنظيمات السياسية عبارة عن مجموعات صغيرة معزولة بعضها عن البعض الآخر، بل إن كل تنظيم كان يقلل من أهمية التنظيمات الأخرى وربما يذهب إلى أبعد من ذلك، يشكك في أفكارها وأهدافها، ويتهمها بما لا يليق من النعوت والأوصاف، وكان أتباعها ليسوا من أبناء الوطن، من كتاب الأستاذ محمود الناكوع''[1].

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ٥٣ - ٥٤.







وعن اغتيالات الخارج وقضية محمد مصطفى رمضان يقول الأستاذ علي العكرمي في رواية طريق جهنم:

بعد خطاب القذافي في أوائل الثمانينيات، بدأت موجة الاغتيالات في الخارج، وكانت البداية مع المذيع محمد مصطفى رمضان، والذي قُتِل في مسجد ريجنت بارك بعد صلاة الجمعة، وذلك بسبب كتابه: الشعوبية الجديدة، وكان رمضان يبعث برسائله المفتوحة إلى القذافي ناصحاً إياه، ويبث عبر الإذاعة أغنية للسجناء السياسيين العرب يصبرهم ويواسيهم، وكانت نهايته بثلاثة رصاصات غادرة في الصدر، فكان دمه ثمن الحرية التي أرادها لنفسه وشعبه[1].

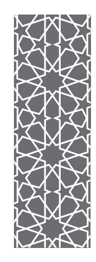
وعن تجربة الجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا وأحداث العمارة تحدث الأستاذ صالح القصبي في كتابه:

في ذكرى ٨ مايو ١٩٨٤م أو ما يُعرف بأحداث العمارة، التي سبقها دخول الشهيد أحمد احواس من تونس عبر الحدود الليبية التونسية؛ مع رفيقيه الأخوين علي بشير حمودة وعماد الحصائري يوم ٦ مايو ١٩٨٤م، وقد اكتشفتهم السلطات الليبية واقتادتهم إلى مركز الشرطة في زوارة، وهناك اشتبكوا في معركة استشهد فيها الأخ أحمد احواس وقاوم الأخوان علي وعماد، فأصيب عماد في رجله، وأصيب علي في بطنه ونجيا، وهما حيّان يرزقان بيننا في هذا العنبر اليوم.

وقد وجدت السلطات في حقيبة الشهيد قائمة تضم أسماء ممن يراد الاتصال بهم والتعاون معهم في الداخل، وقد بدأت السلطات بالاعتقالات في اليوم السابع من شهر مايو، أي يوم دخول الشهيد ورفيقيه.

(١) أيمن العتوم، طريق جهنم، ص ٢٤٣.





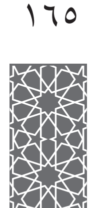
وعرضت جثمان الشهيد في التلفزيون ليلاً، وهو ما جعل بعض الشباب، أي شباب العمارة، يتحركون من بيت في قرية الدريبي إلى شقة في العمارة المعروفة في شارع الجماهيرية. تحركوا في الليل ونقلوا أسلحتهم إلى هذه الشقة، ولم يناموا تلك الليلة، وصلّوا الفجر بأحذيتهم، ولما أطلوا من النافذة في الدور الرابع وجدوا أن حشوداً عسكرية ودبابات تطوقهم، ورأوا أن يطلقوا النار ليجدوا لهم طريقاً للخروج من هذا المأزق، وتتقدم مجموعة لفتح الطريق ويدركهم الآخرون للفرار من هذا الطوق.

وتُبودل إطلاق النار، وألقيت القنابل المسيلة للدموع، واستشهد الإخوة عبد الناصر دحرة من طرابلس، وسالم ألماني من مصراتة، ويحيى علي معمر، وخالد علي معمر من نالوت، ومحمد هاشم من أجدابيا، وعبد الله الماطوني من بنغازي، ومصطفى أبو غرارة من درنة، ومحمد الرعيض من بنغازي، وجمال السباعي من مصراتة.

واستشهد اثنان آخران من هؤلاء الشباب هما: سالم القلالي في مزرعة بضواحي طرابلس، ومجدي الشويهدي في بناية في وسط طرابلس، رحم الله هؤلاء الإخوة الشهداء وجعلهم زاداً ووقوداً للحركة الإسلامية والدعوة إلى الله، ودفعاً للشباب المسلم في قطرنا وغيره من الأقطار من بلادنا الإسلامية الواسعة حتى تحقق ما تصبو إليه أمتنا الإسلامية من نشر الحق والعدل في الكرة الأرضية كلها..[1].

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.







قضيتا عامر الدغيس ومحمد حمي[١]

في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات كانت الذروة الأولى من الضيق والعذاب غير المسوغ، وكان ممن قتلوا في السجن عضو حزب البعث عامر الدغيس، ورغم وساطة صدام حسين رئيس العراق فإنهم قتلوه؛ إذ لم يقبل التعاون مع اللجان الثورية، واقتيد إلى معسكر باب العزيزية، وحققوا معه حول مواقفه الوطنية وعلاقته بالمعارضة، وصلته بدولة عربية يتهمها القذافي بمحاولة الانقلاب عليه.

تعرض الدغيس لأشد أنواع التعذيب، وكانوا يربطونه بالسقف من يديه، وينهالون عليه بالكاوات، وبحراب البنادق، وقطعوا أجزاء من جسده، وحسب رواية العكرمي: مارس أكثر من ٣٠ سجاناً تعذيبه ولأكثر من ٣ أيام في عام ١٩٨٠م، وتم تسليم جثمانه إلى أهله في صندوق محكم الإغلاق، وادعى النظام أنه مات منتحراً، ولم يسمحوا لابنه إلا أن يرى وجهه من خلال فتحة عليا في صندوق الموت، وأشرف النظام على دفنه ليختم بذلك صفحته!

وكذلك فعلوا الشيء ذاته مع محمد الحمي، الذي اعتقل في العهد الملكي، وعندما كان جلادو النظام يلقون القنابل المسيلة للدموع على الطلبة خلال مظاهرات ١٩٧٦م في بنغازي فتح الحمي بيته للطلبة الشباب المتظاهرين الذين تضرروا من الغازات، وتقاطر الشباب على بيته.

كما أَبَّن محمد حمي عامرَ الدغيس عند تشييع جثمانه في طرابلس، فعد النظام ذلك قمة التحدي له، والوفاء للخائن، فاعتقلوه بعد شهر واحد من موت الدغيس في مارس ١٩٧٩م، وفي اليوم التالي عادوا وفتشوا بيته تفتيشاً دقيقاً،

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ١٩٠ – ١٩٣.







واستولوا على أوراقه ودفاتره، وكان معهم عند التفتيش، وانهارت ابنته سلوى من شدة البكاء، وقد سجن في ثلاثة عهود وهو يدافع عن الحرية والأحرار، ومات الحمي تحت التعذيب، وذكر العكرمي: من خلال النافذة رأيناهم يجرون جثمان الشهيد محمد الحمي بعد أن فارق الحياة.

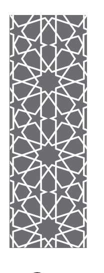
قضية منصور الكيخيا

تحدث الدكتور جمعة عتيقة عن وزير الخارجية الليبي الأسبق منصور الكيخيا ودوره المعارض لنظام القذافي، فيقول: عرفت منصور الكيخيا شخصياً في النصف الأول من السبعينيات، وذلك بعد استقالته من منصبه وزيراً للخارجية على إثر معاملة غير لائقة بروتوكولياً من قبل العقيد القذافي، وذلك أثناء زيارة للرئيس هواري بومدين إلى ليبيا، حيث لم يُدْعَ لحضور لقاء بين القذافي وبومدين، وقد حضره نظيره الجزائري عبد العزيز بوتفليقة وزير خارجية الجزائر.

وأمام هذه الإهانة قدم منصور الاستقالة، وفتح مكتباً لممارسة مهنة المحاماة في منطقة الظهرة قرب مبنى الأمم المتحدة، وكنت أزوره في مكتبه وأستمع إلى انتقاداته الحذرة، وتحليلاته العميقة، واستشرافه للمستقبل، كان متفائلاً في توقعاته.

عاد بعدها ليشغل منصب مندوب ليبيا الدائم في الأمم المتحدة حتى عام ١٩٨٠م، وبعد موجة الاعتقالات والاغتيالات التي طالت أصدقاء له، ورفاقاً لدربه، مثل: عامر الدغيس ومحمد حمي، ومغادرة آخرين للبلاد فراراً إلى المجهول، كالأستاذ عبد الله شرف الدين وعلي بوزقيه، وبعد هذه الحوادث





والوقائع المؤلمة قدم استقالته وانضم للمعارضة صوتاً عاقلاً هادئاً محاوراً ينبذ الغوغاء والتهور، ويحلم ببلد تسوده الديمقراطية وسيادة القانون..

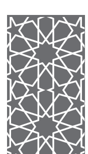
وفي أواخر عام ١٩٨١م، حضر إلى المغرب، والتقيت به مراراً، وكان بصحبته الأستاذ عبد الله شرف الدين، وأثناء تناولنا الغداء ذات يوم في بيت محمد المقريف أبدى منصور بعض الملاحظات حول بيان استقالة المقريف، وما كان يدلي به من تصريحات صحفية تتهم النظام في ليبيا أنه عميل لأمريكا، وأنه قد تأكد من ذلك منذ بداية صعود العسكر إلى السلطة وقد فاصلهم الآن لهذا السبب، وكانت وجهة نظره أنه لا يجوز لمن شغل مناصب عليا في الدولة (سفيراً أو وزيراً) أن يقول مثل هذا الكلام بعد عشر سنوات من عمر النظام، فذلك يجعله في موقع الشريك في العمالة والتبعية.

لم يعجب كلامَ منصورٍ المقريفَ، فأخذ -كعادته- في الصراخ ورفع الصوت والعصبية الهادرة، ومنصور كعادته هادئ مبتسم، وعندما أمعن المقريف في نوبته العصبية ذكره بهدوء بأنهم ضيوف عنده في بيته، والأمر لا يعدو أن يكون اختلافاً في وجهات النظر، فهدأ المقريف قليلاً على مضض...

كان غياب منصور الكيخيا ضربة لكل القوى الديمقراطية والتقدمية في ليبيا، وما زال مصيره لغزاً غامضاً حتى أغسطس ٢٠٠٨م[١].

كان العقيد معمر القذافي يتوجس من شخصية الكيخيا ويعتبرها من أكثر الشخصيات المعارضة تأثيراً في الرأي العام الدولي تجاه نظامه، وقال القذافي يوماً في قصره الرئاسي -حسب روايات شهود-: أنا لا أعطي بالاً لأي

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ١٣٨ - ١٣٩.








من المعارضين إلا الرجل الذي يدعى منصور الكيخيا.. كان خطراً كبيراً في تسعينات القرن الماضي[١].

من هو منصور الكيخيا؟ (١٩٣١ - ١٩٩٣م)[٢]

الكيخيا سياسي ليبي وحقوقي ومعارض لنظام العقيد مُعمّر القذافي، وقد ولد في مدينة بنغازي عام ١٩٣١، ودرس القانون في كلية الحقوق بالقاهرة وفي جامعة السوربون الفرنسية، ثم عمل في السلك الدبلوماسي بالخارجية الليبية لما يقرب من ١٣ عاماً، شغل خلالها منصب وزير الخارجية، ومُمثلاً دائماً لبلاده لدى الأمم المتحدة، وقبل أن يكون وزيراً للخارجية مارس المحاماة في طرابلس، وترافع في تلك الفترة عن قضايا حساسة لمعتقلين سياسيين من بينهم عناصر من حزب التحرير.

وقف الكيخيا، بعد خروجه من ليبيا وإعلانه المعارضة، جهوده لتأسيس جبهة معارضة قوية، فساهم في تأسيس المؤسستين الحقوقيتين البارزتين: المنظمة العربية لحقوق الإنسان، والرابطة الليبية لحقوق الإنسان، ودافع عن حقوق مواطنيه، وفي عام ١٩٨٨، انتُخب أميناً عاماً للتحالف الوطني الليبي الذي ساهم في تأسيسه.

أصبح الرجل أحد أبرز دعاة الحوار الديمقراطي للمعارضة الوطنية، وأعرب عن إيمانه بتنسيق جهود المعارضة ضد نظام القذافي، فأصبح صداعاً في رأس

---

(١) محمد فهمي سلامة، **منصور الكيخيا... جثة اللاجئ السياسي الليبي التي حيرت مصر في التسعينات**، موقع الميزان، شوهد في: ١٩/ ١/ ٢٠٢٣م. انظر الرابط: https://2u.pw/yq1a1c

(٢) هدى الشيمي، **"خرج ولم يعد": الليبي منصور الكيخيا.. مسافر بلا وداع**، موقع مصراوي، ١٣ أكتوبر ٢٠١٨م، انظر: https://2u.pw/IKbn9c








النظام الليبي حتى عام ١٩٩٢، عندما عقد الكيخيا ميثاقاً لوحدة المعارضة مع الدكتور محمد المقريف لوضع تصورٍ ناضجٍ لعمل المعارضة، ويُقال إن هذه الخطوة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير، ودفعت النظام إلى التخطيط لاختطافه والتخلص منه بعد وصوله إلى القاهرة.

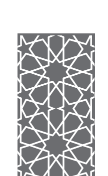
ماذا حدث في ١٠ ديسمبر ١٩٩٣؟

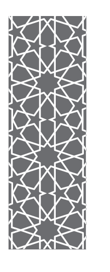
تقول بهاء العمري، زوجة المعارض الليبي، في الكتاب الذي نشرته المنظمة العربية لحقوق الإنسان بالقاهرة ويحمل عنوان (منصور الكيخيا.. مسافر بلا وداع)، إن زوجها وصل إلى مصر في ٢٩ نوفمبر عام ١٩٩٣، لحضور اجتماعات الجمعية العمومية للمنظمة العربية لحقوق الإنسان، وأقام بفندق سفير في حي الدقي، مُشاركاً في جميع الأعمال والفعاليات التي بدأت من ٢٩ في الشهر ذاته واستمرت حتى ٢ من ديسمبر ذلك العام.

وأضافت أن الكيخيا "طلب من الأمانة العامة للمنظمة تمديد إقامته في الفندق إلى فترة أخرى، ثم غادر القاهرة مُتجهاً إلى الإسكندرية ولبث هناك ثلاثة أيام، التقى فيها مع صديق له يعمل مسؤولاً في الدائرة السياسية بالتحالف الوطني الليبي المعارض".

في العاشر من ديسمبر، أي في ليلة الاختفاء، التقى الكيخيا، حسب شهادة زوجته، بأشخاص ليبيين، ثم عاد إلى فندق سفير في الساعة التاسعة والثلث مساء ذلك اليوم، ومنذ ذلك الوقت لم يعلم أحد عنه أي شيء.

ذكر شهود عيان أنه بينما كان يستعد لدخول الفندق اختطفه بهدوء تام ثلاثة رجال في سيارة ليموزين سوداء ذات لوحات دبلوماسية.





اتهامات ونظرية مؤامرة

أثار اختفاء شخصية سياسية بارزة مثل الكيخيا ضجة كبيرة في العالم، ووجهت أصابع الاتهام إلى محورين رئيسيين؛ الأول هو أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية، والثاني هو المخابرات الليبية.

هنا يقول عادل أمين، محامي أسرة الكيخيا بالقاهرة، إن العالم كان أمام احتمالين، الأول أن يكون النظام الليبي المخطط والمنفذ لعملية الاختطاف، وهذا ما تؤكده عائلة الكيخيا وأقاربه، والعديد من قادة المعارضة الليبية.

أما الاحتمال الثاني، حسب أمين، فهو أن تكون المخابرات الأمريكية هي المنفذ لعملية الاختطاف، وهذا ما حاولت الحكومة الليبية الترويج له، بحجة أن الولايات المتحدة تريد إلصاق التهم بطرابلس، كجزء من الحملة التي تشنها الإدارة الأمريكية ضد النظام الليبي واتهامه بالاستمرار في القيام بالعمليات الإرهابية، والإساءة إلى سمعته أمام الرأي العام العالمي، بالإضافة إلى محاولة الإساءة إلى العلاقات القائمة بين مصر وليبيا، لا سيما أن العلاقات الليبية المصرية كانت في أحسن حالاتها وقتذاك.

العثور على الجثة

في نوفمبر عام ٢٠١٢، أي بعد مرور ١٩ عاماً على اختفاء منصور الكيخيا، قال شقيقه محمود إنه تم العثور على جثته في أحد المنازل الفاخرة في العاصمة الليبية طرابلس.

وأشار إلى أن تقارير الطبيب الشرعي المبدئية بيّنت أن سبب وفاة منصور ليست طبيعية، على عكس معلومات منسوبة إلى رئيس استخبارات النظام السابق، المعتقل حالياً، عبد الله السنوسي، وكان يُعتقد أن هذه الجثة التي أقر السنوسي







بوجودها في ذلك المنزل تعود إلى الإمام موسى الصدر الذي اختفى مع رفيقيه في ليبيا في أغسطس ١٩٧٨.

وقال شقيق الكيخيا إن نتائج الحمض النووي تطابقت مع عائلة منصور الكيخيا، غير أنه لفت إلى أنه عندما رأى الجثمان للمرة الأولى لم يتمكن من التعرف إليه بسبب تغيّر ملامحه من أثر التجمّد، إلا أنه أكد سلامة بقية الجثة، حسبما أورد موقع "أجواء البلاد" في نوفمبر ٢٠١٢.

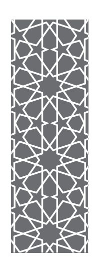
أحوال سجناء الجبهة الوطنية للإنقاذ

استقرّ عدد المتّهمين على مئات الأشخاص، رَمَوهم في العنبر الثاني من سجن أبو سليم مع أن البناء لم يكتمل بعد، إلا أنهم فتحوه للضيوف الجدد، كان في كلّ حُجرة ١٥ شخصاً من كل صنف ونوع في الاتهام، ومنعوهم من تداول الكتب حتى القرآن الكريم، فكانوا لا يرون الشمس ولا الهواء حتى تاريخ ٣/ ١١/ ١٩٨٨م، وذلك من تاريخ ٥/ ٤/ ١٩٨٤م؛ أي تاريخ "أصبح الصبح"، فلا السجن ولا السجان باقٍ، وبعضهم تركوه وحده في الزنزانات أكثر من ٣ سنوات، ولا شكّ أنّه سوف يخرج بأمراض مزمنة.

وحقيقةً القضيةُ هي القضية الوحيدة التي جمعت شرائح المجتمع كلّها وربطت بين المدن والقرى في ليبيا، فكانت ظاهرة غريبة من نوعها في البلاد ولم يسبق لها مثيل.

أما النظام في ليبيا، فنسب القضية إلى الإخوان المسلمين، واتهم الإخوان المسلمين بالعمالة والخيانة، وأطلق على كل المعارضين اسم الكلاب الضّالة.





في سجن أبو سليم

كنا نتابع التحقيق مع أبناء الجبهة على الشاشة المرئية، وهناك من كان ثابتاً ثبوت الجبال، وأذكر منهم على سبيل المثال بن زرتي، وكان لديه ١٢ ابناً، ودفع ٣١ ألف دينار للحركة، وتعاهد مع بعض الإخوة في الحرم المكّي، وهذا الرجل كان ثابتاً، فقد كان مقتنعاً بما فعل، واستقبل حبل المشنقة بثبات أهل العزم وأمام شعبه وأبنائه، فكان من الشخصيات التي أصبحت حديث الساعة.

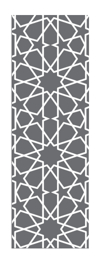


نعم، إنّ الشعب لم يمت بعد، وظهر على مسرح الأحداث قائد الفرقة الكومندوس أسامة شلوف، الذي لم يتجاوز العشرين من عمره، قال له المحقّق: لماذا أتيت إلى ليبيا؟.. لقتال المسلمين؟ ألا ذهبت لقتال اليهود؟ فقال: أتيت إلى ليبيا عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٧٤]، قالها وكانت الابتسامة على وجهه، وهو ما أثار حفيظة المحقّق، فقال له: لماذا هذا الضحك؟ أشك أنه هستيريا أصابتك، وحكى لنا الإخوة بعد الاتصال بهم أن التسجيل لا يخرج في بعض الأحيان من القطع والحذف، وكنّا نلاحظ ذلك في الشريط المعروض.

العيساوي واللغة العربية

قدم العيساوي من أبناء الحركة الإسلامية، وكانت كنيته عيسى الوكواك، وكان أحد المجاهدين الليبيين ضدّ الاستعمار الإيطالي، فكان اختيار الكنية إيجازاً من الإخوة بإحياء الجهاد ضد نظام القذّافي، وكان يتكلّم اللغة العربية بفصاحة، فطلب منه المحقق أن يتكلّم العامية (إغاظة)، فردَّ عليه بأنّه لا يستطيع أن يتكلّم إلا باللغة العربيّة الفصحى.





ترك هذا الأخ أمريكا، وتدرّب في المغرب، وتربى على الكتب الإسلامية الحركية، وحكم عليه بالإعدام، وأرادوا من أبناء الشعب في المرج أن يحكموا عليه، فلم يحكموا عليه بالإعدام ورفضوا، وبقي في سجن القذافي في طرابلس، ولم يخرج مع "أصبح الصبح" بل كان من المعزولين عام ١٩٨٨م.

عارف المهدي دخيل

هو أخ في الله، كان زميلي في الدراسة الثانوية في مدرسة الناصر صلاح الدين الأيوبي في بنغازي، وانتقلنا إلى مدينة الكُفرة جنوب شرق ليبيا، وأثناء التدريبات العسكرية سافر من هناك إلى ألمانيا، بعدها عاد واتصل بالجبهة الوطنية لإنقاذ ليبيا، وأرسل رسالة إليّ يقول فيها إنّه أراد الذهاب للجهاد الأفغاني، وإن الأستاذ أحمد احواس أقنعه بفكرة الجهاد داخل ليبيا، فجاء من ضمن الأفراد الذين دخلوا مع أحمد احواس واقتنع به، وألقي القبض عليه في مجموعة الاقتحام، ولم يكتب طلب استرحام، وكانت شخصيته ثابتة في التحقيق، وطلبت الدولة منه أن يكتب رسالة، وكانت آخر سطور الرسالة التي بلغت سبع صفحات، يقول فيها: أهدي إليك هذه الآيات من آخر سورة النحل: ﴿ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾[النحل: ١٢٧].

ابن مصراته الشهيد المظلوم

هناك شاب من مصراته ضاع اسمه مني إلا أني أتذكر تحقيقه، وقد قال فيه إنه كان من الذين في ضلالهم يعمهون، ثم سافر لأمريكا، والتقى بمجموعة من حزب التحرير الباكستانيين، وعرضوا عليه الالتزام، فالتزم معهم، وقال عرفت الدين وكنت قبلها لا أعرفه، ولم تكن له علاقة بحركة الإنقاذ أو مشروع آخر،







إلا أن اعترافه بالانضمام إلى حزب التحرير خارج ليبيا عجل من الحكم عليه بالإعدام، حسب ما جاء في الكتاب الأخضر؛ لأن من تحزّب خان، والخيانة للثورة في ليبيا حكمها الإعدام، ونُفِّذَ الإعدام بذلك الشاب في مدينته مصراته ظلماً وزوراً، حتى يشفي القذافي غليلَه من خصومه السياسيين.

ظلم نظام القذافي

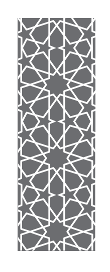
في تلك الأثناء أخرج العقيد القذّافي المحكوم عليهم بالإعدام في قضايا سابقة، ونفّذ الحكم عليهم، ونسي أن الله له بالمرصاد، وقد أسس القذافي لجنة للبحث في أصول المعارضين التي أخرجت أولئك الذين عارضوه، فعلى حسب زعمه سنجد أنهم لا يَمُتّون إلى الشعب الليبي بصلة، وكانت حرباً معنوية لتدمير العائلات.

وكثيراً ما كان القذافي يكذب أمام الشعب المسكين، ففي إحدى كلماته قال: كنت أرى ترك ليبيا والذهاب لإخواني في لبنان وسوريا لمحاربة اليهود، ولكن مكراً بأمريكا الضّالّة التي أرسلت لي الكلاب فأنا موجود في ليبيا، ولها بالمرصاد.

وقد صفق البسطاء للقذافي، وكانت اللجان الثورية تُخرج أبناء الشعب بوسائل متعددة للمظاهرات، تطالب بتصفية الإخوان المسلمين في ليبيا، حتى القُدامى منهم، في أحيائهم الشعبية، وفي تلك الفترة ساد الظلام عموم الوطن.

يحكي لي أحد الإخوان القدامى بعد خروجه من السجن بأنه اغتسل وتطيّب وصلى ركعتين لله، وقرر أن يقابل ربه رافعاً الرأس أمام السجانين، ولكن الله سلمه، وأخبرني من أثق به أن النقيب إبراهيم محمد مخزوم اعبيد الفيتوري







(وهو خالي أخو أمي)، آمر الشرطة العسكرية في بنغازي، عندما جاءت المظاهرات كان بعضهم يحمل السلاح، وهموا بتصفية السجناء الذين لديه، فأمر جنوده بأخذ السلاح منهم بالقوة وطردهم من السجن.

وأيضاً عندما طلب منه إطلاق النار على الشهيد منير منّاع في قضيّة الجهاد امتنع عن ذلك، وسُحب منه السلاح. ولأن له علاقات بالقيادة لم يقتلوه.

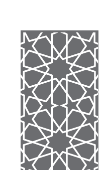
أصداء القضية على السجناء

تأثر كثير من الإخوة بشنق الصادق الشويهدي في مدينة بنغازي، إنّها مأساة تفطر القلوب، لم يكن مساهماً في القضية بطريقة يستحقّ بها حكم الإعدام، ولكن لأنّ القذافي أراد أن يعدم شخصاً من كل مدينة كان لا بدّ من القربان.

وكان أعضاء اللجان الثورية في المجمع الرياضي في بنغازي يهتفون: "ما نبيش كلام.. نبي نعدم في الميدان"، والمتّهم مكبل بأغلاله، والمحكمة تتلو التهم، وانطلقت أحكام الإعدام والمشنقة جاهزة، والمتهم يبكي ما كان يظنّ أنه يعدم، وينادى بأسماء من الحاضرين، وكان كل من رآه في حالته لا بدّ أن يبكي.

ثم حمل الطغاة الضحية، وَوُضِع الكرسي، ووضع حبل المشنقةِ ظُلماً وزوراً، لقد ظنّ الأوغاد أنه مات بعد شنقه لكن الحياة كانت ما تزال في عروقه، لكنها أصبحت مستحيلة بعد كسر عنقه، وطلبوا من بعض الدكاترة الإجهاز عليه لكنهم امتنعوا، وطلبوا من دكتور هندي فأعطاه إبرة للرحمة.

لقد كانت لهذه الصورة من الظلم أصداءٌ مؤثرةٌ على أوساط الشعب، صورة المظلوم الذي لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً من قيده، وصورة الوحوش البشرية وهي تطالب بشرب الدم، بل لقد كان من أعضاء اللجنة الحاكمة شخصية معروفة، وكان ابن جيران الشهيد، فعلاً الجار يحاكم جاره في نظام القذافي.





وعندما رجع ذلك الرجل -تحكي زوجته- انقطع عن الدنيا لتلاوة القرآن وابتعد عن النظام، وكان يذهب إلى مزرعته ليقضي معظم وقته فيها، وقد أصيب بأمراض كثيرة، ومات في شهر رمضان من عام ١٩٨٨م، وذهبت في جنازته، فبماذا يقابل وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟ من المسؤول عن هذه المآسي؟ نظام القذافي وزعيمها الأول (فرق تسد).

أصبح حديث الناس عن المهندسين والأطباء والطلبة الذين تركوا أمريكا وأتوا لتخليصهم من القذّافي، وعن هذا الإيمان الذي دفعهم، وقد ردّت القضية روح الأمل في أبناء الشعب، وخصوصاً السجناء، إلا أن القيود زادت على الشعب، ولا سيما السجناء منهم، فقطعوا عليهم الزيارات أربع سنوات، وساءت معاملتهم في السجون، ولم يتجرأ قلمي على كتابة أسماء الفتيات اللواتي زجّ بهنّ القذّافي في السجن.

سعد الجازوي

هو مهندس طيّار، درس في أمريكا، وحفظ القرآن هناك، ورجع إلى ليبيا فوجد أخاه في المعتقل في مقر الحصان الأسود، والتهمة كانت في قضيّة سوق الرويسات التي تستهدف قتل القذافي، فكان سعد يزور أخاه، ويرسل إلينا الرسائل الشفوية يسلم فيها، وقد أرسل مصحفاً صغيراً مفسّراً للقرآن، وكانت هذه الأحداث قبل قطع الزيارات واعتقاله.

ثم قُبض على سعد في قضيّة الإخوان المسلمين وهو شابّ، إذ كانت ثقافته من رسائل الإخوان والمودودي، وقد أُدخِل السجن مع المجموعة مع أنه لم يشترك في الهجوم على بيت القذّافي، وهو شخصية داعية مؤثّرة.







ومن قضى في تلك الحقبة عائلة الجرناس من مدينة طرابلس، إذ كانت لهم مزرعة، وقد آوت بعض المعارضين للنظام، فألقوا القبض على الإخوة الأربعة وأمهم وجرّدوهم من ثيابهم وعذبوهم في أماكن التعذيب.

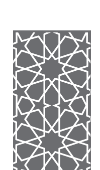
ومن أهم أحداث السجن في المرحلة السابعة: الحلقات العلمية المتنوّعة، وكثرة الحفّاظ لكتاب الله وتزايد أعدادهم، وانقطاع الزيارات، وقضية رمضان أو مايو أو باب العزيزية أو الإخوان المسلمون، وممارسة الخطابة، وارتفاع المستوى الثقافي للإخوة، وبعدها -أي في المرحلة الثامنة- نلتقي بقضايا أخرى وتبدأ النقاشات في هذا المجال.

من الطرائف

كان معنا في السجن ميلاد العقوري وعبد الكافي بوزيان، وكان ميلاد له خبرة في الكهرباء فقطع أحد أسلاك الكهرباء وصنع منها سخّانات للمياه والأكل، وكانت فكرة السخانة تقوم على قطعتين من الأسلاك توضع في إناء بلاستيكي به ماء لمدة ساعة، ولما كانت توزّع علينا علب الحليب في كل يوم، ولكل سبعة أنفار ليتر واحد، فقد كنا نفرغ هذه العلب من الحليب ونضع فيها الأكل والشرب للتسخين، حيث يُغطّى الإناء ويسخن الأكل بطريقة البخار، ليصبح بعدها الأمر لدينا طبيعياً.

ومن طُرف ميلاد كذلك أنه كان يمسك أحد أسلاك الكهرباء المتّصلة بالدائرة، فإذا لمست جسد ميلاد سرت الكهرباء إليك وهو لا يتأثّر.

وقد ضاعت أحداث كثيرة لا أذكرها نتيجة لتباعد الزمن في هذا القاع، حيث أصبحنا نلتقي بالإخوة ٤ ساعات على عكس الأماكن الأخرى التي







فيها فصل بين الإخوة. واستطاع حسين كويدير وعبد الكافي بوزيان وعلي الشلماني أن يوحدوا الأكل الجماعي، ويجتمعوا على النظافة، فأصبح إنجازاً ضخماً لمصلحة المجموعة، وغير متوقّع للجميع، وبعد تلك المرحلة نقلونا إلى السّجن الجديد.

سجن أبو سليم

أبو سليم معتقل سياسي داخل معسكر ٨ أغسطس في مدينة طرابلس بليبيا، بُني بطريقة رهيبة، وله ستة أبواب حديدية حتى يصل إلى الطريق الرئيسي، وكان خرسانة مسلّحة، بارداً في الشتاء وحاراً في الصيف، وكل حجرة فيها ٨ أشخاص قابلة للزيادة إلى ١٥ أو أكثر، لا يهم ذلك، فيها حمام وشبّاك واحد.

كان المعتقل فيه ستة عنابر، وكل عنبر ١٦ حجرة، يوضع فيها ١٠٠٠ سجين أو أكثر، وأنا هنا أتكلم عن الفترة التي كنا فيها، أما المعتقلات فهي كثيرة، وفي نهاية العنابر ٦٤ شيلة انفرادية يوضع فيها واحد أو اثنان أو ٣ حسب الظروف.

لهذا المعتقل حرّاس من لواء الحرس الجمهوري نزعت الرحمة من قلوبهم إلا القليل منهم، وأكثرهم وحشية صالح السرتاوي، وعبد القادر التاورغي الذي كان ضخم الجثة، أسمر اللون. وقد ذُكِر في ذلك السجن أنّ القذّافي في إحدى خطبه على التلفاز كان يقول إن على المحقّقين ألا يضربوا ويتّهموا إلا بعد إثبات التّهم، وبعد أن انتهى الخطاب أخرجوا بعض السجناء، وجعلوا رؤوسهم إلى أسفل وأرجلهم إلى أعلى، وكان صراخ الأبرياء يشق هدوء الظلام....

كنا نخرج إلى ساحة الهواء ٣ ساعات.... أما باقي الساعات ففي الحجرات، ثمّ زادوها ساعة أخرى، ولم نخرج للهواء عندما نقلونا إلى المعتقل الجديد







إلا بعد أكثر من ٣ شهور، ليبدأ لقاء السجناء السياسيين بعضهم ببعض، وقد التقيت بالأخ مرزوق الفاخري والحاج الشريف الفاخري، ومن خلالهم عرفنا قضية إدريس الشهيبي ١٩٧٩م.

إدريس الشهيبي وقضيته عام ١٩٧٩م

هو ضابط في الجيش الليبي، ساهم في نجاح الثورة الليبية، وله مكانة خاصة عند القذّافي، وتحديداً في حرب ١٩٧٧م مع مصر، واتّصل بمصر ودول أخرى، وشرع في التخطيط لانقلاب عسكريّ بليبيا، إلا أنّه كشف أمره، فلم يسلم، وحاصر القذافي مقرّه، وتمَّ تبادل النيران، واستطاع الفرار، وبعدها قتل الرجل نفسه ومات، وقيل إنه قتل، ولم يصدّق القذّافي ذلك، ولا يزال سر القضية مجهولاً إلى الآن، وإن كانت شخصية إدريس شخصية عسكرية قوية لها نفوذها في صفوف الجيش.

وقد كان من ضحايا تلك القضية أقرباء إدريس من عائلة الشهيبي، حتى الأستاذ عبد العزيز راشد قُبض عليه وأخرج في تلك القضيّة، ومنهم أيضاً الملازم مسعود الشهيبي الذي حُكم عليه ٣ مرات براءة إلا أنه بقي في السجن، ومسعود الشهيبي تربطني به أخوّة في الله، وهو شاب غيور على الإسلام والمسلمين، دخل السجن مظلوماً واتّضحت له رؤية الإسلام، وقد حفظ القرآن، وعلّم كثيراً من الشّباب أحكام تلاوته، وقضى في سجون القذّافي ٨ سنوات ظلماً وزوراً، وخرج مع "أصبح الصبح".

ومنهم أيضاً حسن الزووي، وهو رجل تجاوز الثمانين من عمره، وكان يعدّ حينها أكبر سجين في ليبيا، وكان لا يستطيع التحرك، فهل رأيت يا أخي






القارئ اجتماعاً لأصغر سجين مع أكبر سجين في سجون القذّافي؟.. إنه لأمر مضحك محزن.

وهذا حدث بالفعل فكثيراً ما كان يجلس محسن القذّافي مع حسن الزووي.

ومنهم أيضاً خليفة الشهيبي الشاب الذي كان يلعب حارساً في فريق قدامى درنة، وهو صاحب حياء عالٍ وأخلاق نادرة، إذ كان يلازم أكبر سجين في ليبيا، وما ترك الشيخ في محنته أبداً، فكان له ابناً باراً في مرضه وغسل ملابسه ووقف بجانبه.



ومنهم أيضاً الشريف الفاخري، وهو رجل بدويّ بسيط لا يفهم أمور السياسة، وقام بدوريات للرياضة لتضييع الوقت، وكان نادراً بمعنى الكلمة، وصاحب نكتة، يهرب من التفكير في أهله وبناته وأولاده بأي طريقة.

وثمة غيرهم من المظلومين الذين دخلوا معنا في المعتقل الجديد، وكانت شخصية مرزوق الفاخري السائق الشخصي لإدريس الشهيبي أكثر وضوحاً في القضية، وأنقل لكم الكلام على لسانه بدور إدريس الشهيبي في البلابل في مصر، وأن القذافي أعطاه ميزانية خاصّة، ومن أهم أعماله تحرير أبناء الصحراء الشرقية، وقال أيضاً: لم تكن حركتنا إسلامية أو لها أهداف إسلامية، ومما قاله لنا: "ما فهمت الإسلام والتزمت به إلا بعد دخولي للسجن"، وحكم عليه بالإعدام، وتركته في السجن،كثير الصيام والقيام، ولا أعلم الآن ما هو حاله.

إلا أن قضية إدريس الشهيبي كانت من أخطر القضايا العسكرية، وأسرارها كثيرة مجهولة، والحقيقة أنه لم يكن مؤهلاً لحكم البلاد بدلاً من القذافي، ورأينا في القضية أبرياء كثيرين، وزعيم القضية مات بسرّه، وربما تخرج الأسرار من داخل القوّات المسلّحة يوماً ما إن شاء الله.






في المعتقل الجديد

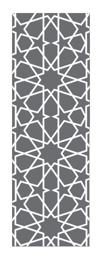
تعرفت على حسن اعبيده الذي اتهم في قضية الشريط، كما اتهم فيها ١٦ شخصاً، منهم من مات داخل الزنزانة أثناء مرضه وهو يقول يا لطيف يا لطيف، والقضية في سطور أن حسن اعبيده كان في سويسرا مسافراً للعلاج، والتقى بأحد أعضاء المعارضة، ووضع له شريطاً خاصاً بالمعارضة مع شرطانه ورجع إلى ليبيا، فعندما علم بالشريط سلّمه لأحد معارفه من أمن الثورة، وقام هذا الشخص بتسجيل الأشرطة وتوزيعها، فألقي القبض عليه وعلى من كان معه شريط من أشرطة المعارضة، فلم يستحمل الشيخ حسن ما حصل، وأبلغ الدولة أنه صاحب الشريط، وأنه قد أدخله ليبيا بالخطأ عندما وضعه له ذلك الشخص، إذ كان يريد حسن أن يهدئ تأنيب ضميره، وبعد أن قبض عليه وضعوه معنا في المعتقل.

كان هذا الشخص متبعاً للطرق الصوفية وعلى الطريقة الخليلية، وما رأيت في حياتي شخصاً مثله، وقد كان يومه بعد العصر تلاوة قرآن وقبل المغرب استغفار، ثم يشرع في اسم من أسماء الله الحسنى يذكره في كل ليلة مثل اسم يا رحمن يا رحيم، ويبقى إلى الساعة ١:٣٠ أو ٢ ليلاً.

وكنت أجلس معه لأسليه وأحكي له عن الأئمة، ولم أدخل معه في نقاش حاد عن الطرق الصوفية، وكان مريضاً وفي بطنه جهازان للعلاج، ولا بدَّ له من العلاج، وقد بقي في المعتقل ثلاث سنوات ثم خرج.

وكان معظم الشباب يسمع الإذاعة التي بثتها المعارضة، وذلك نتيجة لقمع النظام ومصادرة الحريّة، وكان سماعها يكلف المستمع سنوات داخل السجون الليبية.

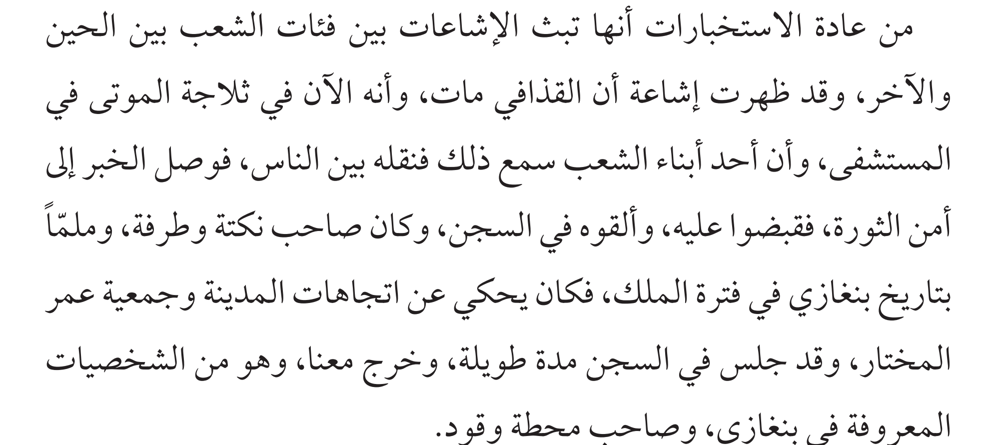




ومن القضايا الطريفة أن أحد الأفراد رأى في المنام أن نظام القذافي قد زال أو قتل القذافي، لا أدري بالضبط، فحكاها لبعض رفاقه، ووصل الخبر للسلطة، وألقي القبض عليه، ورمي معنا في السجن؛ يا أخي حتى الرؤيا كنت تحاسب عليها سنوات من السجن!

إشاعة





من عادة الاستخبارات أنها تبث الإشاعات بين فئات الشعب بين الحين والآخر، وقد ظهرت إشاعة أن القذافي مات، وأنه الآن في ثلاجة الموتى في المستشفى، وأن أحد أبناء الشعب سمع ذلك فنقله بين الناس، فوصل الخبر إلى أمن الثورة، فقبضوا عليه، وألقوه في السجن، وكان صاحب نكتة وطرفة، وملمّاً بتاريخ بنغازي في فترة الملك، فكان يحكي عن اتجاهات المدينة وجمعية عمر المختار، وقد جلس في السجن مدة طويلة، وخرج معنا، وهو من الشخصيات المعروفة في بنغازي، وصاحب محطة وقود.

وكان في هذا القسم النقيب أحمد حبيب، وقُبض على والده أيضاً أحمد حبيب أخي أحمد احواس من أمه، وكان أحمد حبيب رئيساً للقاعدة الجويّة في منطقة الكُفرة، وهي الخطّ الرئيسي في الحرب مع تشاد، ويعدّ طيّاراً حربياً له كفاءته العسكرية العالية، حيث شارك في الحرب التشادية وساهم مساهمة فعالة، ووقع في ظلم الشعب التشادي.

وذكر من الحوادث المؤلمة في منطقة الكُفرة أن العقيد حسن إشكال القذافي من المسؤولين عن تلك الحرب، فكان يتعرض لأصحاب شاحنات النقل ويرغمهم على نقل الذخيرة من الكُفرة إلى تشاد، ومن يمتنع يتعرض للأذى والضرب والإهانة.







وأحمد حبيب من الضباط الذين انخدعوا بالقذافي، وقد أُدخل السجن دون محاكمة، وبقي سنوات في السجن، وصلُح حاله، واعترف بفضل الله عليه أن نجاه الله من الحرب الظالمة بين ليبيا وتشاد، وتعلم دينه، وكان عندما يحكي عن فضل الله عليه يبكي، ولقد رأيت دموعه عندما كان يصلي في صلاة الفجر يوم خرجنا من السجن، والشيخ الحراثي يَؤُمّنا في الصلاة ويبكي.

وقال: لقد رأيت هذا المشهد في رؤيا، فسبحان من له القدرة على الجمع بين العباد؛ فهذا ضابط وهذا شيخ وهذا طالب وهذا سائق وهذا جزار، كلهم سواسية في مدرسة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ولا أنسى أبداً حين أذن الله تعالى بخروجنا من مدرسة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وساق الأسباب لإطلاق سراحنا، فجُمع السجناء في صالة كبيرة تستوعب المئات، وعندها حضرت صلاة المغرب، بتاريخ ٢ مارس/ آذار ١٩٨٨، وقد صلى بنا شيخنا الجليل محمد الحراثي الطرابلسي، وكان من علماء ليبيا الكبار، وقد آتاه الله صوتاً شجياً له تأثير ووقع في الأسماع والقلوب، وقد قرأ نهاية قصة يوسف، وبدأ من قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٠ – ١٠١]، فأجهشت جموع المصلين بالبكاء، وفي جو روحاني عالٍ كانت المعنويات تعانق عنان السماء موصولة بالله رب العالمين، وطالبةً الرجاء والعفو والفرج والثبات.





وهكذا عشت حياتي مع معاني ودروس ومفاهيم سورة يوسف (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)، فكانت مرجعاً وعضداً لي في طريق الصبر والمصابرة والإحسان، والتعرف على أسباب الابتلاء والتمكين، وقيمة العفو والوفاء والإخلاص والعِفة والصبر والتقوى والكرم.

وأسأل الله أن يُجملنا بأخلاق الإيمان في هذه السورة وما فيها من خير، وأسأله تعالى أن يحسن خاتمتي، ويتوفاني مسلماً، ويلحقني ووالدي وجميع المسلمين بالصالحين.

نكتة أحد السجناء

أصبحت الإذاعة المسموعة والمرئية تطلق على المعارضين اسم الكلاب الضالة، فقال أحد السجناء: لا تتأثّروا؛ لأن الشعب الليبي كله ينظر إليه القذافي ويقسمه إلى ثلاثة أقسام؛ الذين في الخارج كلاب ضالّة، والذين في داخل السجن كلاب مربوطة، والذين مع النظام -أي مع القذّافي- كلاب أليفة، وأصبحت هذه القضية حديث الساعة.

فعندما يخرج القذافي للخطاب، يقول الناس فيما بينهم جاك أحمد حوّاس جاك حوّاس. وقد دخلت السجن في تلك القضية مجموعةٌ من الفتيات، وطالت بهن المدة عدة سنوات، وكانت هذه أول مرة في ليبيا تدخل الفتيات بتهم سياسية، وكانت في السابق تدخل المرأة للتحقيق والتوقيف ثمّ تخرج، لأنّ طبيعة الشعب لا تتحمّل ذلك، أما الآن فالأمر تغيّر، ذلك أن القذافي افتتح الشرطة العسكرية النسائية، والبحرية النسائية، والجوّية، والمشاة، والحرس الخاصّ به، ومن تلك المعادلات أصبح دخول النساء المعتقلات السياسية أمراً طبيعياً بالنسبة إليه.








يعدُّ المجتمع الليبي مجتمعاً محافظاً خاصةً من ناحية النساء، ففي السابق لا ترى امرأة متبرجة في الشارع، فأمر القذافي بإخراج المرأة في الكليات العسكرية، واتخذ لتنفيذ ذلك المخطط خطوات شرع في تنفيذها:

١. المهرجانات المختلطة.

٢. المعسكرات الخاصّة بالفتيات الحاصلات على الشهادة الثانوية، وكانت لا تحصل على الشهادة حتى تنقطع عن أهلها أسابيع.

٣. إشاعة الغناء الخليع، وكذلك المسلسلات الهادفة للإخلال بالآداب، ومحاربة الحجاب الإسلامي في بعض خطاباته الرسمية، ومحاولة إجراء التجنيد العسكري على النساء أيضاً.

٤. إدخال التدريب في المدارس الثانوية على الفتيات، ويقوم بذلك الجنود الذين لا دين لهم؛ لأنّ أهل الدين يهربون من ذلك.

وكان المعارض لهذه السياسة مصيره الحصان الأسود، ثم صار أبو سليم، وقد جاؤوا ببعض النساء على الشاشة المرئية، وأبرزوا أنها تسافر وحدها، وتقوم بأعمال لاأخلاقية. ومن باب الستر، فإني لا أريد الكلام في هذا الموضوع؛ لأنه يحمل الألم في جنباته، إنّ دخول الفتيات لسنوات في السجون الليبية هي وصمة عار على جبين القذافي وحكمه في ليبيا.

بن حليم رئيس المحكمة العسكرية

وممن كان معنا بن حليم، الذي كان رئيساً للمحكمة العسكرية في نظام القذافي، وحكم على بعض الناس في قضايا سياسية، ليشرب من نفس كأس المرارة التي شربوها، فلا تستغرب هذه الأحداث في نظام القذافي، وبقي سنوات ثم خرج قبلنا بقليل من السجن.







ومن التقيتهم أيضاً علي الخرّباش، الذي كان ضابطاً في الجيش الليبي من أهل الزاوية، درس في فرنسا، ويحمل القذافي له عداوة شخصية، فرُميَ في السجن دون محاكمة، ثم أُخرج بعد سنوات.

وقد علَّم الإخوة اللغة الفرنسية والإيطالية، ولم يكن كارهاً للمسلمين، بل يحاول أن يفهم الدين، وربطتنا به علاقة متينة، كان ضباط الجيش في القوات المسلّحة في تلك الفترة طبعهم الكبرياء، إلا من رحم ربّي، فكانوا بعيدين عن الإسلام وتعاليمه، وخاصةً المقرّبين من القذّافي، فلما أدخلهم القذافي السجن كانت ضربة قاتلة لكبريائهم.

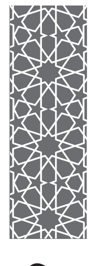
وكان في هذا العنبر سالم الكاديكي، وهو طالب في السلاح الجوّي، درس في روسيا وبقيت سنةٌ لإتمام دراسته، وأيضاً كان معنا مصطفى الرعيض، وهو طالب في السلاح البحري من الطلبة الليبيين الذين كانوا في روسيا، واشتدت به أزمةُ السجن، فرأى رؤيا لرسول الله، وهو يخبره بدعاء المستضعفين، ويقول له: أنتم الغالبون.

وكان شخص من المعارضة يدعى الفلّاح، ولا يزال في السجن، سلَّمه النظام المغربي عندما كان في المغرب، وأرسله للقذّافي أثناء الوحدة بين ليبيا والمغرب، فجاءنا للسجن ضيفاً.

الطرق الصوفية (التيجانية والقادرية) داخل جدران السجن

كان مجموعة من الناس، ومن بينهم رجل جزائري داخل السجن، يدعون الشباب إلى أخذ الوِرْد في الطرق الصوفية، وكأن من أخذ الوِرْد أصبح من المهتدين، واستطاعوا استقطاب مجموعة من الشباب، وخاصة الجنود








الذين يبحثون عن الراحة النفسية، ولم يكن لأولئك الشباب ثقافة إسلامية أو قاعدة وميزان لقياس الأمور، وذلك ما سهل انقيادهم، وبعد أن التقينا بهم وعرضنا لهم الأوراد الواردة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكذلك الأدعية والتسابيح، طلبنا منهم الدليل على أفعالهم، فلم نجد عندهم حجة ولا دليلاً، ولكن الحجة عندهم هي قول شيخ الطريقة.

واصطدم الإخوة بالدعاة للطرق الصوفية، وكنت أسمع وأبحث الأدلة، وأستعد لإقامة مناظرة أدبية معهم، وبدأ النقاش، ولم نعمد إلى الإساءة، وحرصت على روابط المودة بيني وبينهم، وأذكر من النقاط التي كان الحديث يدور حولها:

١. أن الشيخ الذي يستحقّ الاتّباع هو من كان على هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سواء أحمد التيجاني أو عبد القادر الجيلاني أو غيره، فالأعمال لا تُقبل إلا بالإخلاص لله وإصابة سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

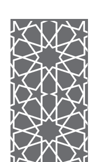
٢. لا نعبد الله إلا بما شرع، فلا يجوز أن نخترع أوراداً من أنفسنا، أو نتبع أوراد المشايخ، ونترك أوراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣. وكنا نقول لهم إن الصلاة الإبراهيمية هي أفضل صيغ الصلاة على الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهي التي علمها لأمته، وسنته محفوظة بحفظ الله لها.

وخرج كثير من الشباب من الفرق الصوفية، وحوصرت، وأصبحت تمارس من بعض الأشخاص، أما الإخوة الآخرون فأصبح لديهم مفهوم آخر للإسلام، حيث تجد الأخ يمارس الرياضة البدنية طالباً من الله الأجر والمثوبة على أساس أنّهم في عبادة لله عَزَّ وَجَلَّ. وهذه هي أهم الأحداث التي كانت تمرُّ في ذلك العنبر.

عموماً تعلمت من دراستي واحتكاكي بالعلماء أهمية التزكية في حياة الناس، وأنا من أنصار التصوف السُّني الذي دعا إليه الإمام الحسن البصري،







ومالك بن دينار، وإبراهيم بن أدهم، والعز بن عبد السلام، والغزالي، وعبد القادر الجيلاني، ومحمد بن علي السنوسي، وغيرهم من فقهاء وعلماء التصوف السني.

كما أنني من دعاة الاستفادة من التراث الصوفي، وضبطه بالكتاب والسنة وتنقيته مما نسب إليه وألصق به.

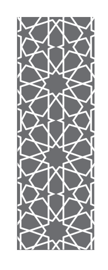
جلسة في المحكمة العسكرية



وفي شهر فبراير ١٩٨٤م، فُتِحَت الأبواب وأخرجونا، فإذا بهم يريدون حملنا إلى المحكمة العسكرية الدائمة، وكانت المحاكمة بعد ٣ سنوات و٣ أشهر من التوقيف، ونقلونا إلى مقر المحكمة ودخلنا القاعة والأنظار مشدودة، وحالة من التوتر لدى السجناء، ودخل علينا العقيد الريفي، ومعه الرائد عوض السعيطي والشباح، وأيضاً المدعي العام المقدم العيساوي ومساعده الرائد الكيلاني وكل شيء جاهز، والمحامون عينتهم الدولة، فسأل أحد الإخوة: أليس من حقنا أن نختار محامياً، فقال القاضي له: اجلس، الشعب عيَّن لكم محامين. وهكذا كان كل شيء ينسبونه للشعب، فالشعب هو القاضي، والشعب هو المدّعي العام، والشعب هو المحامي.

وكانت المحاكم في الحقيقة مسرحية مضحكة لا يراودك شك أنها شكلية صورية، حيث وقف المتّهمون يدافعون عن أنفسهم، ظنّاً منّا أن الدولة تريد إنصافنا، لكن القاضي غَيَّر الأحكام بأمر جاء من الخارج، وتغيرت القوانين إلى قانون حماية الثورة، وكانت عقوبته الإعدام والسجن المؤبد.





وكانت أجهزة التصوير تقوم بدورها، ولم أملك نفسي من الضحك، فأوقفني القاضي وقال: لماذا تضحك يا شيخ؟ فأجاب الذي بجانبي: هكذا طبعه، وجلست.

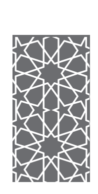
وكان الرجل الذي ينادي "محكمة" قبل دخول القاضي، يقولها بصوت مرتفع عالٍ، حتى إنه أفزع الجميع، ولم نكن متعودين على ذلك.

يوم صدور الأحكام

بعد مرور أسبوعين، وقبل صلاة الظهر بقليل، كنا في حافلة السجن، وكانت الحراسة مشددة، والجنود مدججين بالسلاح، ورأينا أولياء الأمور ينتظرون، ومع أن المحكمة كانت سرية، فقد سرى الخبر إلى أهلنا في مدينة بنغازي، وبينها وبين مقر الاعتقال ١٠٠٠ كم، وجاء معظم أولياء الأمور، وذلك دليل على أن قلوبهم مسجونة معنا.

وقد طلب أحد أولياء الأمور دخول قاعة المحاكمة، فاشترط رئيس المحكمة أن يفتشوا جميع أولياء الأمور، فوافقوا على ذلك الشرط، كان الموقف مؤثراً في نفوس السجناء، وكأني وأنا أكتب هذه السطور بعد عدة سنوات أرى والدي رافعاً يديه؛ والجنود يفتشونه، وبقية أولياء الأمور كذلك.

فمن السجناء من جاءت أمه ومنهم من جاء إخوته، وكان الكل متفائلاً بالخير، وينتظرون خروجنا من السجن، وبعد أن دخلنا القاعة ودخلوا، قال رئيس المحكمة: أنا قاض عسكري، وعندي قوانين أنفذها؛ لأنها وظيفة القضاة، ولأننا لا نظلم؛ لأن لدينا أبناء وإخواناً، ونظراً لشهامة العقيد معمر القذافي ومروءته ونجدته، فإن الأحكام ستكون مخففة، وبدأ الريفي ببعض أولياء الأمور، وقال لوالد يوسف الفيتوري، وكان رجلاً كبيراً: ابنك فعل ما فعل، وأنت تهز رأسَك.







وبدأ القاضي تلاوة الأحكام، فكانت الأحكام كالتالي: فتحي الشاعري وعبد السلام الشلتات رمياً بالرصاص، نبيل الشاعري وعمه شنقاً حتى الموت، شهقت أم نبيل داخل قاعة المحاكمة على ابنها، ولكن ابنها كان خارج ليبيا، و١٥ من الإخوة بحكم المؤبد، ومنهم سويسي قرقوم، وغيث قرقوم، وإبراهيم المايل، ومحمد العرفي، ومحمد بدر، وعبد الكافي بوزيدان، وعبد المنعم إبراهيم، ونايف السنوسي، وغيرهم.

أما مجموعة الشباب الذين لم يبلغوا ١٨ من عمرهم في أحداث القضية، فقد قضت المحكمة لهم ٧ سنوات، ومنهم يوسف قرقوم، والسنوسي المحجوب، ومحسن القذافي، وناصر خليفة الطشاني، ويوسف الفيتوري، وناصر العبدلي، وأحمد البرعصي، وجلال البرعصي، وهم مجموعة لم تعمل شيئاً إلا أنها اتهمت بالقضية ولم يبلغ أعمار الفتيان فيها ١٨ سنة.

وكان من الأسماء عبد الحكيم البرغثي، وسعد الصلّابي، والعبدلي، وعبد الله الشاعري، وعبد السلام بوفوناس، وهم مجموعة من الضباط والمدنيين، وحُكم عليهم بالبراءة إلا أنهم بقوا معنا، ولم يخرجوا إلا في "أصبح الصبح"، ومنهم صلاح الكردي، وحسين كويدير، ومحمد العبار.

محمد الزويي في السجن

كان جندياً في الاستخبارات العسكرية وله علاقة ببعض المتهمين، أعطاه مصدق بوكر مفاتيح السيارة حتى يوصلها إلى أهله، واتصل بأهل مصدق بوكر، وبلَّغَ أحدُ رجال الأمن عنه، فبقي معتقلاً معنا أكثر من خمس سنوات بهذه التهمة، واستفاد من السجن، وحكى لنا عن أساليب الاستخبارات العسكرية، وكيف تتعامل مع الدولة، وكشف لنا عن عملاء من المواطنين،







وأساليب التجنيد، وفك القيود الأخلاقية، وعن الفضائح والكوارث التي لا يصدقها العقل.

صلاح الكردي

هو من أبناء الأثرياء في بنغازي، درس في مصر، وبعد رجوعه إلى ليبيا سافر إلى روسيا ليدرس في السلاح الجوي، وبقي ٣ سنوات هناك، كانت له عقلية رياضية رهيبة، وكان عند رجوعه راغباً في بناء بلاده، ولو توفرت له الإمكانيات لقام بالصناعة العسكرية، إلا أن القيادة جعلته على كرسي وطاولة، وذلك ما زاد من تسخطه على نظام القذافي، وكان عمله في قاعدة سرت العسكرية، وأخبرنا أن نظام القذافي يتعامل مع عصابات المافيا في شراء السلاح، الذي كان يشتريه، ويرسله إلى إيران في الحرب الإيرانية العراقية، وكان جسراً جوياً مفتوحاً لذلك، وقد كان حجم الدعم لا يعلمه إلا الله.

وهل تعرف -يا أخي- لماذا دعمت ليبيا إيران؟ إن من الأسباب الرئيسية لذلك أن العراق فتح للبعثيين المعارضين من ليبيا إذاعة وآواهم، وكون لهم مقراً، فراح القذافي يدعم إيران نكاية بالنظام العراقي، حتى وافق النظام العراقي على قفل الإذاعة، وأوقف دعم المعارضة الليبية، فأوقف القذافي دعمه لإيران.

روى لنا الأخ صلاح الكردي عن أيامه في روسيا، وأنه رجع مبغضاً للروس ساخطاً عليهم.

لقد كان النقيب صلاح الكردي من الأذكياء الذين لم تستفد منهم ليبيا في بناء المؤسسة العسكرية، بل تعرض للظلم والإهانة، حتى إن محاكم القذافي نفسها قد حكمت له بالبراءة، وجرت عليه أيام أثناء التعذيب قال لي عنها: يعلم الله أني تمنيت الموت.






وبقي في السجن بضع سنين محكوماً له بالبراءة، في حين كان زميل آخر له قد دخل مدة قصيرة وخرج، ولم يحضر إلا في المحكمة فقط، وزعموا أن له مواقف مشهودة ويداً بيضاء في الثورة، ولا ندري ما هي هذه المواقف واليد البيضاء.

أحمد الجملي



إنسان كادح في القوات المسلحة، وجد نفسه في مجلس التحقيق العسكري أمام العقيد مصطفى الخروبي والحضيري، حيث اتهموه بأنه تاجر أسلحة، واستطاع مغادرة السجن وحكم عليه بالبراءة، وهو من الذين هداهم الله للالتزام، وأصبحت له ثقافة في كلية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لا يملكها حتى كبار الضباط، وسهل الله أمره حتى خرج من السجن.

وكان موقف زعيم القضية من المحكمة الدائمة أن أنكر القضية كلها، ولم يكن لدى المحكمة أي دليل، فلا اعتراف من الأخ ولا شاهدين في القضية، إلا أن الأحكام كانت جاهزة، وعلى القاضي أن يقرأها فقط، وهذا ما قد لامسته عن قرب، والنظام الليبي بهذا العمل يجعل من القضاة قطعةَ شطرنج بيديه، وبالأخص في دائرة السلك العسكري، ولا نعمم؛ فهناك من القضاة من احترم مهنته وانحاز للعدالة، وحكم بأحكام صادمة للنظام، وذلك في قضايا عديدة، فألغاها النظام، وأسس ما يسمى بمحكمة الشعب، وحتى إن اعترف المتهم الأول بنفسه فلن يسلم من التعذيب في جلسات التحقيق.








أنا المحكوم..

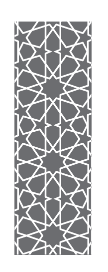
قبل إصدار الأحكام بقليل كنت أقول للإخوة إن الصبر مهم عند الصدمة الأولى، ولما نطق الحكم عليَّ ثلاث سنوات، صِحت في قاعة المحكمة بصوت عالٍ سمعه من كان في القاعة من الجنود وأولياء الأمور والقاضي والمدعي العام: **إنا لله وإنا إليه راجعون**.. فوقف القاضي، ونظر إليَّ وقال: "لي جاتك في الريش اسكت أفضل من أزيدك"، ويبدو أن سبب هذا الحكم هو جلستي مع فتحي الشاعري، التي بينت طبيعتها في الصفحات السابقة.

إنهم الطغاة الظلمة الذين نسوا حساب الله وعقابه، وقد قلت لقاضي المحكمة عندما أوقفني قبل إصدار الأحكام: "إننا الآن أمام محكمة ننتظر فيها العدالة منكم، فإن دموع الأمهات قد جفت، والشدة أتعبتنا، وإننا سنعرض في المستقبل للمحكمة الكبرى أمام رب العالمين، وسيأخذ كل ذي حق حقه"، وأعلم أن الطغاة لا يحبون التذكير بالله واليوم الآخر ويرتجفون من ذكر الله، ولكن حُكم عليَّ ثلاث سنوات ظلماً وزوراً، وقال القاضي: "بالنسبة للذين حكم لهم بالبراءة فليستعدوا للخروج، وكذلك الذين حُكم عليهم ٣ سنوات؛ لأننا حسبناها لهم في مدة التوقيف".

ورجعنا إلى السجن مع مديره ونحن نظن أن ما بقي لنا سوى القيام بإجراءات للسجن فقط ثم نخرج، فاتصل رئيس السجن بالقيادة، وكانت الإجابة بالبقاء داخل السجن.

حتى المحاكم الظالمة التي تكون أحكامها عشوائية توضع لها العقوبات من قبل أسيادها، ولا يعترف بها في ليبيا الثورة ليبيا الحرية؛ لأن الذي يملك لا أو نعم، ادخل أو اخرج من السجن في القضايا السياسية في ليبيا هو القذافي نفسه،



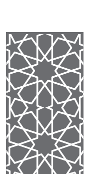




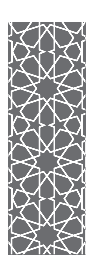
وقد صرح وقال: لا أحد يتكلم بخصوص السجناء، هم أرادوا الاستيلاء على السلطة فلا أحد يتدخل بيني وبينهم.

والإخوة الذين كانوا معنا حملوا رسائل لأهلهم، وظنوا أننا سنخرج، ولكن الله أراد شيئاً آخر؛ أن ننتقل إلى مقر آخر خُصص للبراءة، مع الذين أكملوا أحكامهم في بعض القضايا الأخرى، وهل تعلم أن في ليبيا عنبراً اسمه عنبر البراءة للذين أكملوا مدة سجنهم!؟









أهم الأحداث أثناء المحاكمة



١. الدولة هي التي عينت المحامين للإخوة؛ فمنهم من قبل بواجبه وأحسن، ومنهم من مدح ما يسمى "الثورة".

٢. تغيير القوانين أثناء المحكمة إلى قانون حماية الثورة.

٣. سوء أدب القاضي مع أولياء الأمور.

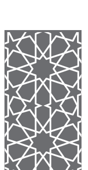
٤. سليمان الشاعري كبر أولاده وهو في السجن، ورآهم يمشون بعد انقطاع طويل لم يرهم فيه.

٥. أحد الإخوة رأى رؤيا أنه في حافلة السجن بين الإخوة يقرأ سورة البقرة، فأوَّلت ذلك أحكاماً ثقيلة، وهذا الذي حدث.

٦. أحد أولياء الأمور أرسل إلى أحد أبنائه ونحن في الحافلة برسالة عن طريق بواب الشركة الكورية، ووصلت الرسالة بطريقة مضحكة، إذ أخذ البواب الخرطوم، وكان يرش الماء، ثم اقترب من الحافلة ورماها بطريقة مضحكة، فلا ندري كيف تفاهم ولي الأمر وبواب الشركة، وعلى بال من تخطر هذه الفكرة؟!

٧. شكا الأخ عبد السلام بوفوناس سوء الأدب الذي يمارسه الجنود في المحكمة، فكانت الإجابة: هذا شيء متعمد؛ وذلك حتى لا تفكر في الرجوع إلى السجن أبداً بعد أن تخرج منه.

٨. أن المتهم فتحي الشاعري عندما أعلن حكم الإعدام عليه استرجع، وعلمنا أنه حفظ القرآن الكريم.

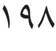


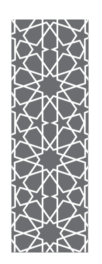



موقف مشرف من محمد سويسي قرقوم

عرَّفنا الأخ سويسي في صفحات سابقة، وتحدثنا عن تغير تصوره وفهمه للإسلام، وأنه أصبح أسداً من أسود الأمة، وخاض نقاشات مع الشيوعيين في الدعوة إلى الله، وحافظ على دينه معتزاً بالشخصية المسلمة بين الاتجاهات الأخرى المتعددة على ساحة السجون في العنبر الأول قسم المؤبدين، وكانت الساحة التي يخرج إليها الإخوة تطل على نوافذ من القضبان على حجرة الإخوة الذين وقعوا في قضية ١٩٨٤م، وكانت الحراسات مشددة على سطح العنابر، وكان يشعر بالمسؤولية نحو إخوانه، فاتصل بهم، وأعطاهم، وساعدهم بما يستطيع، ثم قبض عليه وهو يحاول تهريب المذياع للإخوة، فوضعه آمر السجن، عامر المسلاتي، في الشيلات وحده ٣ شهور، فقام يؤذن ويدعو الإخوة هناك، وهكذا فالمسلم دائماً يؤثِّر ويتأثَّر بالخير والصلاح في كل زمان ومكان.





نقلة كبيرة في حياتي



عرضنا في صفحاتنا الأولى المرحلة الأولى للزنزانات عند الاستخبارات العسكرية، والمرحلة الثانية الشيلات في سجن الكويفية، والمرحلة الثالثة العنابر في الكويفية، والمرحلة الرابعة سجن الجديدة في طرابلس، والمرحلة الخامسة الحصان الأسود (القسم المدني)، والمرحلة السادسة الحصان الأسود (القسم العسكري)، والمرحلة السابعة في البيت الإيطالي القديم، والمرحلة الثامنة نقلونا إلى سجن بو سليم، أما المرحلة التاسعة والأخيرة فكانت مرحلة حافلة بالأشياء الغريبة.

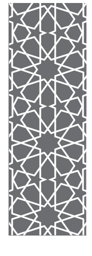
عندما نقلونا إلى العنبر السادس كانت نقلة عظيمة في حياتي؛ حيث انفصلنا جسدياً عن معظم الإخوة الذين تربينا معهم في مدرسة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، ولم يكن معي من الإخوة القدامى إلا حسين كويدير، وصلاح بوزريبة، وعوض الرفادي، وأضافوا لنا من متهمي القضية بعض الإخوة من الجانب العسكري؛ منهم أحمد الجملي، ومحمد الزووي، وصلاح الكردي، وعاشور العوامي، وأدخلونا الحجرة رقم ١٣ في العنبر السادس، وعند صلاة الظهر وجدنا بقية الحجرات مُقفلةً، وبدأ مصيرنا المجهول.

ومع بداية الظلام وابتعاد الحراس عن حجراتنا، بدأنا بالتعارف، فوجدت نفسي أمام حضرة الشيخ الحراثي في الحجرة رقم ٢ في العنبر السادس، ولا تستغرب المفاجآت.

صالح يونس الغزال

صالح يونس الغزال من قبيلة الزويّة في ليبيا، وهو زوج عمتي، وكان في الستينيات من كبار المقاولين، دخل في قضية فزان، وله علاقة بالإخوان،








ما زلت أذكر بعض المآسي التي عاشتها الأسرة عندما دخل السجن في عام ١٩٧٠؛ إذ ترك عمتي وابنها خالداً المصاب بالشلل، وهي حامل بابنها عبد اللطيف ولها بنتان، والله أعلم بحالة هذه الأسرة المنكوبة، وعند سماع خبر المحكمة والحكم عليه بـ ١٠ سنوات، أذكر أن من الأسرة من سقط مغمياً عليه.

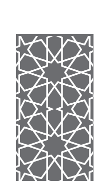
وقد مرضت والدته مرضاً شديداً لا يتصوره العقل من الصدمة، ووالده كان كبيراً هرماً صاحب لحية بيضاء، وعمره ٩٠ عاماً ويلبس ملابس بيضاء أيضاً، وكان من حفظة كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وكان رجلاً صالحاً، ودعا له سيدي محمد المهدي السنوسي وهو صغير بحفظ القرآن، وحفظه في السبعين من عمره، وعاش أكثر من ١٠٠ عام.

وكانت عمتي صابرةً محتسبة متعلمة مثقفة، وقامت بواجبها وأكثر في تربية أولادها، مع مساندة أسرتنا لها من إخوانها وأخواتها وجدي وجدتي المرأة الصالحة.

صبرت زوجته على المحنة، وكانت وفية يُضرب بها المثل في وفائها لزوجها، عملت مدرِّسة، وخدمت في قطاع التعليم، لتحصل على رزق أولادها، وانتظرت زوجها ١٨ عاماً، فكانت الأعياد التي تمرّ بها مأساة، وكان أهلي يذهبون إليها لمواساتها، إنها حقاً مأساة!

ودار الزمان دورته؛ فقد تركني طفلاً عمري ٧ سنوات ودخلت عليه في سجنه، وقد اشتعل رأسه شيباً، وما كان أغرب ذلك اللقاء.

جلسنا مطولاً، وسألني أسئلة عن كل شيء، ونبهني إلى الأفكار السائدة في السجن، وأخبرني لماذا اعتقل، وعن اسم قضيته، وعن التعذيب والآثار التي كانت موجودة في رجله بعد ١٧ عاماً.







ومن الغرائب التي حدثني بها أنه كان مرة يتلو القرآن، ولما جاء الحارس وقف عند قوله تعالى من سورة الذاريات: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾[الذاريات: ٢٨]، فأخبره الحارس أن له زيارة من أخيه، الذي بشّره بأن الله رزقه غلاماً، وعندما خرج من السجن وجده شاباً، وهذا الشاب هو ابن عمتي عبد اللطيف صالح الغزال.

ومرةً كنت جالساً مع صالح الغزال في الفناء، والناس يلفون، وكل اثنين أو ثلاثة معاً، فقال صالح الغزال: هؤلاء بلفهم هذا يذكرونني بحديقة الحيوان، وكيف تلف الأسود في عرينها، والقضية قضية وطنية قبل كل شيء، ولم نرضَ أن يحكم البلاد القذافي، فوقفت ضده.

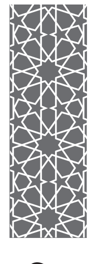
سليمان الشاعري

رجل كبير في السن، ترك وراءه زوجته الحامل وابنه ذا السنوات السبع، وضاع في غياهب السجن، كان يشتكي من سوء الأدب الذي يمارسه الجنود في المحكمة، فكانت الإجابة أن "هذا شيء متعمد حتى لا تفكر في الرجوع إلى السجن أبداً عندما تخرج منه".

حدثني عما دار من حوار مع مدير السجن والمدعي العام ومساعده فقال: أثناء مداولة الجلسات في ما بينهم جاءني المدّعي العام المقدم العيساوي ومساعده، وحضر اللقاء مدير السجن العسكري الرائد عامر.

قال المقدم العيساوي: كيف حالك يا شيخ؟ قلت له: الحمد لله، غير أني من المظلومين، فقال: إن سجون الثورة ليس فيها أحد مظلوم، قلت له: حتى يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ دخل السجن وكان مظلوماً، فقال لي الرائد الكيلاني: أنت تعرف يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ قلت له: نعم، قال لي: لا شكَّ أنك مرتاح داخل السجن، وأضاف:





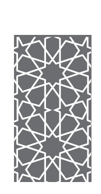


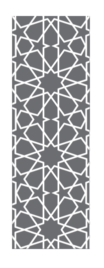

والله يعلم كم تمنينا أن نراكم من الدكاترة أو المهندسين أو الضباط، وهذا قضاء الله وقدره، والله لو اجتمعنا على أن ننفعكم ما استطعنا إلا بإذن الله، ولو اجتمعنا على ضركم لن نضركم إلا بإذن الله، إنما نحن أدوات يحركها الله كيف يشاء! فحكيت ذلك لأحد الإخوة، فقال لي: إنّهم أدوات يحركها الشيطان!

ورجعنا إلى السجن، وبقينا بضعة أشهر، ثم نقلوا الإخوة المحكوم عليهم بالمؤبد إلى قسم المؤبد، ودخلوا مرحلة جديدة، والتقوا بكثير من السجناء في السجون الليبية من أصحاب القضايا العسكرية والسياسية والمدنية والفكرية، من قضايا ١٩٧٠م وغيرها، واختلطوا بالمدارس الفكرية الموجودة في السجن.

العقيد محمد المهدي القاضي عبد الكبير

كان ثمة ضباط من الجيش والشرطة وشخصيات نادرة لا يوجد مثلها في السجون الليبية، ومنهم العقيد محمد المهدي القاضي عبد الكبير، الذي دخل السجن ١٩٧٠م في قضية فزان، فحكم عليه بعشر سنوات وقضى في السجن ١٨ عاماً، وعندما التقينا به كان عمره ٦٧ عاماً، وكان قد فتح مدرسة للغات، ذلك أنه بعد أن حُكِمَ عليه أقسم ليجعلن من السجن مدرسة، فعلّم أحياناً الفرنسية، حيث كان يتكلم الإنكليزية والإيطالية والفرنسية والألمانية، وحفظ كتاب الله، وكان شخصية قلما تجد مثلها في جيله، فقد أعطاه الله ذكاءً وحافظةً وأخلاقاً رفيعة وصفات حميدة، وكان متواضعاً في طلب العلم، حريصاً عليه، على عكس كثير من الضباط الذين أصابهم الكِبر والعُجب فحرموا أنفسهم من الاستفادة من مجالس العلم. وقد قلت له مرة: إن جلوسك في مجالس العلم دعوة إلى الله، فقال لي: يا بني إنما جلسنا لنتعلم.







ومن حرصه وتواضعه أنه قال لي مرة: لا أسامحك إذا رأيتني مخطئاً ولم تذكرني، فأذكر أنهم في سلامهم تعودوا على صباح الخير، وكنا حريصين أن نحولها إلى السلام عليكم، فشرحنا له حكم السلام فاقتنع، وغيَّر التحية التي تعود عليها، وأحياناً كان يخطئ بالتحية السابقة ويضحك.

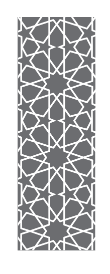
سألته اللجان الثورية قبل خروجه من السجن ماذا تريد أن تفعل بعد خروجك؟ قال لهم: أريد أن أجلس في بيتي وأدون الأحداث التي مررت بها وأحكيها لأحفادي، فقالوا: ماذا تريد أن تكتب عن ثورة الفاتح؟ فقال: هذا سؤال سابق لوقته إلى حين، وكان شجاعاً مقداماً ومولعاً بعمل الخير، وحين أردنا أن نحصل على فرصة الاتصال مع إخواننا من قضية ١٩٨٤م (جبهة الإنقاذ الوطني)، الذين كانوا يريدون تفاسير وكتباً ومصاحف، امتنع بعض الذين كانوا في العنبر السادس خوفاً، فاحتمال الإخفاق قائم، فكان من المشجعين والواقفين في هذا أبونا محمد المهدي.

هذا الرجل لا تجده إلا يتلو القرآن، أو في نقاش مستمر في مجالس التعليم، وأصبح ذا فهمٍ جيد للقرآن، إنها شخصية ما رأيت مثلها من حيوية ونشاط بالنسبة لعمره.

كانت كراساتنا داخل السجن أوراقاً من السجائر التي أكملها المدخنون، وحين كنا نقول لهم إنَّ التدخين حرام ومضر بالصحة وفيه تبذير للمال، كان يقولون: لولانا نحن المدخنين كيف كنت ستحتفظ بكراساتك؟ إنها من أثمن الهدايا داخل السجن.

وقد تعلمت منه الكثير من اللغة الإنجليزية، وكان يقول لي: بإذن الله سوف تخرج من السجن، وتلقي محاضرات في المؤتمرات والعالم الإسلامي، وتقوم بالدعوة إلى الله.





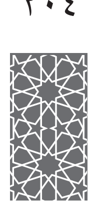
وخرج من السجن، وزاره والدي في مدينة سبها بالجنوب الليبي، وكنت خارج البلاد، فأكرم والدي غاية الإكرام، وحدثني عما قصه عليه أيام السجن، وكنت أعدُّه والداً وأستاذاً وأخاً في الله، وقد كانت آثار الحركة السنوسية ظاهرة في سلوكه وتدينه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى، وأصبح الصبح فلا السجن ولا السجان باقٍ، وخرج من السجن بعد سنوات طويلة من ظلم نظام القذافي له.

خليل جعفر

ضابط من القوات المسلحة الليبية من الدفعة الثانية، معروف في الجيش الليبي، كان برتبة رائد عند قيام ما سمي بالثورة، وهو من الشخصيات التي ساهمت في نجاحها باعتراف القذافي نفسه في خطاباته عندما كان رئيس الاستخبارات العسكرية أثناء قيام "الثورة"، إلا أن سياسة القذافي التي تعمل على القضاء على أي شخصية يمكن أن يلتف حولها الناس، جعلته ينفيه، فألقاه في السجن سنة ١٩٦٩م، وذلك في قضية أحمد موسى والحواز، وهما ضابطان من القوات المسلحة كانا سبباً من أسباب نجاح "الثورة الليبية"، وحكم عليه ٧ سنوات، وبقي في السجن ١٩ عاماً، فترك ابنته الوحيدة طفلة، وخرج من السجن فوجدها طالبة في كلية الطب، وهذه الأسرة يعرفها القذافي جيداً.

وقد خسر الجيش الليبي والشعب الليبي هذه الشخصية العسكرية الفذة التي تعرفت عليها داخل السجن، وكان يعرف عائلتي معرفة جيدة، فجلست معه جلسات طويلة استفدت فيها من خبرته، وهو يعد من الضباط الذين لديهم سعة اطلاع ومعرفة وثقافة عالية، ولم يكن معادياً للإسلام والمسلمين كما كان بعضهم، بل كان يسأل ويناقش ويُقنع ويَقتنع.









درَّسني اللغة الإنكليزية في جانب المصطلحات السياسية، ولديه أسرار عن القوات المسلحة، وقصة انقلاب سبتمبر، ويكتب بها كتاباً تستفيد منه أجيال ليبيا القادمة، ويتناول فيه كيفية ظهور القذافي في صفوف الجيش.

عبد المطلوب عزوز

ضابط من القوات المسلحة، كان يعيش خارج ليبيا أثناء "الثورة"، وعند رجوعه استقبله نظام القذافي وأدخله السجن في سنة ١٩٦٩ حتى سنة ١٩٨٨م، وحكم عليه ٧ سنوات، وبقي في السجن مريضاً بالقرحة التي أتعبته، وكان متعبداً في ذاته، صاحب قيام وصيام، أفضل بكثير من الضباط الذين التقيت بهم داخل السجن، ومعظم الضباط القدامى في ليبيا الذين كانوا معنا في السجن لا يهتمون بالدين إلا من رحم ربي، وعند خروجه من السجن أرسل القذافي إليه في لقاء مع بعض السجناء القدامى إلا أنه اعتذر ولم يلبِّ الدعوة، وعرفنا ذلك عندما قال القذافي: "الآن الشعب كله حرّ، هذا عبد المطلوب امتنع فهو حرّ".

مفتاح الشارف (أقدم سجين سياسي في ليبيا)

التقيت بمفتاح الشارف، وهو ضابط في السلاح الجوي الليبي، حارب سنة ١٩٦٧ مع مصر ضد الكيان الإسرائيلي، وفرَّ بطائرته المقاتلة إلى مصر ثم رجع للجزائر ثم للحكومة الليبية، وحكم عليه ٥ سنوات، فكان بعض الضباط الأحرار يزورونه في السجن، وبعد قيام "الثورة" خرج، ورجع من جديد إلى السجن في قضية ١٩٦٩م، وحكم عليه في أول محكمة بعام، ثم ألغيت وحكم عليه بـ٣ أعوام، وبقي في سجن القذافي إلى تاريخ ١٩٨٨م أي إلى أن "أصبح الصبح".





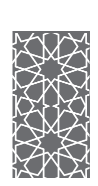



وبذلك سجل هذا الرجل في تاريخ ليبيا بأنه أقدم سجين سياسي، وقد كانت شخصيته غريبة، فهو متوارٍ لم يختلط بالناس كثيراً إلا الشباب، وبعض الشخصيات التي تعد داخل السجن قاسماً مشتركاً للجميع، مثل مصطفى الكوافي، وهو بطل ليبي في الملاكمة، وصالح الأوجلي، وهو ضابط في قضية عمر المحيشي.

وكان الأستاذ مفتاح الشارف لديه اطلاع واسع وكتابات خاصة به، وإذا سنحت الفرصة فسينشرها.

لم يكن يتواصل على طول هذه المدة مع كثير من السجناء، وكانوا يظنون أنه شيوعي، وصرح لي هو بأنه ليس شيوعياً، بل هو قومي وطني، وبأنه لا يكره ولا يمنع من أي فكرة تجعل الشعب يتقدم، سواء كانت من اشتراكي أو من إسلامي، وناقشته في الصلاة، فقال: أنا عندما دخلت السجن لم أكن أصلي، فلا أريد أن أصلي داخل السجن، وكان يخرج للفناء في الأسبوع مرة واحدة، وباقي الأيام يقضيها في الحجرة، وجلست معه، وتوثقت الصداقة حتى أعطاني مذكراته، وملخصاً من كتب درسها، وعرفت إبداعاته الفكرية، ومن خلالها كنت أناقشه، من بعض ملخصاته رسائل إخوان الصفا، وله أيضاً دراسات في الشيوعية والماركسية والفكر الإسلامي ومدارس الكلام والمعتزلة، كان هذا الرجل خسارة حقيقية للشعب.

لم يكن للشارف علاقة بالحراس طِوال بقائه في السجن، وفي بداية اعتقاله كان الضباط الأحرار يزورونه في السجن ومنهم عبد السلام جلود، ثم امتنع من مقابلته ومحادثته، وهذه الحادثة حصلت سنة ١٩٦٧م، وكان يفضل أن يلتف حوله الضباط في تمرده على المملكة الليبية، وانضمامه بطائرته العسكرية لمصر







أعطاه رمزية خاصة بين الضباط، ولذلك أبعده القذافي في السجن حتى تخلو له الساحة، وهذه هي سياسة القذافي.

يا أخي القارئ، أسألك: هل سمعت بشخصية سياسية أو قيادية في ليبيا؟

الجواب: لا نسمع إلا بالقذافي، أما البقية فبعضهم حكم عليه بالإعدام، وبعضهم الآخر في السجون، وغيرهم نُفِيَ خارج البلاد، وهذا الرجل الذي تكلمنا عنه، لو أتيحت له الفرصة فستجد له كتابات عن الفئة المثقفة داخل السجون الليبية، وفي سلك القوات المسلحة أيضاً، فالقذافي لم يُبقِ معه في السلطة إلا من طاوعه، وسار على نهجه، وسلّم له القيادة.

محمد الفيتوري

هو مدرس في كلية الضباط من زمن الملك السابق، وهو شخصية عسكرية، دخل السجن في عام ١٩٦٩م في قضية الضباط أحمد موسى والحوّاز، وخضع بوجود القذافي لمحاكمة عسكرية، إذ حكمت عليه المحكمة العسكرية التي كان يرأسها محمد نجم بـ٣ سنوات ثم ألغيت المحكمة الأولى، وحكمت عليه المحكمة الثانية بـ١٣ سنة، وبقي حتى خرج من السجن عام ١٩٨٨م. وهذا الرجل تربطنا به علاقة قرابة، فهو أخو زوج عمتي خديجة عثمان الفيتوري رَحِمَهَاٱللَّهُ، وتخرج على يديه كثير من الضباط القدامى الذين التفوا حوله في السجن.

قبل الثورة، عندما بدأ القذافي بتنظيم الضباط، اتصل بطلبة الكلية العسكرية، وجاء لزيارتهم في داخل الكلية، وكان وقتها ملازماً ومحمد الفيتوري ضابطاً برتبة رائد، وفي تلك الليلة حقق مع القذافي وفتح له صحيفة اتهام، فكانت هي السبب في حقد القذافي عليه، ولم ينسَ القذافي هذه الحادثة حتى عندما وصل إلى الحكم.







كان الرائد محمد الفيتوري دائماً في الحجرة، ولا يخرج إلى الفناء، ولا يختلط بالناس، ولم يكن هذا عن فقر اجتماعي؛ فعندما كنا نذهب إليه ونجلس معه في حجرته كان يحكي لنا كثيراً من الأحاديث، ولكنه كان في العنبر الثالث حيث أخذ عهداً على نفسه بعدم الخروج إلى الفناء إلا بالقوة أو من السجن، ووفى الرجل بعهده وخرج من السجن، ورأى أجيالاً تركها بعده قد شبت، ونضجت، وأصبح عمرها ثمانية عشر عاماً قضاها هو في سجون نظام القذافي.

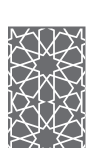
النقيب عبد الله الدرسي

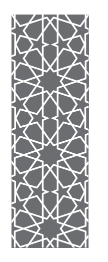
هو أحد ضباط الجيش الليبي الذين هربوا بالآليات العسكرية في حرب ١٩٦٧م وذهبوا ودخلوا على عبد الناصر حاكم مصر، وقالوا له إنهم هربوا من ليبيا وأتوا للمشاركة في الحرب، ولم يرجعوا إلى ليبيا حتى جاءت "الثورة"، وأصبحت تلك الحادثة من الحوادث التي هزت الجيش الليبي، وأصبحت هذه الشخصية من الشخصيات المحبوبة التي التفّ الناس حولها بعد أن كسر الحدود وخرج بالآليات وشارك بالحرب.

وكان اتجاهه قومياً، وعندما رجع إلى ليبيا وضعه القذافي في السجن في قضية ١٩٦٩م (قضية أحمد موسى والحواز)، وظل في السجن إلى عام ١٩٨٨م.

أذكر أن معظم الضباط القدامى لم يتزوجوا، ومنهم من ماتت أمه أو والده وهو في السجن، فخرجوا من السجن وهم غرباء.

وكان عبد الله الدرّسي اجتماعياً ولطيف المعشر، وتناقشنا وتحاورنا كثيراً، فهو من أصدقاء محنة السجن، ولا ندري أهو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة.





الشاعر الأستاذ راشد الزبير السنوسي

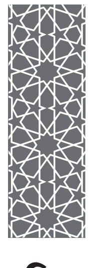


راشد الزبير أحمد الشريف السنوسي، هو سليل العائلة السنوسية، وهو شاعر وأديب ليبي، ولد عام ١٩٣٨ في مدينة مرسى مطروح بجمهورية مصر العربية، بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عاد مع أسرته ضمن العائدين إلى أرض الوطن، حيث تلقى دراسته منذ البداية حتى تخرج في كلية الآداب والتربية في بنغازي ١٩٦٣، عمل في حقل التعليم حتى ١٩٦٧، ثم انتقل إلى وزارة الإعلام والثقافة وبقي بها حتى ١٩٧٠، شارك في العديد من الندوات والمهرجانات الأدبية داخل ليبيا وخارجها، وكان مما ذكره لي: لقد أُحلت على التقاعد عام ١٩٦٩م،وأول قصيدة نشرتها وأنا طالب في الثانوية عام ١٩٥٤م في جريدة الزمان في بنغازي، وأصدرت حتى الآن ثمانية دواوين، ومن مؤلفاته:

- قيثارة الخلود ١٩٦٣
- النغم الحائر ١٩٦٧
- أنفاس الربيع ١٩٦٨
- نشرة الأخبار ١٩٩٨
- الخروج من ثقب الإبرة ١٩٩٩
- رسائل إلى زوجتي ١٩٩٩
- همس الشفاه ١٩٩٩
- من حصاد السجن: الفجر يكتسح المدى

يعد راشد السنوسي من الشعراء البارزين الذين ذاع صيتهم في الأمة العربية بأدبه وشعره ووطنيته، كأمثال محمد مهدي الجواهري والسوسي وأحمد شوقي







وحافظ إبراهيم وغيرهم، وكانت له دواوين شعر قبل دخوله السجن عام ١٩٧٠، وقصائده حول فلسطين وليبيا وغيرها، وكان موجهاً للمدارس الثانوية في المملكة الليبية، وكان والده الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ من العلماء المعروفين الذين حصلوا على الشهادة العالية للأزهر.

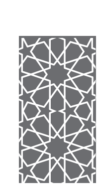
ثم أُدخل الأستاذ راشد الزبير السجن، وتعرض للتعذيب، وآثار التعذيب لا تزال موجودة على جسده، وفيه أَلّف راشد قصائد لم يكتب لها النشر، ولعلها من أروع القصائد التي قيلت باللغة العربية الفصحى عن ضيق السجون والسجناء، والحنين، والغربة، والأعياد، والاشتياق، والظلم، والجوع.

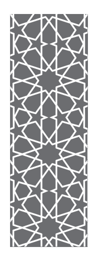
وكان الأستاذ راشد قد فتح دورات لتعليم اللغة العربية في السجن، وتعلم على يديه كثيرون اللغة العربية، وكان لها منهج وواجبات وامتحان، وأذكر أني دخلت هذه الدورة، وحصلت على درجة الامتياز فيها.

كنت أجلس معه كثيراً، ويحكي لي عن فترة الملك السابقة، ووضع البلاد، وقد حفظ القرآن داخل السجن، وحقيقةً هذا الرجلُ ثبت في محنته، وحافظ على الصلاة والقيام، وكان مؤمناً بقضاء الله وقدره، وقد حكمت عليه المحكمة عشر سنوات، وبقي ١٨ عاماً في السجن، جعلها الله في ميزان حسناته إن شاء الله.

حين دخل السجن كان شاباً صغيراً، وترك ابنته، فحين خرج وجاءت ابنته تسلم عليه لم يصافحها، إذ لم يعرف أنها ابنته، فلما علم تأثر تأثراً كبيراً بذلك الموقف.

والأستاذ راشد الزبير السنوسي هو أحد أساتذتي وشيوخي، وفتح لي آفاقاً جديدة عن الحركة السنوسية، وإن كانت جدتي والدة أبي الحاجة عائشة محمد عادل الدرسي من قبائل السعادي في المنطقة الشرقية حببتني في السنوسية،







وكانت تحفظ الأشعار الشعبية عن سيرة أحمد الشريف السنوسي، وعمر المختار، ومحمد المهدي، وإدريس السنوسي، ومحمد بن علي السنوسي، ومرتبطة ارتباطاً روحياً بالحركة السنوسية، وأحببتُ الحركة من خلالها، فزادت محبتي أكثر وأكثر عن طريق الأستاذ راشد السنوسي ومحمد القاضي عبد الكبير.

وأذكر أنني وأنا في السجن في عام ١٩٨٣م رأيت رؤيا لمحمد بن علي السنوسي في المنام، وقد أعطاني كأساً من الحليب فشربته، فأوَّل لي بعض الإخوة تلك الرؤيا بالعلم، ويبدو أن الرؤيا بفضل الله تعالى تحققت بمنهج حياتي.

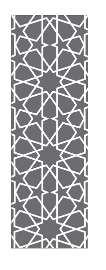
كانت علاقتنا بالسنوسية عن طريق السيد النعمان العربي أحمد الشريف، من أصدقاء والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وأذكر أنني كلما أتيت إلى بنغازي بعد الرجوع إلى البلاد أزوره في بيته، وطلب مني كتاب الحسن بن علي بن أبي طالب وأعطيته إياه.

وبعد تأليفي لكتاب الثمار الزكية للحركة السنوسية زمن القذافي، وكان أتباعه ضد ذلك الكتاب، وخصوصاً حديثي عن الملك الزعيم الوطني الذي وحد ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، كان أبناء الأسرة السنوسية وأتباعها فرحين به.

ومن الأشياء التي لا أنساها ما دمت حياً أن الملكة فاطمة، زوجة الملك الراحل إدريس السنوسي وابنة أحمد الشريف السنوسي، بعد أن وصلها الكتاب وقرأته أصرَّت على أن تتصل بي، وشكرتني على هذا الجهد، وقالت لي: الحمد لله أني لم أمت حتى رأيت من يكتب عن السنوسية من أبناء ليبيا بهذا العمق وهذا الحب.

ودعت لي دعواتٍ ولزوجتي ولأولادي، وكان لذلك أثر إيجابي طيب في نفسي، كما أن محمد الحسن الرضا الأمير السنوسي، المقيم في بريطانيا،

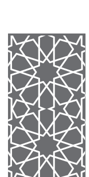
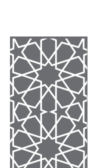




اتصل بي، وشكرني على ذلك الجهد العلمي والتاريخي، متأثراً بتاريخ أجداده، والحمد لله أولاً وأخيراً.

وملأت أشعار راشد الزبير السنوسي كتب الأدب والتراث الشعبي، ومن أشهر قصائد دواوينه قصيدة (بنغازي)، وهي في حنينه للوطن ومدينة بنغازي، وفيها يقول:

هـواك الـذي لم تسعه العيونْ ... وحـبـك نــاء بـه الـعـاشـقـونْ
أيـا قطعةً مـن جنان السماء ... سقتها الهوى، وحبتها الفتون
أحبك مـا رف بين الضلوع ... حنينٌ لماضيك يحني الجبين
فأنت الجمال، ومنك الإبـاء ... وحولك قد درَج الخالدون
وأرضـك تاريخها في الكفاح ... مـلاحـم سطرها الـظـافـرون
نسيجاً من البذل و المكرمات ... ومـجـداً يتيه على العالمين
بني غــازي يـا لـك مـن غـادة ... تحدت على الدهر ظلم السنين
تـنـام تهدهدها الموحيات ... وتسري بأحلامها في سكون
وتصحو فيحضنها البحر شوقاً ... وفـي موجه لحنُ حـبٍ دفين
ويسري لآفاقها البدر حتى ... يمني هــواه بقلب حنون
وعـطـر تـعـلـق فــي نسمة ... سرت في الفويهات بالياسمين
فقل للتي بادلتني الحديث ... رقـيـقـاً كترنيم طير حزين
رويــدك يا حلوتي فالقلوب ... لكم خفقها رغـم ما تنكرين
وكم كابدت من عتاب الصحاب ... وقـد هجرت فيكم الأقربين



ولكنني لست أنسى البلاد فحبي لها فـوق مـا تعلمين

فلا تجرحي شاعراً في هواه لكي لا يريك الـذي تنكرين

وإن كـان سَـوّاك يا من أحب بـــأرض نـمـتـه فـعـز مكين

وفـي قصيدتـه (القفـل) التـي يتحـدث فيهـا عـن تجربتـه فـي السـجن ومـا لاقـاه بيـن جدرانـه، يقـول:

أعودُ للأمْسِ وليسَ الأَمسُ بالبَعِيـدْ أطوي سِنيناً وجْهُهَا لطّخَهُ الصّدِيـدْ

أستَحضِرُ الجدارَ والحصار والقَصِيـدْ وكُوّةً يَشنُقُهَا الجِدارُ دُونَ جِيـدْ

وأنّةُ الرّتَاجِ خَلْفَ بَابِكَ الوَصِيـــدْ والَحارِسُ القَابعُ في الوِجَارِ يَسْتَزِيـدْ

يَكادُ لا يُصْغِي سِوَى لِمَطْلَبٍ وَحِيـدْ اسحق وحَطّمْ كُلَّ من يَرفُضْ ما نُرِيدْ

طَعْنَةَ غَدرٍ تَملأُ البِلادَ بِالعَنَـاءْ يا طالَما فِيهِ ذَوَتْ نَفْسٌ وأَودَى بِرَجَـاءْ

كانَ لنَا مَحْرقَةً تُنهِكُ عَزْمَ الشّرَفَـاءْ يَكْرَعُ مِنْهَا الدُّودُ والكِلابُ والغَبَـاءْ

حَيثُ يَئِنُّ مُوجَعٌ وحَيْثُ تَشْخُبُ الدّمَاءْ ويَصمُدُ الطّمُوحُ تَحْتَ وَطْأَةِ الخَواءْ

مُفَتّحَ الجِرَاحِ قد ضَمّدَه انْتِمَـاءْ كُنْتُ وحِيْداً قَابعاً يَجْلِدُني الصّقيعْ

أَفتَقِدُ الرّفَاقَ في مَحْرَقَةِ القَطِيـعْ تَقْذِفُنِي زِنْزَانَةٌ لأُخْتِهَا ولا شَفِيعْ

ويسرد في أشعاره خطاب السجان:

قَالَ أَنَا مَن يَصْنَعُ الحُلْمَ ويُدْنِي الأَجَلا وقَبْضَتِي مَصْيَدَةٌ أَعدَدْتُهَا مُعْتَقَـلا

وأَذْرُعِي تَرْفَعُ جُدْرَاناً تَفُوقُ الجَبَلا تَهْدِمُ مَن طاوَلها عِزاً وأَقْوَى حِيَلا







العقيد أحمد الزبير السنوسي

كان من الذين درسوا في العراق، وعند رجوعه حاول تجميع الضباط والمدنيين خلفه، ولكن قُبض عليه وأدخل السجن وحكم عليه بالإعدام، ولم ينفذ به الحكم، وهو لا يزال موجوداً في السجن إلى وقت كتابة هذه المذكرات، وأصبح في ما بعد أقدم سجين في السجون السياسية الليبية، وجاوز الرقم القياسي الذي سبقه إليه مفتاح الشارف.

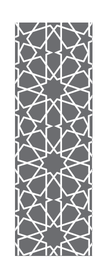
وذكر الأستاذ صالح القصبي في مذكراته عن حجرة الإعدام:

كنت قد عددت أسماء من كان في الغرفة السابعة للإعدام، أما الغرفة المجاورة رقم ٦ فساكنوها: أحمد الزبير السنوسي، وفتحي الشاعري، ومحمد هويدي، وعبد السلام الشلتات، ومحمد هلال، وعمر الحريري، وفرج الهوني، وعبد الله بوخطوة، ورمضان العريبي، وعلي مادي الدغاري، وآدم عبد القادر.

وقد أشرت إلى أن الأستاذ محمد هلال قد نقل مع مَن نقل في ١٦ مارس ١٩٨٦م، وأُفرج عن عمر الحريري يوم الاثنين ٩/ ٣/ ١٩٩٥م من هذا المبنى الذي نوجد فيه اليوم قبل أن ننتقل إلى العنبر الأول الذي أكتب فيه هذه الخواطر.. وقد كان في القسم السادس حين أفرج عنه، وإن كان قد تنقل بين القسمين الخامس والسادس.

وقد أفرج عن الباقي في مارس ١٩٨٨م إلا المقدم أحمد الزبير، والملازم الطيار فتحي الشاعري، وعبد السلام الشلتات، ومحمد هويدي، وهما جنديان، وهؤلاء الأربعة المستَثنون من الإفراج معنا اليوم في هذا العنبر.. عبد السلام الشلتات في قضية فتحي الشاعري وإن كان وحده يرأس مجموعة في هذه القضية تسمى باسمه، وقد أفرج عنها مع الإفراجات العامة وخفض حكم





عبد السلام إلى المؤبد.. وقد ثبت الحكم الأول للأخ فتحي وهو حكم الإعدام، لكنه بقي معنا لم يتغير عليه شيء في المعاملة[1].

ويضيف الأستاذ القصبي: استمرت الرسائل بيننا وبين حجرتي الإعدام، وكنت من المداومين على المراسلة... وكنت أتصل بالأخوين أحمد الزبير السنوسي، وفتحي الشاعري، وجاد المولى القبائلي، ولم تنقطع المراسلة حتى وقعت إجراءات الإفراج في مارس ١٩٨٨م.. هؤلاء كانت المراسلة معهم باستمرار، لكني كتبت رسائل جماعية موجهة إلى الجميع مرات... وكتبت رسائل فردية مرات متعددة إلى عبد الغني خنفر، والمبروك الزول، وعبد الونيس الحاسي، وفريد أشرف، والهادي بلقاسم، ومحمد بريدان، وعطية المنصوري، وعمر الحريري[2].

وتحدث علي العكرمي عن سجن الزبير بالقول: قضى الزبير أكثر من ثمانية عشر عاماً في زنزانة انفرادية في المحقرة، وكانت الرصاصة تقف على نافذة زنزانته في كل يوم من أجل أن تخترق رأسه حسب طريقة إعدام العسكريين، وقضى عبد الونيس الحاسي ثمانية عشر عاماً في زنزانة انفرادية ينتظر ذات الرصاصة تقف على نافذة زنزانته هو الآخر في كل يوم[3].

كان الزبير والونيس الحاسي ينتظران في كل يوم تنفيذ الحكم فيهما، ومثلهما بالطبع مثل بقية نزلاء المحقرة، كانا في كل لحظة يتخيلان الرصاصة الغادرة تخترق الجمجمة، ولم يكفا عن تحسس تلك الجمجمة طوال ساعات النهار والليل.

---

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٢٧ – ٣٢٨.

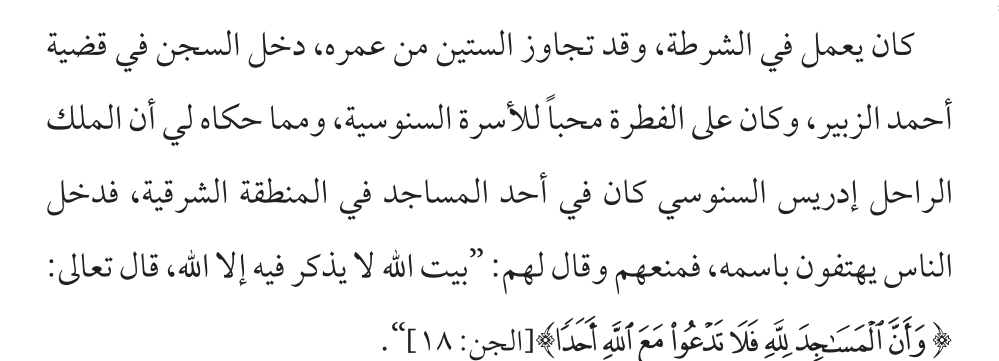
(٣) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢٨٤.





فقد كان مزيجاً من الشعور بالخوف والرّاحة، بالألم والفرح، وكل لمسة للجمجمة في لحظة الإحساس بأنها انفجرت ثم يظهر أنها سليمة وليس بها أية ثقوب يعطي فسحة للأمل، بأن الحياة قد انتصرت على الموت[1].

النقيب أحمد الطاهر



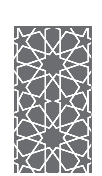
كان يعمل في الشرطة، وقد تجاوز الستين من عمره، دخل السجن في قضية أحمد الزبير، وكان على الفطرة محباً للأسرة السنوسية، ومما حكاه لي أن الملك الراحل إدريس السنوسي كان في أحد المساجد في المنطقة الشرقية، فدخل الناس يهتفون باسمه، فمنعهم وقال لهم: "بيت الله لا يذكر فيه إلا الله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن: ١٨]".

كان أحمد الطاهر كثير القراءة للقرآن الكريم بصوتٍ شجي، وحتى يومي هذا عندما أقرأ قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾[النساء: ٨٧]، أتذكر أحمد الطاهر؛ فقد سمعته يقرؤها من قلبه، فوقعت في وجداني.

وكان مناصراً للمساجد ووجودها، فقال بيت الله لا يذكر فيه إلا الله، وعندما دخل المعتقل ترك خلفه أولاده صغاراً، فكبروا في غيابه، وأصبح ابنه مدرساً، والآخر مهندساً، وابنته طبيبة، وعندما تنظر في وجهه، وتفكر في سنه تتأسف على حاله، وعلى هذا النظام الذي زجَّ بهؤلاء الطيبين في السجن، وقد حكم عليه بعشر سنوات، فقضى ١٨ سنة، وخرج بعدها إلى أهله.

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٨٥.





أذكر أنني عندما التقيت به في المطار أثناء خروجه من السجن، كان بجانبي أحد زملاء الدراسة ويعمل نقيباً في الاستخبارات العسكرية، فأخبرته بأن هذا الرجل الذي أمامك كان معي في السجن ١٨ سنة، فتأثر النقيب عندما رأى صورةً حية عن أفعال نظامه.

وقد زرته بمنزله بعد خروجه وتعرفت على أولاده بمدينة المرج.

الحاج بازمه



أذكر أننا التقينا أيضاً بالحاج بازمه، وهو رجل كان يعمل فراشاً في الجامعة الإسلامية بالبيضاء، واتهموه في قضية أحمد الزبير، ويحكي لنا عن أساليب متعددة من التعذيب التي تعرض لها، وذكر لنا أسماء الذين كانوا يعذبونه، وحكى عن مفتاح رشيد حين كان ملازماً، وفي مجالس التحقيق ماذا فعلوا به، فيذكر أنه في إحدى الحوادث أخذ الضابط فرشة الزواق (الطلاء) وأجراها على وجهي وركب على ظهري، وعاملني مثل البهيمة، وذات مرة طلبوا مني أن أستعد للإعدام، وخرجت ظاناً أن نهايتي اقتربت، فوجدت نفسي أمام أهلي في زيارة لي.

استخدموا كثيراً من أساليب التعذيب الجسدي وأساليب تدمير النفس البشرية، ولكن الله له حكمه في تأجيل العقوبة، وقد خرج هذا الرجل من السجن بعد ١٨ عاماً قضاها ظلماً وزوراً في سجون نظام القذافي.

وقد سمعت عن مفتاح رشيد أن الدولة استغنت عن خدماته ووضعته على الهامش، واعتقل لفترة، وعندما أرسل إليه القذافي للإفراج عنه، قال لن أخرج حتى يأتي القذافي بنفسه.

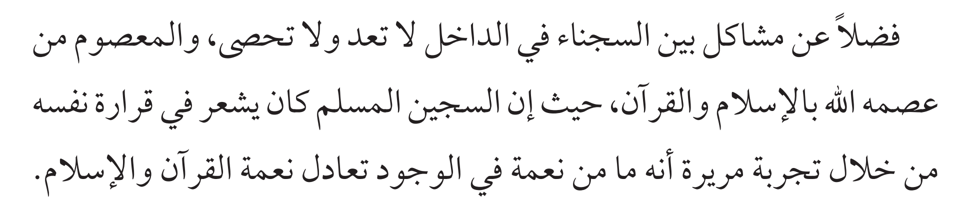






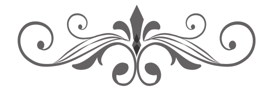
الأمراض النفسية في السجون

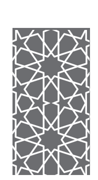
يعلم الله كم يتعرض السجناء في ليبيا لحرب نفسية مدمرة، ما سلم منها إلا من سلمه الله، وهناك بعض السجناء أصيبوا بأمراض نفسية خطيرة، فمنهم من أصيب بجنون العظمة أملاً منه بالوقوف ضد الطاغوت القذافي، ومنهم من أصيب بانفصام الشخصية، وتقلب الآراء والأفكار، ومنهم من صار يرى أي حديث بين الناس وكأنه حديث عليه، ومنهم من ذهب عقله نهائياً.

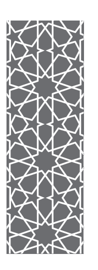


فضلاً عن مشاكل بين السجناء في الداخل لا تعد ولا تحصى، والمعصوم من عصمه الله بالإسلام والقرآن، حيث إن السجين المسلم كان يشعر في قرارة نفسه من خلال تجربة مريرة أنه ما من نعمة في الوجود تعادل نعمة القرآن والإسلام.

وهناك بعض القضايا المتفرقة لم أتعرض لها، منها قضية حدثت في عام ١٩٧٣م، وبعض قضايا التحرير الإسلامي من المنطقة الغربية، وقضية الطلبة من الكلية العسكرية، ومجموعة الصحافة الذين دخلوا السجن، وكانوا يسخرون من العلماء في مجلتهم التي أصدروها.









سجناء في قضية محاولة الانقلاب بقيادة عمر عبد اللّه المحيشي عام ١٩٧٥م

هو أحد أعضاء قيادة انقلاب القذافي في مدينة مصراته، وكان بيته في مصراته مقراً لضيافة العقيد قبل "الثورة"، ولكن كما عرفنا أن الثورة تأكل ابنها، ولم تكن حركة إسلامية بل كانت حركة عسكرية هدفها الإطاحة بالعقيد القذافي، والاستيلاء على الحكم، ويُحكى أيضاً أن بعض الضباط في هذه القضية دخلوا فقط طمعاً في رتبة عسكرية.

وقد أُعدم في تلك القضية ٢١ ضابطاً من الجيش الليبي من جميع الكتائب، ونفذ فيهم حكم الإعدام أمام الجنود في معسكراتهم بأمر من القذافي نفسه، وقتل ضابط نفسه، وترك ورقة مكتوباً فيها: "بيدي لا بيد معمر القذافي".

وفي رسالة كتبها الدكتور جمعة عتيقة لأخيه سالم ذكر أسماء الشهداء الذين أعدموا في قضية عمر المحيشي، وهم:

- عبد المجيد المنقوش.
- مصطفى المنقوش.
- عمر خضر.
- عيسى كروال.
- علي مشوط.
- خليفة الفقي.
- محمد سليمان عطية.



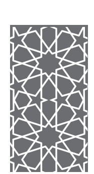


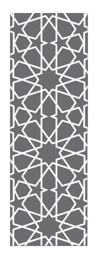


- محمد سالم البرغتي.
- حامد الغندور.
- محمد عبد السلام المنصوري.
- أحمد بن سعود.
- رمضان العربي.
- فرج الهوني.
- أحمد دياب عبد الرحمن.
- صالح القلوص.
- علي الشاوش.
- عبد الكريم نجم.
- عبد السلام البيرة.
- يوسف السنوسي جلالة.
- محمد الشريف مرواس.
- محمد فضيل بريدان.

نُفذ حكم الإعدام في هؤلاء يوم ٢ إبريل ١٩٧٧م، وذلك بتمام الساعة الثامنة صباحاً، كلٌّ في معسكره، وبحضور الجنود والضباط، وكلف أقرب الضباط إليهم بأن يكونوا هم ضباط الرمي.. وكانت معنوياتهم جميعاً عالية جداً[١].

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ١٣٦.





كانت قضية عمر المحيشي من أخطر القضايا السياسية التي كادت تطيح بنظام القذافي، إلا أن الله تعالى أراد للنظام الاستمرار، ومن الضباط من فرَّ خارج ليبيا، كان منهم قائد الحركة عمر المحيشي.

والتقيت بالضباط صالح الأوجلي، وعبد القادر البعباع، وسليمان الطاهر، ومحمد العرفي، وعلي البرعصي، وعبد الله الدرسي، وغيرهم من الإخوة، وقد عشنا معاً مثل الإخوة، لم يسببوا لنا عراقيل، ولم نتسبب لهم بعراقيل، وكانت الحوارات معهم مفتوحة، ومن ثم تحسنت أحوالهم في فهم الإسلام وتوطدت العلاقات معهم.

وحول هذه الحادثة ذكر الدكتور جمعة عتيقة قائلاً: "وفي أغسطس ١٩٧٥م، علم الناس أن أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة (عمر المحيشي) قد فرَّ خارج البلاد، أعقب ذلك حملة اعتقالات واسعة شملت عسكريين ومدنيين، وكان كثير منهم أصدقاء شخصيين لي، مثل عبد المجيد المنقوش ومحمد عبد الوهاب كريم وعلي الشاوش وعمر خضر وعمران الدعيكي وخليفة الفقي وأحمد بوليفه الذي قتل أثناء مطاردته بعد هروبه من السجن عن طريق بئر الغنم، وغيرهم من المدنيين؛ مثل علي اللافي وفريد أشرف وعبد الحكيم برشان. ومعرفتي بهؤلاء وصداقتي لهم زادت من درجة انفعالي وتفاعلي وتعاطفي معهم، خاصة وأن تجربة سجني المبكر لم تكن بعيدة عن الذاكرة والوجدان.




كما أن الأجواء العامة في البلد وبداية ظهور النزوع القبلي الصارخ للنظام وعشائريته المعلنة، وصار الثنائي حسن أشكال، وخليفة حنيش رمزين من رموز هذا التحكم والتوجه العصبوي المقيت، وبحكم وجود عدد كبير من الضباط



المعتقلين، والمشكوك في ولائهم (لابن القبيلة) ممن ينتمون لمدينة مصراته فقد طالها، وطال أهلها كثير من العنت والاستهداف والتضييق"[١].

ويذكر الدكتور جمعة عتيقة في مذكراته: "سنة ١٩٨٢م أبلغني المغاربة (السلطات الأمنية) بوجود عمر المحيشي في فندق باليما بالرباط، فذهبت إليه صحبة محمد المقريف، وفوجئنا بحالته العصبية، واحتجاجه الشديد على ما يكتب في حق المعارضة ضد الثورة، وخاصة نعتها بالانقلاب، واشتد انفعاله وعلا صوته، فقمنا بتهدئته، خاصة واليوم كان عيد أضحى وكنا مجتمعين في بيت المقريف على خروف العيد فدعوناه وقبِل الدعوة، وأمضى معنا يوم العيد... لاحظنا أنه يعاني من أعراض انفصامية، حيث كان يسترسل في الحديث بشكل مسلسل ثم ينقطع هذا التسلسل ويدخل في مواضيع أخرى.

بعد ذلك نقل إلى فندق صغير قرب ضريح محمد الخامس، وهي المنطقة التي كنت أقطن فيها، فصرت أتردد عليه في هذا الفندق؛ إشفاقاً على حالته، وما آل إليه وضعه بعد إهمال السلطات المغربية له، وتقصيرهم حتى في حمايته.

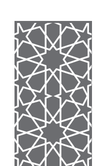
وعندما تركت المغرب أواخر عام ١٩٨٢م، كان هو يعاني أسوأ حالاته المرضية بعد أن انتقل إلى فيلا في منطقة سلا استأجرها صهره صلاح السويحلي.. ومن هنا كانت جريمة تسليمه مضاعفة؛ تسليم إنسان مريض مستجير لاجئ.. وقد عبرت عن ذلك في مقالة نشرتها بمجلة (الطليعة العربية)، والتي أشرت إليها وكان عنوانها (بالزاف يا صاحب الجلالة)..."[٢].

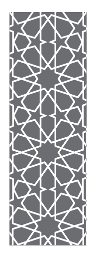
---

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ٤٠.

(٢) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ١٢٨ - ١٢٩.







قضية عبد القادر الأصفر

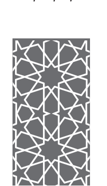
التقيت بعبد القادر في سجني في عام ١٩٨٤ - ١٩٨٥م، وكان اللقاء في سجن أبو سليم، وكان رجلاً بسيطاً طيباً متواضعاً، وحسب رواية العكرمي: عام ١٩٨٨م دخل عبد القادر السجن، وكان عريفاً في السجن قبل أن يعمل سائق شاحنة، وكان أمياً من الذين لم يرهقهم الوعي، ولم يتعبهم التفكير، وعاش على سجيته التي أعتقد أنها لا تتغير مهما كان الظرف الذي يكتنفه، وهذه السجية تريح لأنها صادقة.

وشاء الله أنه في يوم من الأيام حصل له حادث سير، ومعه شخص آخر، فأوقفتهم دورية في أحد مراكز الشرطة في طرابلس، كي يحال صبيحة اليوم التالي للنيابة، وكان لديه واسطة، ونام في البيت لا في السجن، وصادف تلك الليلة حدوث انقلاب عمر المحيشي عام ١٩٧٥م، وكان أحد الموقوفين في تهمة محاولة الانقلاب مدير مكتب القذافي أحمد بوليفة في مصراتة، وكان لعبد القادر أخ اسمه محمد يعمل حارساً للزنازين ومن ضمنها زنزانة بوليفة.

فهرَّبَ محمدٌ بوليفةَ من السجن، وأخذه إلى أخيه عبد القادر، وكانت الساعة الخامسة فجراً حين طرق بابه، ونهض عبد القادر من نومه متثاقلاً، وطلبا منه المساعدة في عبور الحدود إلى تونس قبل أن تطلع الشمس، وبعد نقاش ركبا في الشاحنة، وانطلقت تتهاوى في الصحراء كأنها ناقلة مدمرة، وسمح الوقت لإدارة السجن بمعرفة من الذي هرب، ومن ساعده، فكان الرهان على عامل الوقت.



ألقت طائرة عمودية قذيفة تجاه الشاحنة، فاهتزت الأرض وتأرجحت الشاحنة حتى كادت تنقلب، وصرخ محمد بأخيه لا تتوقف، وانهالت القذائف وانقلبت الشاحنة، واحترق جزء منها، وكان محمد وبوليفة مسلحين،







ولم يكن عبد القادر يحمل سلاحاً، وسمعوا أصواتاً من خلفهم تناديهم بالتوقف والاستسلام.

كان عبد القادر يعرج، فرفع يديه، وأعلن استسلامه، أما الاثنان فبدآ إطلاق نار باتجاه العسكر، واستمر إطلاق النار عشر دقائق قبل أن يسقط محمد وبوليفة ميتين. وألقي القبض على عبد القادر الأصفر، وذهبوا به إلى الخروبي، وقال له: "إيه يا قدوره، إيه يا عبد القادر، لو جئت وبلغت عن أخيك والخائن الآخر، لكنت الآن وزيراً".

وحكمته المحكمة ٣ سنوات، وبعد خروجه من السجن أعطى عهداً أنه لن يعود للسياسة ولن يتدخل في أمور الدولة، وذبح جملاً، وأقام حفلة مهيبة بعد خروجه في مصراتة، ولكن عناصر اللجان الثورية فطنوا له في ما بعد، وأعادوه للسجن ليقضي فيه أكثر من ٢٧ سنة[١].

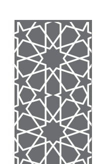
عبد القادر البعباع

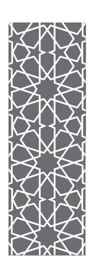
أخذت معه برامج الديانة الإسلامية باللغة الإنكليزية، واستفدت منها كثيراً، وهو من الضباط الذين درسوا، وله ذكاء نادر عُرف به بين أصدقائه، وظلَّ في السجن ١٣ سنة، في حين حكم عليه ٦ سنوات، وكم كان في هذه القضية من مظاليم، وكان منهم عبد القادر وغيرهم من الإخوة الطيبين الذين لا ناقة لهم ولا جمل، ولكنهم دخلوا مدرسة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وتربوا فيها خير تربية.

كان البعباع محباً للإسلام والفكر التنويري، وله معرفة بباكستان، فقد عمل فيها ملحقاً عسكرياً قبل سجنه، وتوثقت صداقتي به، وجمعت بيننا محنة السجن والجانب الثقافي، ومناصرة الإسلام والمسلمين، وتطوير عالم الأفكار، والاعتزاز بحضارتنا العربية والإسلامية المبنية على العلم والمعرفة.

---

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢٠٠ - ٢٠٣.







سجناء في قضية الطلبة عام ١٩٧٦ (أحداث مظاهرات الطلبة)

تُعرف في تاريخ ليبيا بأحداث الثورة الطلابية ضد العقيد القذافي، ذكرها الدكتور جمعة أحمد عتيقة في كتابه "مذكرات في السجن والغربة" فقال: "وهؤلاء قاموا بأحداث بنغازي يناير ١٩٧٦م، وذلك للمطالبة والدفاع عن استقلالية اتحاد الطلبة، وتولت هذه المحاكمة "محكمة الشعب" برئاسة أحمد محمود، وعضوية عبد السلام بوقيلة عضو اليمين ومحمد المصراتي عضو اليسار، وتولى الادعاء أمامها القاضي حسن بن يونس"[١].

وقد قام نظام القذافي بسحقهم في تاريخ ٧ إبريل ١٩٧٧م، وسماها بقضية الرجعية الليبية، وأعدم في هذه الأحداث اثنين من قيادات الطلبة وهما عمر دبوب، ومحمد بن سعود، اللذين نفذ حكم الإعدام بحقهما أمام مقر الاتحاد الاشتراكي في مدينة بنغازي، وأشرف القذافي بنفسه على تنفيذ الحكم، ونُشرت الصور على التلفزيون.

ويقول الدكتور جمعة عتيقة إن أحكاماً أخرى صدرت بحق أشخاص آخرين، ومنهم عبد السلام الحشاني المتهم بتشويه تمثال لجمال عبد الناصر في بنغازي، واستبدل حكمه بالمؤبد، والفنان عمر المخزومي، ومواطن مصري متهمين بتخريب منشآت والعمالة للمخابرات المصرية[٢].

تأثر الشعب الليبي المكبل بقيوده بعد تلك الأحداث الدموية، وفي تلك الأحداث خرجت المظاهرات من الجامعات في طرابلس وبنغازي في وقت واحد، وزجَّ بعدد كبير من الطلبة في السجن.

---

(١) د. جمعة أحمد عتيقة، **مذكرات في السجن والغربة**، ص ٤٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٣.









ومما ذكره الدكتور عتيقة في مذكراته حول مجازر إبريل: "ولقد كان البلد يتشح بالكآبة والخوف والتوجس، وقد انسحب الأمان، وحل محله الهلع والترويع وتوقع السوء واحتمال الأسوأ حتى كان يوم السبت في ٢ إبريل ١٩٧٧م، إذ تم تنفيذ حكم الإعدام بطريقة بشعة في ٢١ ضابطاً في معسكراتهم بعد أن أُجبر أقرب أصدقائهم بالأمر العسكري أن يقوموا برميهم.

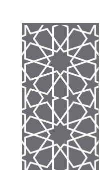
وأذكر أني ذهبت الليلة السابقة إلى صديقي محمد شعبان أحد الضباط الأحرار، فوجدته في حالة سيئة، فقد صدر له الأمر لكي ينفذ الإعدام في صديقه ورفيقه وجاره علي الشاوش، وفعلاً لم يسلم شعبان من تلك الصدمة التي أوصلته إلى مشارف الجنون وعدم الاتزان النفسي... وكانت قمة المأساة وجولة حمام الدم الأخرى يوم ٧ إبريل؛ حين أُعدِمَت مجموعة بنغازي محمد بن سعود وعمر دبوب في ساحة الاتحاد الاشتراكي علناً،.... وبقوا يتأرجحون في المشنقة ساعات طويلة..."[١].

لم تكن الحركة إسلامية، بل كانت وطنية فيها ألوان طيف، إذ إن بعض الطلبة تأثر بالكتب الشيوعية والاشتراكية، وبعضهم الآخر خرج مع الخارجين، وفي تلك الفترة فتح القذافي الحوارات الحرة في الجامعات، وأعطى الفرصة للدكاترة والطلبة حتى يتعرف على آرائهم، ولم يكن الاتجاه الإسلامي متغلغلاً في الأوساط الطلابية في السبعينيات.

وبعد تلك الأحداث ألقى القذافي القبض على عشرات الطلبة، وكان البعض من الطلبة قد تبنّوا الفكر الشيوعي، ووجدوا عندهم كتباً تدل على ذلك، وهناك من يدعو إلى الشيوعية منهم، فأصبحت القضية كلها اتهامات ماركسية، وكان فيها كثيرٌ من المظلومين.

---

(١) المرجع السابق، ص ٤٣ – ٤٤.





ومن الذين التقيت بهم في السجن منصور بوشناق، وأحمد بالو، ومصطفى بدر، ومصطفى الفار، وماهر بوشريدة، وكان في القضية المفتي مصطفى بعيو، وكثير منهم من يكتب المسرحيات والفلسفة والشعر، ومنهم من أهل الفكر والرياضة.

وحول قضية الطلبة يتحدث صالح القصبي في مذكراته عن مجموعة طلبة أحداث سنة ١٩٧٦م ويذكر منهم: خالد عمر الترجمان، ومصطفى الفار، وماهر بوشريدة، ونجيب الدنيني، ونور الدين الماقنيَّ، والسنوسي حبيب، وإدريس ليَّاس، ومصطفى بدر، وفتح الله إنديشه، وأحمد بللو، وبشير جربوع، ومنصور بوشناق، ونبيل العرفية، وعلي بالتمر، وفوزي بالتمر (وقد أفرج عنه عام ١٩٨٨م بعد نقلنا إلى السجن العسكري وقد أتم حكمه)، وشعبان معيو، وتوفيق الغيزواني، وجابر العبيدي، وعبد السلام الحشاني، وعطية السرواحي، وعبد السلام الجريدي، ورضا بن موسى[1].

وفي عام ١٩٧٨م، اعتقل أربعة طلبة من كلية الطب شوهوا صورة لمعمر القذافي أمام الجامعة حُكم عليهم بخمس سنوات، هم الإخوة: علي الدعيكي، وصلاح الرباعي، وعوض حفالش، وآخر نسيت اسمه..[2].



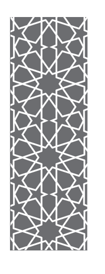
ويسرد الأستاذ علي العكرمي في رواية طريق جهنم عن تلك القضية راوياً:

عام ١٩٧٦م، وفد إلينا مجموعة من الطلاب المعارضين للثورة الثقافية التي نادى بها القذافي، والتي كانت سبباً في اعتقال آلاف المثقفين من أنحاء ليبيا، ومنهم الطالب نوري الماقني الذي كان رئيساً لاتحاد الطلبة آنذاك،

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٢٩٢.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٩٢.





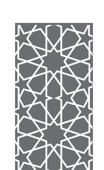


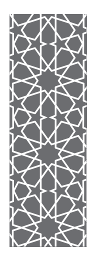
ولكبح جماح تلك الحركة دعا القذافي الطلبة بحجة حوارهم، ودخل على مأدبة عشاء وهو غاضب، وتحدث مع رئيس اتحاد الطلبة مهدداً: اسمع أنا جيت بالسلاح والراجل يجي يطلعني بالسلاح... أنا راجل دولة، وبارك الله في إني دعيتك، وأنا نوريك.. أنا نقتلك"، فكان تهديداً بالقتل.

وفي عام ١٩٧٦م، بدأت اللجان الثورية بتصفية رؤوس وقادة الطلبة عقب اقتحام حرم جامعة بنغازي، وكانوا بالعشرات محملين بالمسدسات والهراوات والسكاكين والرشاشات، وهاجموا الطلبة هجوماً غوغائياً، فقتلوا بعضهم، وجرحوا آخرين، وحرقوا سياراتهم.

ولم يخضع الطلبة للتهديد، فنفذوا اعتصاماً في حرم الجامعة، وصاروا يهتفون: "خونا في الكلية مات، قتلوه المخابرات"، و"بت قذافي يا لعين ثلاثة ماتوا مقتولين"، و"لا إله إلا الله بومنيار عدو الله"، و"وحدة وحدة طلابية... سحقاً سحقاً للفاشية"، و"يسقط العقيد ويحيا الشهيد".

وامتد اعتصامهم إلى خارج أسوار الجامعة، ووصل إلى وسط مدينة بنغازي، وتوجهوا إلى ضريح عمر المختار رمزاً للمقاومة والتحدي والحرية، فواجهتهم بنادق الحرس الجمهوري وأطلقت عليهم الرصاص بلا رحمة...، وجن جنون القذافي، فمن يتجرأ على السيد الأول؟ ومن يرفع "لا" في وجهه بعد كل ما صنعه لليبيا، حين حررها من الاستعمار، وواجه وحده بشجاعته اللامتناهية وحكمته البالغة أعداء ليبيا في الداخل والخارج؟ وانهال في خطاباته يصف الطلاب بالعمالة للمخابرات الأجنبية، وتوعد أنه سيصفي الحركة الطلابية بالحديد والنار.





وتعرض الطلبة لحملة شعواء من الاعتقالات، وقتل قياديوهم، وكان أمر التحقيق معهم برعاية عبد الله السنوسي وحسن إشكال، وأنشأ القذافي بعد قمعه للحركة تنظيماً طلابياً مناوئاً لاتحاد الطلبة مؤلفاً من عناصر اللجان الثورية ليقطع الطريق على المطالبين بالحرية والإفراج عن المعتقلين والعدالة الاجتماعية[1].

مصطفى الفار (الكوافي)

هو رجل وطني، كان يدرس في السنة الثالثة في كلية الحقوق، وبطل رياضي معروف، حصل على بطولة الملاكمة في ليبيا، وهو من الشخصيات النافذة في الجامعة، فلا تجد من لا يعرفه، في تلك الفترة طلب القذافي منه ومن بعض الطلبة أن يتعاملوا مع النظام، فرفض ذلك، وحكم عليه ١٥ سنة في السجن، ومما أحزنه أنه اتهم بالماركسية، فكان يقول: "أنا مسلم أباً عن جد، ودوافعي وطنية فهذه التهمة ظلموني فيها"، وكان من الذين يقرؤون القرآن، كما كان من المحبوبين في السجن، ويعرف عنه خفة الدم وأنه صاحب نكتة، وكان يقول: "في الآخرة أناس الله يغفر لهم، وإن شاء الله أنا منهم".



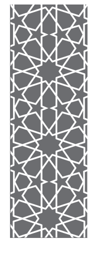
كان يمزح مع الجميع، حتى إن بعض الرجال كانوا يحملونه على أكتافهم، ويجرون به في الفناء، ومن الطرائف أنه طلب مني ذات مرة إدخال حبل من خلال ثقب في الجدار وربطها بمخدته لأوقظه وقت صلاة الفجر، وقمنا بعمل فتحات في جدار كل الحجرات، وصرنا نسمع الأخبار من خلالها، حيث كان الخبر ينتقل بسرعة البرق من الحجرة الثامنة إلى التاسعة إلى العاشرة إلى الثانية عشرة.

---

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢١٣ – ٢١٥.









ومن فكاهاته المشهورة بين السجناء أنه كان كثيراً ما يلبس الملابس الصوفية؛ قفاز بيده، وقبعة على رأسه، فيقولون: ما هذا يا مصطفى؟ فيقول: هل سمعت أحداً مات من الحر؟ أما بالبرد فقد يموت، ثم إني سمعت أن مجموعة في اليونان ماتوا في إحدى المناطق في الحر، فقلنا له نظريتك أخفقَت، فقال: نظريتي في أفريقيا فقط.

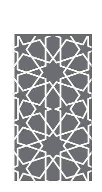
كان مصطفى صاحب ثقافة واسعة، يحفظ كثيراً من الشعر، ويطالع الكتب، وكان محباً للإسلام وأهله، وفي فترة السجن الأخيرة حفظ أجزاءً من القرآن، وشعر بنعمة الله عليه في سجنه، حيث كان يقول إن السجن هو وقفة مع النفس لن تتكرر في الحياة ويجب الاستفادة منها.

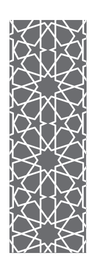
في الحقيقة، كان من أفضل الشخصيات على الإطلاق في قضية عام ١٩٧٦م، وقد توثقت علاقتي به وأصبح أخاً فاضلاً لي، وتدربت معه في تدريباته الرياضية المتعبة، واستفدت منه كثيراً.

ولا تزال الدولة تنظر إليه بكونه شخصية مؤثرة هادئة جميلة، وشرح لي القضية فقال إن الطلبة ينقسمون إلى قسمين؛ قسم تبنى الأفكار الشيوعية، وقسم الأفكار الوطنية فقط. وبعد خروجه من السجن فتح له إخوانه مخبزاً في وسط المدينة، فكنت أزوره أحياناً، حيث كان نعم الأخ في السجن.

ماهر بوشريدة

هو من الطلاب الطيبين الذين أثرت فيهم تهمة أنه ينتمي إلى الماركسية، فكان ينكر ذلك بقوة وشدة، وحكم عليه ٨ سنوات، وبقي ١٢ سنة، دخل إلى السجن وهو شاب في بداية العشرينات، واختلط بقضايا كثيرة في السجن وبأشخاص





ذوي اتجاهات متعددة، وكانت بيني وبينه علاقة ودٍّ، وكان دائماً ما يطلب مني التحدث في الدين، ومرة ذكرت له قول شيخ الإسلام ابن تيمية: "ما يفعل أعدائي بي؟ إن جنتي وبستاني في صدري.. إن قتلي شهادة، وسجني خلوة، ونفيي سياحة"، فأعجبته هذه المقولة.

وبينما كنت أقص عليه حادثة الإسراء والمعراج لرسولنا الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سرح بعيداً، وظهر عليه التأثر ومحبة الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والسلام، وظهر تأثره الواضح أيضاً عندما كنا نتحدث عن القرآن، وكان يقول: عندما أتذكر المصيبة التي وقعت علينا، وأتذكر الجنة، وما أعده الله للصابرين أدعو الله أن يجعلني من أصحابها وأن تكون أمي هناك.

حوار مع الشيوعيين



لا أريد ذكر أسمائهم؛ لأن بعضهم رجع إلى الإسلام، وبعضهم قال عند خروجي سوف أصلي، أما في السجن فلا، والأعمال بالخواتيم، وتترك لهم الفرصة بأن يكتبوا عن أنفسهم تجربتهم في سجون القذافي، والأطوار التي مرّوا بها في حياتهم، ذلك أعدل وأقرب للصواب، وحتى من خلال نقاشاتي معهم فتحت عليهم نوافذ الإسلام، وقد بقيت عقولهم مفتوحة على كتب الشيوعية والاشتراكية، وكانت صدورهم فارغة، ويمكن لأي إنسان أن يملأ هذا الفراغ بأي شيء، ولكن عندما دخلوا السجن وجدوا سجناء شيوعيين من أمثالهم فاشتدت العلاقة فيما بينهم.

إن من عادات الشيوعيين في نقاشاتهم أن يشترطوا عليك عدم الاستدلال بالقرآن أو الأحاديث النبوية؛ بحجة أنهم لا يؤمنون بها، وبعض الإخوة من المسلمين لا يتحملون نقاشهم، فيضطرون إلى التشاجر معهم، ومن عاداتهم



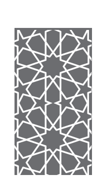


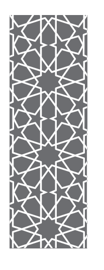


أيضاً أنهم يحاولون إضحاك الناس على المسلمين؛ لأن المسلمين لا قدرة لهم على النقاش دون الاستدلال بالقرآن، وهذا ما يجعلهم عصبيين لقلة حججهم.

وفي أحد حواراتي مع شيوعي قال لي: أنتم المسلمين ليس عندكم تصور سياسي في أذهانكم للحكم، فأجبتُه: لو اطلعتَ على كتابات المسلمين المعاصرة لما قلت هذا، وإن أية دولة لا بدَّ لها من سلطة تنفيذية، وسلطة قضائية، وسلطة تشريعية، فبيّنتُ له أن آية واحدة من القرآن أشارت إلى هذه المصادر، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: ٢٥]، فبيّنتُ له أن البينات والكتاب رمز للسلطات التشريعية، وأن الميزان رمز للسلطة القضائية، وأن الحديد رمز للسلطة التنفيذية، وشرحت له مصادر التشريع من الكتاب والسنة والإجماع والقياس، وإن هذا الحق حق الله متنقل بين البشر وعليهم احترامه فهو ميزان في التشريع الإسلامي، ولقد أتعبني ذلك؛ إذ احتجت لكتابة قرابة ١٥ إلى ١٧ صفحة، وسهرت الليالي عليها، وعندما أتممتها عرضتها عليه، فقال: هذه أول مرة بحياتي أسمع من المسلمين مثل هذا التصور، والعرض المشوق، ومواكبة العصر.

كنت أحرص على النقاش معهم، وتتفجر في كياني روح التحدي لهم، فيجعلونني أبحث في الكتب للردِّ عليهم، فكنت أتعلم في المناقشات مواقع ضعفهم وأرد عليهم، فإذا تكلمنا في أمور الدنيا في مواضيع متنوعة كالاقتصاد أو السياسة أو نصرة المظلوم أو الفقراء وطبقات الكادحين، يرون أن الحل لديهم فقط وليس عند غيرهم، لكن عندما يسمعون منا يستهزئون بأقوالنا، ومن فضل الله عليّ أني كنت أبقى في النقاش معهم بأعصاب باردة، وأحياناً هم الذين يغضبون.





حتى إن أحدهم اشترط علي فقال: "إذا حاورتك فذكر اسم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحوار فلن أصلي عليه، فلا تتضايق من ذلك"، فقلت له: "عندما تذكر محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو أذكره أنا فمن حقي أن أصلي عليه"، وبدأ الحوار حول المرأة في الإسلام، وكيف أنه لم يعطها حقها، وحول المعاهدة المصرية اليهودية (كامب ديفيد)، وغيرها.

كنت أرى أننا لا بد أن نرد عليهم حتى تقام الحجة عليهم، في حين كان إخواني من المسلمين يعترضون على ذلك، ويطلبون عدم الجلوس والحوار معهم إلا أنني أسمع من إخواني ما يقولون، ولكن أنفذ ما أقتنع به، وهو ما يجعلهم يتعاملون معي معاملة فظة، ولكن لا أبالي، وكان قدوتي يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ "إنا نراك من المحسنين"، فالمعاملة مع كل أنواع البشر وألوانهم الفكرية تكون قائمة على الاحترام، والاتزان، والحوار المنضبط بالأخلاق، والحجة بالحجة والدليل بالدليل، وكانت جولات نافعة ومهمة في عالم الفكر والثقافة والمناهج والتغيير.

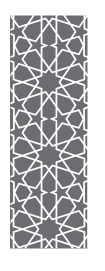
إسلام أحد الشيوعيين

بعد حوارات طالت عدة أيام، كنت أقول لهم إن الإسلام يعطي تصوراً عاماً للإنسان وحقوقه من قبل الولادة، وفي الولادة، والرضاعة، والطفولة، والشباب، والرجولة، وعند الموت وبعده، وفي القبر والجنة والنار.

وأذكر أني كنت أهتم بعقيدة البعث والحساب، وأستخدم معهم أسلوب العدالة والقياس، وأنَّ الذي أحيانا من العدم قادر على الإعادة، فحكى معي أحدهم وقال: أصبحتُ أشعر بالخوف في نفسي، وأشعر أن هناك يوماً للحساب.







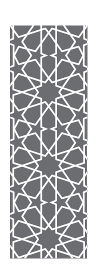


ثم إنه أسلم وأصبح يؤدي الصلاة، وكان مواظباً عليها، ثم انقطع عنها، ثم عاد وحسن التزامه، وحفظ جزء عمَّ، وأشرق وجهه، ثم خرج وحج، ثم مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

كان يحكي عما فعل به في التحقيق عبد الله السنوسي وحسن أشكال وغيرهم، فيروي أنهم أحرقوا شعره بالنار، فظننت أنه يوم القيامة الذي عنه يتحدثون، فقال له المحقق: إنه لكبيركم الذي علمكم السحر، كم كان هذا الشخص من دعاة الشيوعية، يفطر في رمضان ولا يصلي، ويرمي رغيف الخبز ويقول: لو كان هناك ربّ فليمسك هذا الرغيف (تعالى الله عمَّا يقول الظالمون علواً كبيراً)... أستغفر الله، وحكم عليه ٥ سنوات، وبقي ١٢ سنة داخل السجن، وكان القلق والبؤس يبدو على وجه الشيوعيين، على عكس الشباب المسلمين الذين كانت سيماهم في وجوههم من أثر السجود، وقد اشتهروا داخل السجن بكثرة القراءة ساعات طويلة، وحبهم للشعر الحر، ولم يكن الشيوعيون يهتمون بنظافة ملابسهم وأماكنهم، وقد تناقشت مع رجل منهم في ذلك، فقال إنه يؤمن بالله ورسوله والإسلام، إلا أنه يؤيد الشيوعيين، ويرى أن أفكارهم هي الصحيحة وهي الأفضل.

وكانوا دائماً يحاولون استقطاب الشباب داخل السجن في أي فرصة تسمح لهم، ولكن عامة السجناء -من الشيوخ والشباب وغيرهم- لم يعطوهم ما يريدون، ولذلك كانوا منبوذين داخل السجن من قبل المسلمين، ولكن مع مرور الزمن تولد بيني وبينهم احترام متبادل، فلم يتهجموا على الأذان، ولا على الحلقات العلمية، بل طلبت منهم الحضور والاستماع حتى يسمعوا رأي الآخرين، وكنت أرجو الله أن يهديهم ويدخلوا في الإسلام حتى يفوزوا في الدنيا والآخرة، واختصرت ما حصل معهم خوفاً من الإطالة؛ لأن الغرض إعطاء فكرة موجزة وشاملة، لا تفصيلية عما يدور في السجون الليبية.





سجناء قضية الرابطة الأمازيغية عام ١٩٨٠م

دخل السجن في هذه القضية كثير من أبناء الأمازيغ، وهم من جبل نفوسة وغيرها في ليبيا، وكانوا أصحاب اتجاه إسلامي يطالب باتحاد ليبيا والجزائر وتونس والمغرب، إلا أنه كان من بينهم ممن له نزعة انفصالية عن الحضارة الإسلامية، وهم قلة، أما الأغلبية الساحقة فمع الإسلام، وضد القذافي ونظامه، ومع الوطن، وكان لبعض دعاة النزعة الانفصالية علاقة مع الغرب، ولا أقول الكل؛ لأن منهم من كانوا من الإسلاميين الصادقين، فكانت بيننا وبينهم مودة واحترام، ومنهم من تغير فهمه للإسلام بالرغم من نزعته الأمازيغية، ولا شك أنه في تلك القضية من بقي تسع سنوات متمسكاً برأيه، وأذكر أنهم أثناء المحكمة أنشدوا معاً في قاعة المحكمة أبيات الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي:



إذا الشّعبُ يَوْماً أَرَادَ الْحَيَاةَ   فلا بدّ أن يستجيب القدرْ

ولا بُدَّ لِلَّيْلِ أنْ يَنْجَلِي   وَلا بُدَّ للقَيْدِ أَنْ يَنْكَسِر

والحق يقال لقد كان لديهم شخصية قوية عندها الاستعداد لبذل كل ما تملك ليسود حكم الإسلام، ومنهم من يطالب باللغة الأمازيغية في مدارس الأمازيغ في الجبل الغربي، وكانت تقام مؤتمرات مع أمازيغ المغرب في فرنسا، التي كانت حريصة دائماً على تغذية النزعة الأمازيغية تغذية سلبية، ولم يكن يوماً الأمازيغ أعداء للوطن ولا للإسلام، بل هم من دعاته وحرّاسه والمدافعين عنه، حيث كانوا يصلون معنا، ويناقشوننا بأدب واحترام، وأذكر أن أحدهم هاجم الخلافات الفرعية بين المالكية والإباضية ويقول لا داعي لها.

وكان القذافي قد أمر الدولة بعدم قطع مرتباتهم وهم في السجن، وهذه خاصة ميزهم بها، ولكن بعد الحكم عليهم رسمياً عاد فقطع الرواتب عنهم،



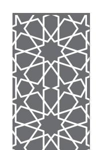


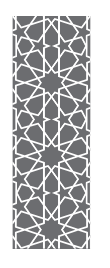

وجمع الأمازيغ وأخبرهم بأن أصلهم عربي وقال لهم: من عشرة آلاف سنة سابقة كنتم عرباً، فأصولكم عربية أصيلة. وعندما أخرجهم اجتمع معهم وعاملهم معاملة فيها حذر، وأذكر منهم من حكم عليه بالمؤبد، ومنهم من بقي خمس سنوات، كالشاعر الحاج عيسى، الذي كان بمنزلة قاسم مشترك بين السجناء، وله كتابات كتبها داخل السجن ربما يكتب لها النشر، ومن تعرفنا عليهم رجال وطنيون بامتياز.

وفي مذكرات الأستاذ صالح القصبي حول الرابطة الأمازيغية وتجربته مع السجناء الطلبة منها، يقول: في عام ١٩٨٧م، وفي الفترة الأخيرة من سجن أبي سليم العسكري، أعيد التحقيق في قضية الرابطة، وقد أُحيلت قضيتهم إلى اللجان الثورية (جميلة دغمان وشلتها)، وكان معهم حسن بن يونس، حيث أعيد التحقيق وأعيد العزل، والسجن الانفرادي، والتنقل بين الأقسام، ثم قُدّموا إلى المحكمة الثورية، وصدر تصنيف جديد للجماعة، من حكم بالبراءة على مرتبة القياديين، مثل يوسف حفيانة، ومن الحكم بسنوات على القياديين مثل موسى شاعوش وإمحمد الحمراني، ومن القياديين المحكوم عليهم بالمؤبد سابقاً إلى سنوات أحمد الطيب ومحمد معيوف، ولم تصدر الأحكام، ولكن ظهر هذا التصنيف من جديد.

كان قد أفرج عن جماعة من الرابطة محكوم عليهم بالبراءة قبل فترة من هذه المحاكمات، فيهم الأستاذ إمحمد سعيد الصكاح، وقد ذكر لي أنه ليس له علاقة بالقضية، وكان سبب اعتقاله أن سالم مادي أراد أن يعطيه منشوراً فامتنع الصكاح عن ذلك، فذكر ذلك في التحقيق، وربما عوقب بعدم التبليغ طيلة هذه المدة[1].

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.







أما التصنيف الجديد، فكان ثلاث مجموعات[١]:

- مجموعة القياديين، وهم: علي بن طالب، وسالم مادي، وعمرو الشماخي، والشارف الهمالي، وساسي خليفة، وأحمد محرز، وسالم زمبيل، وإمحمد الحمراني، ويوسف حفيانة، وموسى شاغوش، وعلي ميلود حماد، وقد جيء بهم إلى الحجرة العاشرة في قسمنا مجاورين لحجرتي الإعدام، وقد فُهم أن حكمهم الإعدام، غير أن ذلك لم يكن رسمياً..

- مجموعة أخرى جيء بهم إلى الحجرة رقم ١٤ من القسم الأول، وقد أذن لهم أن يخرجوا إلى ساحتنا، وهم: ميلود مادي، وبلقاسم غبّار، وأحمد الطيب، ومحمد معيوف، وعيسى أبو دية، والطاهر أبو دية، وميلود أبو ساق، وعبد الله أبو دية، وسليمان العزابي، وعبد الله الشماخي.

وقد فُهم أن حكم هؤلاء سنوات ولكنهم لم يبلغوا رسمياً، وأما باقيهم فقد بقي في قسم البراءة، وقد أفرج عن جماعة الرابطة كلهم في مارس ١٩٨٨م[٢].

ويضيف الأستاذ صالح القصبي بالقول: كان احتكاكي بجماعة الرابطة كثيراً جداً، سواء المجموعة التي عرفتها في سجن باب بن غشير أو المجموعة التي عرفتها أخيراً في سجن أبي سليم. وقد جرت رسائل بيني وبين من لم ألتق بهم في السجن وجهاً لوجه.. جرت رسائل بيني وبين يوسف حفيانة، وإمحمد الحمراني، وكنت قد درست السادسة الابتدائية والأولى والثانية الإعداديتين في مدرسة الرحيبات مع إمحمد الحمراني كما كانت تربطنا علاقة أسرية ما في قريتي تمزدة.. وكان يوسف حفيانة يجاهر بفكره الأمازيغي القومي أمام الجميع..

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٥.

(٢) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٥٤ - ٣٥٥.







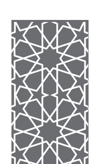
كان يظهر حماسته لأصله الأمازيغي، ويعلن ولاءه لأجداده القدامى مثل شيشنق والكاهنة داهيا وكسيلة، ويعلن عداءه للمسلمين الفاتحين، وللغة العربية، وما ترتب عنها من عقيدة ودولة في المنطقة كلها.. كان يدعو جهاراً إلى دولة أمازيغية، وحروفها، وأبجديتها، ومجدها القديم، وذكر لي في رسائله أنه يكره الحرف العربي واللغة العربية(١).

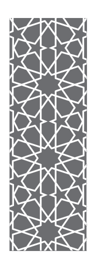
وكم من نقاش وحوار هادئ وساخن جرى بيني وبين علي بن طالب، وسالم مادي، وأحمد محرز، وعلي حمّاد، والشارف الهمالي، وساسي خليفة، وعيسى أبو دية، وبلقاسم غبار، وميلود مادي!!

ناقشت عمرو الشماخي، وعبد الله الشماخي، والطاهر أبو دية، وميلود أبو ساق، وسليمان العزابي، وكان نقاشاً صريحاً، فهم كانوا كلهم يُكنُّون لي الود والاحترام ويثقون بي رغم تهجمي عليهم، ومخالفتي لأفكارهم وميولهم.. كنت أذكر لهم بإخلاص أني أريد إنقاذهم من هذه الدعوة الجاهلية الممقوتة، وإنقاذ الأمة الإسلامية من هذه الأفكار الخبيثة التي يبثها الكافر المستعمر في عملاء له من أبنائنا المسلمين، إذ يجد فيهم مطية لأدرانه وأمراضه التي ينشرها في الأمة الإسلامية.

وقد وجدت من أخي الأستاذ عمرو الشماخي أذناً صاغيةً وقلباً مفتوحاً للأفكار الإسلامية النظيفة التي تلقفها تلقفاً، ونبذ ما عداها من ثقافات فاسدة وأفكار مريضة تحول بعدها إلى داعية إلى الله وجندي من جنود الحركة الإسلامية والدعوة الإسلامية، حيث لقي فيها الأذى والاضطهاد من رفاقه الأولين،

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٥٥.







وقد كتب مذكرة طويلة شرح فيها رأيه وفكره بعد أن هداه الله إليه، ووزعها على جماعة الإعدام في الحجرتين، ووصلت إلينا أيضاً[١].

ويذكر الأستاذ الفاضل صالح القصبي، في حديثة عن قضية الرابطة الأمازيغية، بأنها قضية خطيرة، وقد أُقحم فيها الشيخ علي يحيى معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقد حاول عمرو الشماخي كل جهده أن يصحح الموقف ويبرئ ذمته، فينفي عن الشيخ علي يحيى معمر هذه الصلة بينه وبين الرابطة.

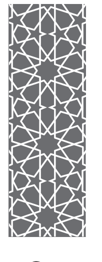
وسبب هذه الشبهة -حسب ما ذُكر- أنهم في أول الاعتقال وبينما هم في الزنازين طُلب علي بن طالب، وكان المسؤول عن تنظيم الرابطة، وإذا بزائر يزوره وينصحه بأن القضية خطيرة، ولا بد أن يبتعد عن رئاسة التنظيم، فما كان من علي بن طالب -كما حكى الأخ الشماخي- إلا أن نسب هذا الأمر إلى الشيخ علي يحيى معمر، وهو متوفى، فينطلي الأمر على المحققين، ومن ناحية أخرى يضرب بالحجر عصفوراً آخر، وهو استقطاب وتعاطف الموالين للشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذه الفكرة والدعوة، خصوصاً أن ديدن علي بن طالب قبل اعتقاله إظهار أن كل الناس معهم، وكان يعدد لهم شخصيات مشهورة في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب، وفي هذه الفترة من سجننا في أبي سليم كانت الحُجُرات مغلقة، ولا نخرج إلى الساحة إلا ثلاث ساعات يومياً، فيما عدا العطل والأعياد..[٢].

وقد كان الشيخ علي يحيى معمر متفانياً في ميدان التعليم والدعوة والتأليف، ولاقى في سبيل ذلك المتاعب والمضايقات حيث اعتقل في ١٩٧٣م، ليمضي قرابة العام في المعتقل متعرضاً خلالها لكل أنواع التعذيب والهوان، وقد هدّم منزله والمسجد الذي كان يخطب فيه "الفتح" في طرابلس، وهو المسجد

(١) المرجع السابق، ص ٣٥٦.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٦١.





الذي دعا الشيخ لترميمه وساهم في التدريس فيه، ولا يزال هذا المسجد عامراً حتى وقتنا هذا، والشيخ علي يحيى معمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كبار علماء المذهب الإباضي، والداعين لوحدة الأمة الإسلامية وإعادة مجدها وشهودها الحضاري، وله جهود في هذا المجال لا ينكرها إلا جاهل أو متحامل.

الدكتور عمرو خليفة النامي (١٩٣٩-١٩٨٥م)

ولد في بلدة نالوت (جنوب غربي طرابلس – ليبيا)، وتوفي في طرابلس، كان معروفاً بدماثة خلقه، وبعد نظره، وعمق فكره، وكان أستاذاً جامعياً ينتمي للأمة الإسلامية في حضارتها وتاريخها ودينها وعقيدتها، كان على نمط الأمازيغ العظماء الذين يفتخر الإسلام بهم وعلى نهجهم في الولاء والإخلاص لدين الله، وفي عام ١٩٧٣ اعتقل بتهمة الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين، وظل معتقلاً عامين.

ترجمة تفصيلية عن عمرو خليفة النامي

اعتمدنا على ترجمة وافية للأستاذ عمرو خليفة النامي ذكرها أحد أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة والأمين العام المساعد لرابطة العالم الإسلامي المستشار السعودي الدكتور عبد الله بن عقيل بن سليمان العقيل...[1].

ولد في مدينة (نالوت) في ليبيا، ونشأ في أسرة محافظة تحرص على العلم، وتتمسك بأهداب الدين، وتعمل على تنشئة أبنائها على قيم الإسلام، والالتزام بتعاليمه، وقد تتلمذ عمرو النامي على مشايخ كثيرين من أهمهم الشيخ علي

(١) المستشار عبد الله بن عقيل، **عمرو خليفة النامي أستاذ الجامعة وراعي الغنم!** (١٩٤٠-١٩٨٦م)، موقع ويكبيديا، شوهد بتاريخ ١/٢/٢٠٢٣م، انظر الرابط: https://2u.pw/09FWfT





يحيى معمر من فقهاء الإباضيـة الكبـار في ليبيا، ثم بعد إكمـال مراحله الدراسية، التحق بالجامعة الليبية في بنغـازي، حيـث كان أستـاذه الدكتور محمد محمد حسين الذي اهتمَّ برعايته وتوجيهه حتى تخرج فيها سنة ١٩٦٢م، ثـم ذهب إلى مصر للدراسات العليا، ولكـن النظـام الناصري العسكري الديكتاتـوري شـنَّ حرباً ضروساً على الإسـلام وعلى العاملين للإسلام، وخاصـة الإخوان المسلمين، وجرت الاعتقالات للآلاف منهم، مما جعله يصـرف النظر عن الدراسة في مصر، ويغادرها إلى ليبيا، ليوفد بعـدها إلى بريطانيا للدراسة بجامعة كامبردج، وتخرج فيها سنة ١٩٧١م بتفوق وامتياز.

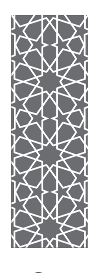
والأستاذ عمرو النامي من شباب الإخوان المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في وقت مبكر من شبابه، فقد اتصل بهم، وارتبط معهم، وظلَّ على وفائه والتزامه، ولم تزده السجون المتتابعة إلا تمسكاً وثباتاً على الحق الذي يؤمن به، ويجاهد في سبيل تحقيقه، وهو إعلاء كلمة الله في الأرض، وسيادة شريعة الإسلام، ورفع راية القرآن، وتوحيد الأمة الإسلامية على منهج الكتاب والسنة، والتصدي لأعداء الملة والدين.



أساتذته وزملاؤه

من أهم الأساتذة الذين تلقى على أيديهم العلم والفكر والدعوة: العالم الليبي الكبير الداعية الشيخ علي يحيى معمر، والعالم المصري الأديب الكبير الداعية الدكتور محمد محمد حسين، فكلا الرجلين كان له تأثير على ثقافته وشخصيته وتوجهاته الإسلامية، وكانا معجبين بذكاء تلميذهما وصدقه وإخلاصه وصفاء قلبه وغيرته على حرمات الدين والأمة والوطن، وجِدّه واجتهاده في تلقي العلم منهما بكل إقبال واستيعاب.







فقد كان لَمّاحاً، صافي الذهن، سريع الحفظ، نهماً في القراءة، مقبلاً على العلوم بكل طاقته، يستغرق الساعات الطوال في البحث والدراسة، دونما تعب أو ملل، وهذا شأنه في الليل والنهار، في الحضر والسفر، في السجن وقاعات الدرس، في البيت وفي المسجد، إنه آية من آيات الله في شباب هذا العصر الذي عرف طريقه إلى الله، وسار فيه دونما تردد.

أما آثاره فتنوعت بين تأليف وتحقيق وتقديم، ومع أنه ألفها في ظروف صعبة، فقد جاوزت العشرين، وكتب مقالات كثيرة نشرت في الصحف الليبية وغيرها، كما ترك مراسلات متعددة، وقصائد وأشعاراً لو جمعت لكوَّنت ديواناً، ومن مؤلفاته المعروفة:

- ظاهرة النفاق في إطار الموازين الإسلامية.
- من هم الإباضية؟
- الحضارة الغربية وموقفها من الإسلام والعالم الإسلامي.
- رمز أم غمز في القرآن؟ (رد على كتابات صادق النيهوم).
- كلمات للثورة.

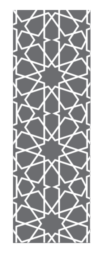
وبعد السجن والإبعاد قرر أن يترك العمل الجامعي، ويهجر التدريس، ويهجر المدن، ويزاول مهنة رعي الأغنام، حيث اشترى قطيعاً من الأغنام يرعاه خارج المدن، يقول:

كفي أبـاكِ لكي يعيش مكرماً ... عجفاء ثاغية وتيس أجرب

ونعيش في قنن الجبال تظلنا ... ويحيطنا بالحفظ قفر سبسب

جيراننا وحش الفلاة فلا يرى ... فيها سوى سبع يسيح وثعلب





وهناك لا نخشى سوى ذئب الغضا	يعدو على تلك الشياه فينهبُ
والوحش وحش لا يلام لبطشه	هو في طبيعته يغير ويغصب
فلقد نعيش هناك عيشة هانئ	ولقد يسالمنا الشجاع المرعب

ويتحدث المستشار السعودي عبد الله بن عقيل عن معرفته بالدكتور عمرو النامي قائلاً[(١)]:

عرفت الأخ الداعية الدكتور عمرو خليفة النامي من خلال زملائه بجامعة كامبردج حين زرتهم ببريطانيا، وهم الإخوة الدكاترة: أحمد محمد العسال من مصر، وحسن عبد الحميد صالح من فلسطين، ومبارك سعود العبيدي من الكويت، وكلهم من دعاة الإخوان المسلمين ببريطانيا.

لقد حدثني هؤلاء الإخوة عن شخصية الأخ عمرو النامي وما يتميّز به من أخلاق عالية وحسن معاملة، ونبوغ علمي، وإتقان للغة الإنجليزية، وفقه دعوي ونشاط طلابي واجتماعي، وقدرة حوارية مع الآخرين، وتمسّك بالدين، وصلابة في المواقف، مما حبّبني به، ورغّبني في الاجتماع به، وكان ما تمنيّت، فقد سعدتُ به بالكويت وزارني في بيتي، ووجدت فيه من الصفات أكثر مما سمعتُ، وبخاصة التزامه بالإسلام، وضرورة العمل الجماعي، وارتباطه الحركي بجماعة الإخوان المسلمين باعتبارها الصورة الصادقة عن الإسلام في هذا العصر، والتي أثبتت جدارتها وكفاءتها وصلابة مواقفها في مواجهة الطغاة وتحدي الباطل، واستعصاءَها على الذوبان وعدم خضوعها لمطالب السلطات، رغم التضحيات الجسام التي قدمتها من رجالها وقادتها في ميادين المعارك في فلسطين، وقناة السويس، وسجون الطغاة، وعلى أعواد المشانق، فلم تلن قناتها،

---

(١) المستشار عبد الله بن عقيل، **عمرو خليفة النامي**، رابط: https://2u.pw/09FWf T







ولم يهتزّ اقتناعها، بل صبرت وصابرت، وثبتت على مواقفها، واستمرت في عطائها وتتابعت الأجيال في مسيرتها، كلٌّ يسلم الراية إلى من بعده مرفوعة شامخة واضحة بيِّنة لا لبس فيها ولا غموض، لأنها مستمدة من مشكاة الكتاب والسنَّة، وما أجمع عليه سلف الأمة. ولأنها صدى لدعوة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وامتداد لقافلة الدعاة إلى الله من عصر الرسالة وإلى يومنا هذا، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهذا ما كان يبحث عنه الدكتور عمرو النامي حين ذهب إلى مصر عام ١٩٦٢م بعد تخرجه في الجامعة الليبية التي استفاد فيها من أستاذه الدكتور محمد محمد حسين.

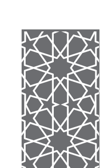
وعندما توجه إلى بريطانيا لنيل شهادة الدكتوراه، وجد ضالته في الإخوان المسلمين الدارسين في كامبردج فسار وإياهم في طريق الدعوة إلى الله، والعمل لخدمة الإسلام والمسلمين، واستئناف الحياة الإسلامية، وجمع الناس على كلمة التوحيد، وتربيتهم على مبادئ الإسلام.

والحق يقال إن الأخ عمرو النامي صورة صادقة عن المسلم العامل، والداعية المجاهد الذي لا يكل ولا يمل من العمل الدؤوب في الدعوة الفردية، والمحاضرات والندوات والحوارات، وتقديم الصورة المشرقة المضيئة عن الإسلام، وعن الدعاة العاملين في هذا العصر[١].

ومما زاد من تأثيره وإعجاب الآخرين به، هذا الشعور الفيّاض، والعاطفة الصادقة، والبيان السهل، والمنطق العذب الذي يظهر في كلماته وحواراته ومحاضراته وأشعاره، فقد كان يأسر القلوب بأسلوبه وعاطفته وصدق كلماته وصراحته وقوة بيانه.

---

(١) المرجع السابق.







وتلك هي الصفات التي وجدتها فيه وشدتني إليه، رغم تواضعه الجمّ، واعتبار نفسه من التلامذة في ركب كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة رغم المواصفات القيادية التي تؤهله للصدارة في أكثر من ميدان.

من أقواله: «إن مهمة الجيش في الثورة هي مهمة استثنائية محدودة، يعقبها تسليم السلطة إلى الشعب، وهو الذي يختار أسلوب حياته السياسي والاجتماعي في الفترة القادمة، وإن الاتجاهات القائمة في البلاد كالقوميين العرب، والبعثيين، والناصريين، والشيوعيين، والإسلاميين، هي تجمعات غالب الظن أنها لن تتخلى عن اتجاهاتها القائمة، بل ستستمر في ارتباطاتها بهذه الاتجاهات والدعوة إليها، ونحن نعتقد أن لها جميعاً حقاً كاملاً في اعتناق أفكارها، وعرضها في نطاق الأخلاق العامة للشعب، بعيداً عن التراشق بالتهم، والكذب والإرجاف، ويجب أن تتاح الفرصة الكاملة لهذه التجمعات للتعبير عن أفكارها، وعرضها بكل الصور المشروعة التي تختارها».

ترك الدكتور عمرو النامي أثراً طيباً في الأوساط الإسلامية، وقدم خدمات جليلة للحركة الإسلامية، لا سيما في الميدان الطلابي والشبابي الإسلامي، وكانت له مشاركة في إحياء ودعم بعض المؤسسات الاجتماعية الخيرية، كما كان عضواً فعالاً في جماعة الإخوان المسلمين، وعضواً مؤسساً ونشيطاً في دار الدعوة بليبيا.

وقد قضى خمسة عشر عاماً بعد تخرجه إما مضطهداً ملاحقاً في بلاده من مراكز الشرطة إلى غرفات التحقيق ومنها إلى زنازين السجون والمعتقلات، أو منفياً مغرَّباً عن أهله ووطنه رغماً عنه.





وكتب عنه أيمن العتوم في كتابه "طريق جهنم" من رواية علي العكرمي، قائلاً: "كانت السجون تتناهبه، كأنَّ كلَّ سجن كان يريد أن يحظى بحصته منه، وكان الضباط والمحققون يرجون لقاءه، ليروا كيف لشاب مثله أن يكون له كل هذا التأثير، حتى عُدَّ من أعلام ليبيا؛ خمسة سجون فتحت له ذراعيها، قبل أن تأخذه الدروب المتشعبة فيعتلي صهوة (الحصان الأسود)، ذلكم هو الدكتور عمرو النامي.

كان شجاعاً عاشقاً للحرية، يريدها لوطنه كما يريده لأمته ولنفسه، حين كنت أجلس معه في الليالي أحادثه كنت أجد نفسي أمام رجل فكر وثقافة، واسع الاطلاع، لبق الحديث، دافئ العبارة.

وكان في السجن يتمتع باحترام الأطياف كافة، وكان كثيراً ما يجادل البعثيين والقوميين، ولكنه يعانقهم في آخر حواراته معهم، ليرسم في قلوبهم سؤالاً عن قبوله بالآخر، والبحث عن المشتركات التي تجمع ولا تفرق. وكان إلى ذلك عنيداً في مواقفه مع النظام، شديد الوضوح فيما يريد ويقبل، صلباً، على استعداد لتقبل كل المخاطر والمشاق. وشاعراً مجيداً، موسيقاه صادحة، وعبارته رصينة. وكنا في السجن نحفظ عن ظهر قلب قصيدته التي يقول في مطلعها:

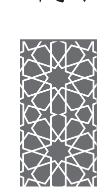
لا تجزعي لفتى إن مات محتسبا — فالموت في الله أسمى ماتمناه

أماه لن أرضى الخنوع — وقد عرفت نور الهدى ...

أماه لو فرشوا لي الدنيا حريراً عسجداً — أماه لا ذهباً سيغنيني ولن أترددا

أماه دربي كل حر سوف يسلكه غدا — والسابقون لهم من الرحمن وعد أكدا

أماه هيا زغردي هذا البلاد مدى — أماه صوت من بعيد بات يُسمع كالصدى







أماه إن الفجر أشرق والظلام تمددا   أماه إن بيارق الإسلام يعلوها الهدى

أمــاه هــذا داعينا ألا فلنشهدا   الله أكبر مال كيد الكفر وتمددا

خــفــق الـــلـــواء لـــواءنـــا   وترددت في الكون يا أماه أصداه

كان دائم الحركة، ولم يقل كلمة واحدة طوال مكوثه معنا تدل على يأس أو قنوط، أو حتى تحمل تأففاً أو عبوساً، كان دائم الرضا، واستطاع هو والحاج صالح أن يكونا جداراً لكثير من السجناء وقاهم من السقوط، ولم يكن أكبرنا سناً، لكننا كنا نرى فيه هيبة العالم والمفكر.

أكلت من جسده السياط في السجون كلها، فما حدثني مرة عن عذاباته إلا إذا أراد أن يصبرنا، يقول: انظر إليّ، وضعوا أسلاك الكهرباء في كل بوصة في جسدي، وها أنا أمامك أحيا بألف نعمة، ثم يردف: "لم ندخل السجن باختيارنا، لقد اختاره الله لنا، ومن الأدب مع الله أن نراها نعمة، فالله لا يختار لنا إلا الخير"، ثم يبتسم فيظهر صفّا أسنانه اللؤلؤية وينتفح خداه الموردان، فيزيل من قلب محدثه كل ضيق أو ألم، ويمحو كل يأس أو أسى[1].

ولقد كانت أشعار عمرو النامي تلهب حماسنا، وتقتل اليأس، تحرض على الأمل، وتملأ فراغ القلب، كأن القلب يحتاج إلى كلماته، من وراء باب زنزانته كُنّا نسمعه يغني، وكان يُهرب لنا قصائده من تحت الشقوق، أو نردد وراءه لنحفظ ما يقول.

وكنا نطل خلف الجدار الكئيب لنلمح معه تباشير الفجر، وسيرحل العندليب مبكراً، وستفتقد صوته في الغناء، وهكذا كان قدر البلابل، إن غناءها الرقيق

---

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ١٢٥ – ١٢٧.





يغضب قلوب الطغاة القاسية، وإن حريتها تنقم منها عبودية العبيد، فلم يطل معنا المكوث.

وكنا إذا جاء العيد، وتذكرنا الأحباب، شرقنا بالدمع، فلا حبيب يؤنس ولا قريب تتقاسم معه الهموم، ولا زوجة ولا ابناً ولا ابنة، كنا وحدنا مع الليل والجدار، فإذا سمعنا تكبيرات العيد قادمة من الزنازين، متحدية الحواجز والسدود، تذكرنا بصغارنا الذين لم ينبت ريشهم بعد، ولم تقو أجنحتهم على الطيران، فنسمع من إحدى الزنازين الدكتور عمرو النامي، وهو ينشد ويبكي ونبكي معه[1].

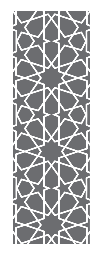
أبعد العقيد القذافي الدكتور عمرو النامي إلى أمريكا ليدرس هناك، وبعد بضعة أشهر جاء مسلم أمريكي والتقى بالقذافي في أحد اللقاءات وقال له: تهدرون طاقاتكم فتصدرونها إلينا، وتتركون شخصية مثل الدكتور عمرو النامي يستفيد منه الأمريكان، ولا تستفيدون أنتم منه؟ فأصيبت خلايا دماغ القذافي بكهرباء حارقة، وناداه على الفور من أمريكا، ونفاه من جديد إلى اليابان، ليدرس في الجامعات اليابانية، فلا أحد من هناك سيأتي ليقول له مثل عبارة الأمريكي.

وبعد سنوات كبر أولاده ونزع فيه عرق الحنين للوطن، وحفرت الغربة في روحه نفقاً مظلماً، فبعث عبر وزير خارجية ليبيا ورئيس وزراء اليابان برسالة للقذافي، يبين له أنه قد كبر ليعيده لوطنه، وبعد عودته بدأت معاناته مع المخابرات، وكان مطلوباً منه أن يتقدم بكل حرف قبل أن ينطق به إلى رئيس جمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا، فرفض الدكتور عمرو النامي وانقطع عن التدريس.

---

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ١٥٠ – ١٥١.





وفي يوم من الأيام وجهت له دعوة من القذافي للعشاء معه، فرفضها، وكان قد بدأ يسير في طريق خروجه من هذه الدنيا بالفعل، وكان يبدو أنه يسير في طريق اللاعودة، فلا أحد يستطيع أن يقول لا في الزمن الذي بلغت سلطة القذافي فيه مداها، وقال له بالفعل: لا، دون أن يفكر بتبعات ذلك، وابتعد عن جو طرابلس إلى الجو الريفي في نالوت في أقصى الجبل الغربي، ولكن القذافي لم يتركه يعيش وحده، فاعتُقل ووضع في زنازين الأمن العسكري ٤ شهور، وتعرض لمختلف صنوف التعذيب، فكانوا يضربون رأسه بجدران الزنزانة الإسمنتية الذي برزت من خلفه أسياج الحديد حتى يسيل الدم فيملأ وجهه، ثم إذا أصابته غيبوبة رشقوه بالماء حتى يصحو، فإذا مرت دقائق وصحا من بعدها انهالوا على رأسه بالهراوات الغليظة، وهو يترنح تحت أثر الضربات.

ولقد كانت مشكلتهم الكبرى مع هذا الرأس أنه لم يلن لهم كما لان سواه، وكان الجلاد الأكبر القذافي يقول له: لو أطعتني لفزت، وبعد الشهور الأربعة يحكي علي العكرمي بالقول: لقد عاد إلى الحصان الأسود، واستقبلته بكل ما في الدنيا من حب، واستقبله العنبر كله بكل وفاء[1].

وكان قد غاب عنا ما يقرب من ١٠ سنوات، وعاد كأنما عاد إلى منفاه، وكانت المنافي تملأ الوطن، وبعد ذلك نقل إلى زنزانة انفرادية، مع أنه لم يكن متهماً بتهمة ليلقى في زنزانة انفرادية، ولكن المرض جمع بيننا بعد ٦ أشهر من غيابه الحاضر، وكنت أعاني من مشكلات في المعدة، وكان النامي يعاني من قرحة، فأقلتنا سيارة واحدة إلى المستشفى، حين صعد ليجلس إلى جانبي بكيت، واحتضنته وانتحبت، وكان قد هرم كثيراً وخط الشيب لحيته،

(١) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٢٩٨ - ٣٠٠.






ولم يعد النامي الأول، لقد غيرتنا السجون كثيراً، وأكلت من كل شيء فينا، ولم تُبْقِ لنا إلا الحزنَ والموتَ، بكيت يومها على صدره كثيراً وظل صامتاً[(١)].

كانت عيناه زائغتين تنظران في البعيد، وفيهما دمعة مؤجلة تترقرق في المحجرين، وكانت لحيته السوداء الكثة قد حال لونها إلى البياض، وجذعها المستقيم الفارع قد انحنى، ويداه الغضتان القويتان قد ذبلتا.

وكانت السيارة تتهادى بنا في الطريق إلى المستشفى، وكان القيد يجمع يده اليمنى بيدي اليسرى، وكُنّا نجلس متجاورين، ألف كلمة وقفت على شفاهي قبل أن أنطق بها، ألف قبلة كانت لتجد طريقها رغم أنهم اغتالوا فينا كل شيء.

وناداني: أخي علي (علي العكرمي)، فقلت له: لبيك، فقال: أنا في الزنزانة وحدي! ولم أفهم ما يريد، ولكنني بكيت، وكنت أريد القول: لست في هذا وحدك، ليبيا كلها في الزنزانة وحدها، ولكنني مسحت دموعي التي انهمرت بصمت، وبقيت ساكتاً، ثم تابع: "ولا أعرف أوقات الصلاة، فهل لك أن تؤمن لي ساعة لأعرف متى تحين ساعتي!؟". نهضت من مكاني، فشُدَّ القيد الذي يجمع بيننا يده إلى يدي، وحللت الساعة التي كانت في معصمي وقدمتها له: هي لك، أنا معي آخرون يمكن أن يدركوا المواقيت، أنت وحدك. قال بحنو وهو يتناولها مني: لم أعد وحدي، صارت معي، ويتابع: لن أنسى لك هذا الصنيع ما حييت[(٢)].

وفي المستشفى عمل منظاراً للمعدة، وبقينا في المستشفى إلى المساء، وجاء الجلادون وأخرجونا بالزنزانة المتحركة إلى الحصان الأسود

(١) المرجع السابق، ص ٣٠٠.

(٢) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٣٠٠ - ٣٠١.









قبل استكمال العلاج، وبقي النامي في زنزانته يومين ينتظر علاجه ولم يأتوا به، فصرخ بالحراس منادياً: هل نحن حيوانات وأنتم بشر؟ فضربه الحارس بملعقة على رأسه.

وزاد الأستاذ عمرو حِدةً وبدأ بخلع ملابسه يصيح ويتحرك من مكان لآخر في الزنزانة، ويرفس الباب برجليه، وصار يتكلم بعبارات غير مفهومة، حجروا عليه في الانفرادي، ففاقم ذلك من وضعه الصحي السيئ، ولم يأتوه بالطبيب، ولم يجعلوه يتناول أدويته بشكل طبيعي، وتركوه مهملاً أسبوعاً، وبعد أسبوع نقلوه إلى مستشفى المجانين في منطقة قرقاش بطرابلس[(١)]!

وتحت ذريعة الجنون حصل على أوراق في المستشفى، وبدأ يكتب هناك ما لم يستطع أن يكتبه في الحصان الأسود، وراح يبعث لي برسائل تعد توثيقاً حقيقياً لتلك المرحلة، وكانت توصيفاً يمكن أن يكون مرجعاً مهماً لحالات المرضى النفسيين، فيما لو طبعت في كتاب، ولكنها أحرقت بالكامل في إحدى حملات التفتيش المسعورة التي نفذها عامر المسلاتي.

كان يتابع إرسال رسائله لي، وكانت آخر رسالة وصلتني منه في أواخر عام ١٩٨٤م، حين اختفى عمرو النامي تماماً، ولم يجد أحدٌ له أثراً البتة لا في السجون ولا في المستشفيات ولا المقابر ولا في أي مكان، ويبدو أنه لاقى تصفية جسدية في المعتقل، ووضع في ثلاجات الموتى[(٢)].

وكان الأديب والشاعر الفذ قد كتب أبياتاً شعرية لعلي العكرمي في رسالته له بعد رسالة طويلة، قال في أبياته:

---

(١) المرجع السابق، ص ٣٠١ – ٣٠٢.

(٢) أيمن العتوم، **طريق جهنم**، ص ٣٠٢ – ٣٠٤.





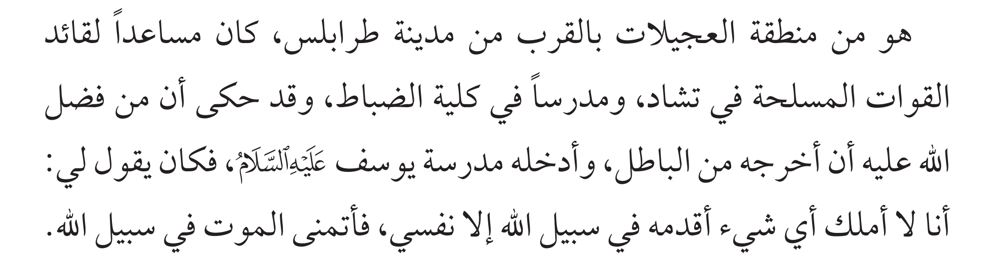
سيزهر روض الحياة العشيب ... ونسعد بالزهر فوق الكثيب

وينفرج السجن بعد انغلاق ... وينزاح ظل الضلال المريب

هناك خلف الجدار الكئيب ... تباشير فجر منير قريب

وأنفاس صبح وضيء السمات ... وأنسام روح رخي الهُبوب[١]

النقيب جمعة قُنص



هو من منطقة العجيلات بالقرب من مدينة طرابلس، كان مساعداً لقائد القوات المسلحة في تشاد، ومدرساً في كلية الضباط، وقد حكى أن من فضل الله عليه أن أخرجه من الباطل، وأدخله مدرسة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، فكان يقول لي: أنا لا أملك أي شيء أقدمه في سبيل الله إلا نفسي، فأتمنى الموت في سبيل الله.

وكان يخبرني عن الحرب الليبية-التشادية، وهو يصلي كان يدعو الله ويقول: أنشدك وأستعين بك أن تسلمني من أن أقتل مسلماً، ومن فضل الله عليه أنه لم يقتل مسلماً، وعندما وجد الأسرى فك أسرهم لوجه الله.

أخي القارئ هذه أخلاق أحد الضباط الذين رماهم القذافي في السجون بتهمة قتل إخوانهم الضباط في تشاد، فعندما رجع حاول القذافي أن يتخلص منه فأدخله السجن، وبقي وحده في الزنزانة ٦ سنوات، وقُدِّم للمحكمة، وحكم عليه بالإعدام، ولم يُنفَّذ الحكم حتى الآن، وما زال موجوداً في السجن، ولم يتجاوز الأربعين من عمره، وقد أكرمه الله برؤى كثيرة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقد تعرض لأساليب كثيرة من التعذيب، ومن ذلك أن العقيد خالد خيري أطلق عليه الكلاب، إلا أن الله جعل الكلاب تجلس أمامه ولا تؤذيه، فاستشاط

(١) المرجع السابق، ص٣٠٤، وفي: ص ٤٠٤.





العقيد غضباً، والعقيد خالد هو من أعوان العقيد القذافي، مقرب له؛ لأن القذافي تزوج أخته ثم طلقها، وكان هذا الرجل معروفاً بقلة الأخلاق، وكان ظالماً جائراً في سلوكه وتصرفاته مع السجناء.

أكرم الله الأخ جمعة قنص أن أصبح في حجرة الشيخ الحراثي، واستفاد منه، وكان هؤلاء الإخوة؛ جمعة قنص وسعد نصر وبلقاسم عويدات، يقولون للشيخ محمد: نحن متكاملون؛ فأنت صاحب العلم والدعوة ونحن أصحاب القوة؛ ولذلك يجب أن نكون يداً واحدة، وقد كانوا جميعاً من حفظة القرآن الكريم، وكانوا يذكرونني بقول رسول الله ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام».

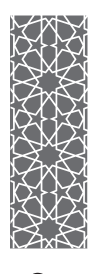
وأذكر أن النقيب جمعة قنص دخل معه السجن أخوه وابن اخته وبعض أقاربه مدة ثم خرجوا.

سعد نصر المقرحي

كان رئيساً للفرقة الانتحارية في الجيش الليبي سابقاً، وأرسله القذافي لحرب أوغندة، وسلمه الله هناك بأعجوبة، وعاد إلى ليبيا، كان مقرباً للقذافي جداً، وكلفه بأعمال خارج ليبيا لكنه وقع في قبضة السلطة الإيطالية، إلا أن القذافي سعى إلى تخليصه بدفع الأموال للإيطاليين، وعند عودته من أوغندة ذهب إلى العمرة في السعودية، وحكى لي أنه سأل الله في الحرم المكي أن يهديه سواء السبيل، ورجع إلى ليبيا، وبعدها شرع بتنظيم الإطاحة بنظام القذافي، فقبضوا عليه وبقي ست سنوات رهن التوقيف.

ويحكي لي سعد نصر أنه ما فهم القرآن إلا من مدرسة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكم كان سعيداً بأن الله أدخله السجن وأخرجه من الحيرة والقلق إلى نور







الطاعة والاستقامة، وقال: في حياتي ما بذلت قطرة دماء في سبيل الله، وأتمنى الآن أن أعيش لله وفي سبيل الله.

وقد سأله القاضي: من أنت حتى تظن في نفسك ما تظن؟ فقال له: أنا عبد الله أمشي على أرض الله، فسكت القاضي، ولم يخف من التحقيقات بل إن هدوء المعتقلين في المحاكمات ولَّدَ حالة ضعف عند المحققين.

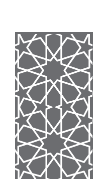
وقد حكم عليه بالإعدام إلا أنه بعد خروجنا من السجن سمعت أن أحد زعماء القبائل من المقارحة زار القذافي وكان سبباً في خروجه من السجن، ولم تكن هذه القضية إسلامية بل كانت عسكرية إلا أن الله أراد بابنها خيراً.

بلقاسم العويدات

هو رجل على فطرته، بدوي من مزدة، وأبوه شيخ كبير من المقربين من جهاز الاستخبارات، ذهب إلى تشاد وصور أحوال الجيش الليبي، وأخذ صوراً لجثث الجنود الليبيين والذئاب الجائعة تأكلها، وصور الكثير من الواقع حول حرب تشاد، فقد كان من المقربين النوادر الذين يدخلون على القذافي بسلاحه، ويُحكى أنه قال: إن الإخوان المسلمين من ألد أعداء الإسلام، وإن القذافي كان من المسلمين الصادقين.

دخل السجن في قضية سعد نصر، وعذبوه عذاباً شديداً هو وابن عمه، وقد قُطِع جزءٌ من رجل ابن عمه أثناء التعذيب بالكرابيج.

ترك بلقاسم ثمانية من الأولاد خلفه، واهتمَّ بدينه، وحفظ القرآن، وكان مما قاله لي: عندما أكون مع أحد الشيوعيين ويتحدث لي عن إنجاز فلان وعلان فإن كلامه يدخل من الأذن اليمنى ويخرج من اليسرى، لكن عندما تحدثني





أنت عن أحد أصحاب رسول الله فكنت أبكي ولا أمتلك دموع عيني، ومما قاله: ما وجدنا في الخارج قيادات إسلامية نستفيد منها في الجانب العسكري في طاعة الله.

حكم عليه بالإعدام، وهو في السجن الآن، وبقي دون تحقيق أو محاكمة ١٤ سنة في السجن؛ وذلك لأنه رفض أن يشهد شهادة زور على الضباط.

المقدم حسين الصديق

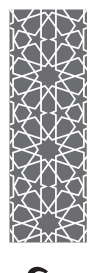


درس في كلية الطلاب العسكرية في مصر، وحضر أحداث الإخوان المسلمين هناك، وكان المستشار في مجلس قيادة الثورة من بدايتها، وقد أرسله القذافي سفيراً لباكستان، ولكن الرجل كان ذا شخصية مستقلة، فأراد القذافي أن يتخلص منه، فطلب منه أن يشهد شهادة زور ضد الضباط، فامتنع عن الشهادة، فألقاه القذافي في السجن من عام ١٩٧٤م إلى عام ١٩٨٨م دون محاكمة أو تحقيق، ورضي أن يبقى في السجن عوضاً عن أن يشهد شهادة زور في حق الضباط المظلومين الذين أراد القذافي التخلص منهم.

وقد ربطتني به علاقة أخوة طيبة داخل المعتقل، وكنا دائمَي المزاح في كل لقاء، وكان صاحب نكتة وظرافة، وسيرته حسنة أمام الجميع.

هذه الشخصية في ظاهرها الحزم العسكري وفي باطنها الحب للناس والتواضع، وقد أعطاني رسالة لابنه وبنات أخواته من داخل السجن، وتعبر عن ثروة أدبية وقيم إنسانية ومشاعر فياضة، وعندما خرج وأراد الحصول على الحقوق المدنية الخاصة به عرقلوا ذلك، فقال لهم: أنا المخطئ بأنني جئتكم، وكان دائماً ما يتفاءل وهو داخل السجن بأننا سنلتقي يوماً ما خارج السجن،







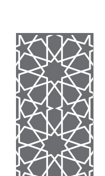

ولا بدَّ من نهاية لهذه المتاعب إن شاء الله، وبالفعل التقيت به خارج السجن وكان اللقاء غريباً، وكان مما حدثني به أنه رفض الموافقة على زواج أخته من القذافي، فأسرها العقيد في نفسه، وانتقم منه، وقد انتقل من الدار الفانية إلى الدار الباقية، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

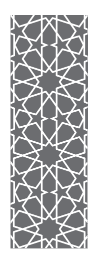
حادثة محزنة في سياسة المسلمين

كان في السجن الليبي سجين إيطالي، وقد طلبت الكنيسة إطلاق سراحه من القذافي، بعد أن زاره في ليبيا أحد الشخصيات الإيطالية المعروفة، واستقبله القذافي استقبالاً يريد أن يكسب منه شهرة عالمية، لكن القذافي قال له: إن هذا الأمر قراره للشعب، ثم إن القذافي قال للجان الثورية: إن ملك المغرب توسط لأجل السجين وكذلك القسيسون طالبوا بإطلاق سراحه، وعقدت المؤتمرات الشعبية، وكلها كانت مسرحية أمام الشعب.

وبعد مدة أُطلق الرجل المسيحي الإيطالي من السجون الليبية، أما نحن أبناء المسلمين المكبلين، المغلوب على أمرنا، فلا يتوسط لأجلنا أحد ولا أحد يتكلم عنا، لا في الداخل ولا في الخارج، فكان لهذه الحادثة أثر كبير في نفوس السجناء.

ملاحظة مهمة: إن الاستخبارات العسكرية جهاز قوي متغلغل داخل الشعب، كما أن الاستخبارات الأجنبية تتعامل مع النظام في كشف المخططات ضد ما كان يسمى "الثورة الليبية"، وقد حدث داخل السجن؛ إذ كان يُقبَض على البريطانيين والإيطاليين وغيرهم من الجنسيات، ثم يطلقون بالتبادل مع بعض اللجان الثورية الذين كانوا موقوفين في سجون الغرب.



شهادة رجل دخل السجون اليهودية

هو الضابط علي مسعود طرش، من حرس الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات، التقيت به في السجن، بعد أن قبض عليه نظام القذافي وسجنه في فترة الخلافات بين ياسر والقذافي، كان يحكي أنه دخل السجون الإسرائيلية، ويقول: والله العظيم سجون اليهود أهون من سجون القذافي.

ثم خرج من السجن ونظرته إلى الحركة الإسلامية قد تغيرت، وتغيرت حاله، وأذكر وقت خروجه من السجن وذلك قبل "أصبح الصبح" بقليل.

أخي القارئ يعلم الله أني حريصٌ على أن أنقل لك ما رأيته بأمانة، متذكراً قوله تعالى: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾[يوسف: ٨١].



مالك العاقب السوداني

التقيت به في السجن في حالة يرثى لها من التعب والنعاس؛ وذلك من شدة التعذيب التي تعرض لها في سجون القذافي، وكان يروي لنا أن الجلادين كانوا يطفئون السجائر في دبره، وكانوا في التعذيب يخلعون ملابسه ويتركونه كما ولدته أمه.

تهمة هذا الرجل أنه عمل مع اللجان الثورية، وأعطته الدولة أموالاً كثيرة لنشر الفكر الأخضر، وخطط مع القيادة الليبية لضرب الخرطوم بالطيران الليبي على علم الاستخبارات السودانية، ووضعوا أهدافاً وهمية في الخرطوم، وأحضر لهم أشرافاً من السودان، وهتفوا بشعارات الثورة، وضحك على أجهزة الأمن الليبية، لكن بعدها كشف أمره وألقي في السجن.





مصطفى بعيو المصراتي

هو الشخصية الإسلامية الوحيدة التي التقيت بها في السجن في قضية ١٩٧٦م قضية مظاهرات الطلبة، كان يدعم كل شيء إسلامي حتى تحقيقه، واقتنع بأن يعمل ضد القذافي مع الاتجاهات الأخرى عندما كان طالب حقوق في السنة الرابعة في جامعة بنغازي، حيث ألقى البيان الطلابي الذي حرك مظاهرات طلابية ضد ما يسمى "الثورة الليبية"، كما كانت له وقفات شخصية موجهة مباشرة ضد القذافي، وأسكته أمام الطلبة، فكان هو الوحيد في تلك الحركة الطلابية له ثقافة سياسية، وحس حركي ولن تجد له مثيلاً.

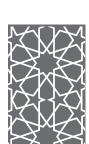
وكثيرون هم المناصرون لأهل الباطل داخل السجون، وعندما شرع السجناء في الإضراب عن الطعام اتهمت الاتجاهات الإسلامية بأنها ضد الإضراب، فقال لهم: نحن على استعداد أن نبدأ في العمل.

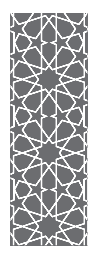
هذه الشخصية حقيقة ربما نستفيد منها في بناء الحركة الإسلامية، وفي فهم المواقف السياسية العالمية.

حُرِم مصطفى من والده، الذي كان من علماء مصراته، وأحد أهل الفتوى على مذهب الإمام مالك، ويحكي لي أنه قام بزيارات ميدانية للذين شاهدوا الجهاد ضد إيطاليا، إلا أنه دخل السجن، وحكم عليه خمس سنوات، وبقي في السجن ١٤ سنة، وكان همه حين يدخل الشباب المسلمون السجن أن يعطيهم محاضرات سياسية إسلامية، وخرج من السجن مع جماعة "أصبح الصبح".

الأخ منصف أحمد ناصيف التونسي

يحكي هذا الأخ أنه سمع الإذاعة الليبية فتأثر بالإعلام الليبي، وجاء إلى ليبيا؛ ولأنه من الملتزمين دينياً اتهم بانتمائه للإخوان المسلمين، ودخل معنا السجن،





وتعرفنا منه على أحوال الحركات الإسلامية في تونس، وعن شخصية الأستاذ راشد الغنوشي، وكيف كان ينتقل بين المدن والقرى وأحياناً ينام في المساجد، وعندما يتكلم يصبح الناس في المسجد وكأن على رؤوسهم الطير، وذلك من شدة إنصات المستمعين له، وقد أحببناه وأحبنا وتعلق بنا وتعلقنا به، وربطت ما بيننا أخوة في الله.



من أساليب تعذيب السجناء في سجون القذافي



من أساليب التعذيب المستخدمة ضد المعتقلين في سجون القذافي:

١. إدخال قطعة من الحديد في دبر أحد السجناء، وتكون القطعة مرتفعة الحرارة ويكاد يصل لونها إلى الاحمرار، فأفسدت أعضاءه وبقي فترة لا يستطيع التخلص من الفضلات.

٢. إطفاء السجائر في الدبر أيضاً، ثم يتركونه ملقى دون لباسه كما ولدته أمه.

٣. تشريب السجناء النجاسات لإذلالهم.

٤. استعمال الكهرباء والكرابيج والماء من الأمور المعتادة في السجون كلها.

٥. استخدام منفاخ الهواء أثناء التحقيق.

٦. استعمال الفرن الكهربائي حيث يجلس عليه السجين ويحرقون مؤخرته.

٧. وضع المعتقلين ضمن توابيت وإغلاقها عليهم، وبذلك لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً.

٨. انتزاع الأظافر والقطع اللحمية من أجسادهم، وافتعال الكسور بأطرافهم.



٩. إحضار نساء بعض المتهمين والتحقيق معهم بعد إعطائهم مهلة للاعتراف وتهديدهم.

١٠. استعمال الحبوب التي تجعل المتهم يفقد صوابه ويحكي كل شيء أثناء التعذيب.

١١. التعليق من الأرجل في حجرة التعذيب، وتركهم على هذا الوضع فيها ليلاً حتى الصباح.

١٢. وضع السجناء في غرفة مليئة بكشافات الضوء العالية، وتسليطها عليهم لمنعهم من النوم.

١٣. تسليط الكلاب على المتهمين بحيث تكون هذه الكلاب بالأصل مدربة على الاعتداء.

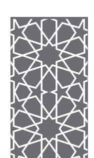
وبذلك يقع المتهم لا حول له ولا قوة، فإذا دخلت السجن تجد من فقد عقله أصلاً من شدة التعذيب، وقد فصَّل الأستاذ علي العكرمي في روايته طريق جهنم في أساليب ووسائل التعذيب التي استخدمها النظام.

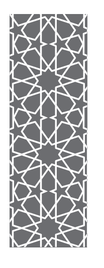
حوادث غريبة

دار حديث في السجن بين أخوين، قال الأول: غداً موعد الزيارات، فقال له الآخر: قل إن شاء الله، فقال الأول: إن قلت إن شاء الله أم لا فغداً الزيارات، فقال الآخر: إن الله قادر على منع الزيارات وأن يحرمنا منها، وبالفعل انقطعت الزيارات، وعانى الإخوة حتى خرجنا جميعاً من السجن، وبقي الحرمان هذا أربع سنوات تقريباً.

وفي حادثة غريبة أيضاً أذكر أن أحد الإخوة في السجن وأنا واقف إلى جانب سريره، كان يبكي ويقول: أبكي من الجوع يا الله.







ندوات التوجيه الثورية

قبل خروجنا بعدة أشهر، كان يأتي إلينا رجال اللجان الثورية، ويلقون علينا محاضرات لغسل المخ (تغيير أفكارنا)، ثم يناقشون السجناء في الفكر الأخضر، ويطلبون منهم الهتاف، ويسجلون لهم أشرطة يجبرونهم فيها على القول، أنهم اقتنعوا بالثورة، وأنهم قرروا عدم المعارضة، وبينما شرع بعضهم في التصفيق، فقد قررت عدم التصفيق أو النفاق أو الأخذ بالرخصة مهما كلف الأمر.

وجاء دوري، وكان المسؤول هو الرائد عامر من اللجان الثورية، وقد جعلني أستمع لخطاب من خطابات القذافي، وسألني عن رأيي في أفكاره، فكانت إجابتي بأنني لا أومن بالشعارات والهتافات وأنا في هذه الحالة مظلوم، حتى أخرج وأتحرر من ظلمي، وعندما أخرج وأصبح حراً يكون لي رأي.



وأذكر أن رجلاً من اللجان الثورية قال لنا: لو كنتم في روسيا مثلاً لكانوا رموكم في سيبيريا، ولكنكم في بلاد الحرية، والزيارات مسموحة من قبل أهاليكم، مع أن زيارة الأهالي انقطعت عن السجناء من أربع سنوات.

الغارة الأمريكية وأثرها في نفوس السجناء (16 إبريل ١٩٨٦م)

في الساعة الواحدة والنصف ليلاً من تاريخ ١٦ إبريل ١٩٨٦م، كنت نائماً وكان الأخ أحمد الجملي يقوم الليل، فإذا بي أستيقظ على دوي المدافع والطيران من بداية الغارة، ولكن لم نعرف شيئاً حتى فتحنا المذياع على صوت أمريكا، فوجدناهم يوجهون خطاباً للشعب الليبي، وهو أن يتحمل المسؤولية؛ لأنه لم يقف في وجه زعيمهم المجنون.

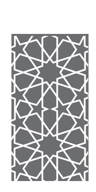






وحقيقة عندما عرفت أن قصف الطيران والمدافع على بلادي لم أستطع تمالك أعصابي، وصرت أبكي بكاء شديداً، وكان الإخوة يهدئونني، فمن أجل من نتحمل هذا القصف الأمريكي؟ من أجل القذافي! وكنت ما زلت ضد أي تدخل من أية دولة في بلاد المسلمين، وانقسمت آراء السجناء بين مناصر لدخول أمريكا لسحق نظام القذافي وإخراجه، وبين من يريد أن يقاتل أمريكا ولو تحت راية القذافي، المهم ألا تدخل دولة غريبة علينا، وبعدها يتم التفاهم بين القذافي وأبناء الشعب، أما أنا فكنت أرفض التدخل الأمريكي بكل أشكاله، وأعرف معرفة جيدة اللعبة التي تقوم بها الدول الكبرى لتجعل من القزم عملاقاً، وأعلم أن الأهداف الأمريكية في ليبيا تتمثل في الحصول على النفط، وحقول البترول، والغاز إلى الأبد، حيث إنها لم تضربها ولن تضربها أبداً في وجود نظام القذافي، وأنهم مستفيدون من هذا النظام، ولو أرادوا لأزاحوه بسهولة، ولكن حكمة الله بالغة أمرها في بقائه، والناس تختلف في تقييم هذه الأحداث والمواقف.

وجاؤوا بالفيديو، وجمعوا السجناء وعرضوه علينا ليعرفوا آراءنا في الغزو الأمريكي، وقالوا إن التسجيلات سترسل للقيادة العليا، فتكلم الرائد عامر عن الحملات الصليبية الشرسة على الأمة العربية، والتصدي لها، كما قال أبو عبيدة بن الجراح، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين، وجمال عبد الناصر، ومعمر القذافي، فوضع القذافي وعبد الناصر مع أصحاب رسول الله، فما ملكت نفسي، فقلت له: "أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد رضي الله عنهما أزاحوا الظلم عن العباد فنصرهما الله، أما أنتم فلن ينصركم الله حتى تزيلوا الظلم الذي نحن فيه"، وقلت له: "أريدك أن توصل كلامي هذا للقيادة"، وهنا كانت المفاجأة للرائد عامر والحاضرين كلهم، فألغوا الشريط، وعادوا وسجلوا ما يريدون، وشرع السجناء بالهتاف للثورة الليبية وحياة القذافي، وكان القليل منهم الذين امتنعوا،







وأنا كنت منهم، وهذا فضل من الله، وانقسم أيضاً السجناء إلى فئتين؛ فئة وجدت أن كلامي خاطئ وربما سيكون سبباً في عدم خروجي من السجن، وفئة أخرى مؤيدة ومناصرة لكلامي، حيث وقف أحد الشيوعيين وقال[1]:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام

وأثار هذا الحادث جدلاً وتهديداً، وكانت إجابتي ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾[غافر: ٤٤ – ٤٥].

وفاة محمد سعد

صاحب الأخلاق العالية الذي دخل السجن في قضية عمر عبد الله المحيشي عام ١٩٧٦م، وتوفي وكانت عليه آثار التعذيب البالغة، وبذلك تكون الدولة هي من تسببت بوفاته، وكان لذلك أثر كبير في السجناء، حيث كان رحيله موجعاً وترك فراغاً كبيراً؛ لأنه كان رجلاً طيباً يمزح مع الجميع، حتى وهو في قمة انزعاجه.

وقد طلب أحد الشيوعيين أن يكتب خطاباً إلى القذافي يحمله فيه مسؤولية وفاته، حيث كان جميع الشيوعيين معروفين بمحبتهم لتوثيق الأحداث والمواقف في الماضي والحاضر للاطلاع عليها في المستقبل.

وفي تلك الأيام اقترب فرج الله من السجناء، حيث رأى أحد الإخوة رؤيا مباركة من الله، وتلاها مباشرة خروج السجناء من السجون.

---

(١) قائل البيت هو: الشريف قتادة أبو عزيز، أمير مكة المكرمة عام ٥٩٧هـ، وتوفي عام ٦١٧هـ، وفي رواية ثانية: البيت لأبي فراس الحمداني.





وجُمِعْنا في صالة كبيرة، وتقدم شيخنا محمد الحراثي لصلاة المغرب، وصلى بنا، وقرأ أواخر سورة يوسف، وعمَّ البكاء، وفتحت العنابر على مصراعيها، والأنظار للغد.

ويحكي الأستاذ القصبي في مذكراته بالسجن عن الأشخاص الذين ماتوا في السجن آنذاك، فيقول:

في نوبة ضو، طرقوا الباب لإبلاغ الحرس بالوفاة، وجاء الطبيب، وعند صلاة المغرب كنا نرى من الكوة خروج الجثمان الطاهر في ملاءة بيضاء، وكان الأخ عثمان بن سريطي يرتل آيات من القرآن الكريم مجوداً كعادته كل ليلة في مثل هذا الوقت... إن القلب ليحزن والعين لتدمع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.. هكذا كانت موتته سهلة، فلاقى ربه في سريره، وقد أتم صلاته وأتم معقباتها في زنزانة الإعدام.

ولقد كان معه في الحجرة السابعة كل من: فتح الله العريبي، والصادق شلادي، وسيد علي عون، وعبد الغني خنفر، والمبروك الزول، وفريد أشرف، وعبد الونيس الحاسي، والهادي الرابطي، وجاد المولى القبائلي، وعطية المنصوري، ومحمد بريدان. وقد نقل الإخوة الشهداء فتح الله العريبي والصادق شلادي وسيد علي عون في يوم ١٦ مارس ١٩٨٦م مع الأخ الشهيد سالم الغالي، ورفيقيه الشهيدين الشارف الغولي وحسين هدية مع القسم الرابع، نُقلوا إلى ساحة التنفيذ، وقد نقل معهم الأستاذ محمد هلال من الغرفة المجاورة، وأفرج عن الباقي في مارس ١٩٨٨م[١].

---

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٢١ - ٣٢٢.





ويضيف: أعود إلى الأخ الشهيد عبد الله حمودة أرجو أن يكتب الله له الشهادة وقد مات موتة طبيعية في فراشه، لكنه في زنزانة الإعدام كان مجاهداً صابراً مرابطاً في سبيل الله.. كانت لي ذكريات عزيزة طيبة مع أخي الكريم منذ سنة ١٩٦٧م، وقد كان تلميذاً لأخي وأستاذي سالم أبو حجر، وكنت عندما أذكر مدينة بنغازي أذكر معها هذه الأسماء: عبد الله حمودة، وعبد الله المسلاتي، وصالح النوال، وسالم أبا حجر، ورفاقهم.. كنت لا أعرف الفنادق في بنغازي رغم سفري المتكرر إليها، فقد كانت بيوتهم لي مأوى ومأنساً، ولا أجد حرجاً وأنا أبيت وأنام مع هؤلاء الإخوة والأنس، كانت أخوة في الله وحباً في الله وحده، يا الله كم فقدنا من وجوه مشرقة ورجال أفذاذ كانوا لنا أحسن عون، وخير سند في الطريق إلى الله[1].

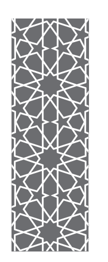




(١) المرجع السابق، ص ٣٢١ - ٣٢٢.







أنا حرٌّ طليق

هو فصل جديد من فصول حياتي، حين خرجت أمام الباب قبل الخروج النهائي، فالتقيت بوالدي وأخي الدكتور حسن محمد الصلّابي، الذي تركته صبياً في الصف الأول الثانوي، فوجدته شاباً ملتحياً قد تغيرت ملامحه وكان قد تخرج في كلية الهندسة، سبحان الله! أما والدي فيا لله! يا لها من فرحة حين يعود فيها الابن لحضن أبيه بعد غياب دام سنوات مليئة بالألم والحزن، يعود له معززاً مكرماً أمام الشعب، وإنها رحمة الله التي وسعت كل شيء.

وما أزال أذكر المشهد المهيب الذي التف فيه إخواني السجناء حول والدي، وكان والدي صاحب نكتة وطرافة، وأخذوا يمزحون معه، ويقولون له: نحن إخوانه من المرتبة الأولى، وأنتم من المرتبة الثانية؛ لأننا عشنا معه في حجرة واحدة أكثر مما عاش معكم.

وللأسف جاءت الأخبار المحزنة في وقت الفرح، فقد علمت أن عمي عز الدين دخل إلى السجن بعد رجوعه من الدراسة في بريطانيا، وأن بعض أهالي أصدقائي الذين كانوا في السجن قد توفوا، ومنهم والد كل من محمد السويسي، ومحسن القذافي، وغيرهم.

ورجعت من جديد لاستكمال بعض الإجراءات وانتظار مجيء القذافي، وخرج والدي مع أخي للانتظار والأسرة بأكملها تنتظر ابنها، وعدت إلى الإخوة داخل السجن وجلست بجانب محسن، وقال لي: ستلتقي بأبي أيضاً عند الخروج، ونجلس معه معاً، وما كان أشد تأثري بذلك، فهو لا يعلم بأنه قد توفي في غيابه، وكان محسن القذافي أصغر سجين في ليبيا، توفي والده قبل خروجه،







فما كان لي من بد أن أخبره، فقلت له: احتسب والدك لله واصبر، فاستجمع الشاب المسلم قواه، وكان ثابتاً صابراً.

كان خروجي من السجن مليئاً بالأحزان مثلما كان مليئاً بالأفراح، وفي مثل هذه اللحظات لا يثبت إلا القوم الصابرون، وكنت قد التقيت بشباب من قضايا متعددة، وجلسنا وتحاورنا، كان منهم المدرس والمهندس والطبيب، وجميعهم من شرائح المجتمع الليبي المثقف والمتعلم، ومن كل التيارات الفكرية والسياسية.

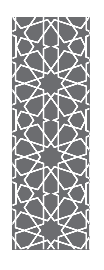
وجاء القذافي إلى السجن في تاريخ ٣/ ٣/ ١٩٨٨م، ودخلت الناس خلفه كالسيل الجارف، ووقف القذافي في وسط حراسه في أعلى البرج وتحته الجماهير والسجناء، وخطب خطابه المعروف، وكان هناك كم كبير من الصحفيين والمصورين الذين يريدون التسابق على إرسال الخبر وعرضه على التلفاز، أما نحن فكان الحراس الثوريون في وسطنا ويحيطون بنا من كل جانب.

وقد تحدث الأستاذ صالح القصبي عن خطبة القذافي قائلاً[1]:

في يوم الأربعاء من تاريخ ٢ مارس ١٩٨٨م، خطب القذافي في مؤتمر الشعب العام، وتحدث عن بعض الإصلاحات والحريات، وأشار إلى الإفراج، وفي يوم الخميس ٣ مارس جاء إلى سجن أبي سليم الذي تركناه، وهدم جانباً من الجدار الرئيس الذي يحيط بالمدخل، ثم خطب في السجناء وأهل السجناء، وأشار إلى التجاوزات التي وقعت من بعض الأجهزة، وعرفنا كثيراً من السجناء الذين حضروا الخطاب وسلموا على القذافي، كما رأينا موسى أحمد يعانق القذافي، ورأينا هذا كله بعد أيام حين أعيد إلينا التلفاز، أما يوم الخميس يوم

(١) صالح القصبي، **كأنك معي**، ص ٣٧٠ - ٣٧١.





الإفراجات العامة، فقد أفادنا كثيراً المذياع الذي أخفيناه معنا ولم نسلمه، مذياع الأخ عمر الناكوع، استمعنا إلى الصورة الصوتية للحفل دون الصورة.

ولقد فرحنا بالإفراج العام، وسُررنا بالإفراج عن إخواننا وأصدقائنا، وسألنا الله تعالى أن يكمل فيمُنَّ علينا بفضله الواسع، ويُتِمَّ الفرج عنا جميعاً، وقد توقعنا أن يُفرَج عنا أيضاً، أو على الأقل ألا تمضي أيام أو أشهر حتى لا يبقى أحد في هذا السجن إذا تمت الأمور على ما يرام، يعني إذا لم يجد جديد للنظام القائم، كأن يتحرك أحدٌ من الناس، أو يخشى النظام أحداً من الناس، سواء ممن أفرج عنهم أو ممن لم يذق طعم السجن.

وقد سمعنا من معمر القذافي في خطابه عنا أن مئة أو ما يقرب من ذلك لم يفرج عنهم بعد، وإنهم حُجزوا في مكان ما تحفظاً أو احتياطاً؛ لأن لهم صلة بجهات أجنبية، حسب زعمه، ونحن ندرك تماماً أن من يزعم أنهم قد اتهموا في مثل هذه القضايا قد أفرج عنهم جميعاً، أعني من اتهموا بقضايا تجسس لحساب دول أخرى سواء عربية أو أجنبية، من ليبيين وغير ليبيين، ومع ذلك الهراء من القذافي توقعنا أن يفرج عنا بعد مدة وجيزة إذا لم يجد جديد كما قلت.

الأسباب السياسية لإخراج السجناء

في ذكرى الانقلاب العسكري الذي قاده العقيد القذافي وهو ما يسمى بالثورة الليبية، عام ١٩٨٧م، ألقى خطاباً وعد فيه بأقصى العقوبات لأعداء الثورة، وأنه سيضعهم في مكان لا يموتون فيه ولا يحيون، ولكن بسبب خوفه على كرسيه قبل كل شيء، فقد اضطر إلى التنازل عن كبريائه وغروره، واعترف بأخطائه، وحمل المسؤولية لأجهزة الأمن، ولا شكَّ أن خروج السجناء هو بأمر الله ورحمة منه، ولكن كان غضب الشعب الليبي في الخارج لا يمكن تجاهله،





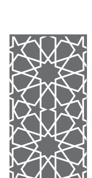


خاصةً في الفترات الأخيرة التي نمت فيها العقول، وكثر فيها المثقفون والسياسيون والمفكرون، الذين تأصلت ضمن أفكارهم أن سياسة القذافي تتمثل بالإرهاب العالمي، وأنه أوصل المأساة إلى كل بيت ليبي، وبذلك لمست المأساة جميع شرائح المجتمع، وفقد النظام ثقله ووزنه في المجتمع، وقويت المعارضة الليبية في الخارج، وتكفلت بالأسرى في تشاد، وركزت على السجناء في دعواتها، وقد ألقت الحرب في تشاد بظلالها على المجتمع الليبي، فلا مدينة ولا قرية إلا فيها قتيل في تلك الحرب الظالمة، فزاد السخط والغضب الشعبي على النظام.

وفي هذه الأثناء صرح أحد القياديين بأن القذافي قرر إلغاء السجون والعفو عن جميع السجناء؛ لأن قلبه رحيم، وبالفعل بدأت عملية فتح السجون بعضها على بعض، والتقاء السجناء الذين فصلت بينهم المحكمة، وفتحت ستة عنابر بعضها على بعض، والتقى السجناء، وهذا الأمر لم يحدث في تاريخ السجون قط.

ومن يومها بدأت معاملة الوحوش البشرية تتغير، فأحضروا لنا الملابس والبدل الجاهزة، ولكن بعض السجناء لم يقبلوا أخذ هذه الملابس، وأصبحنا ننتظر خطاب القذافي هنا، الذي خطب وقال إنه سيطلق سراح الجميع، وكان هذا الأمر علنياً بحضور عدد هائل من الصحفيين والإذاعات الذين طلبوا من السجناء بجانبهم الهتاف للقذافي، ولله الحمد لم أكن قريباً منهم.

واقترب منّا السجانون، ومنهم صالح السرتاوي، وعلي الصرماني، وعبد القادر الأسمر، والرائد عامر، والنقيب مبارك، وغيرهم ممن يعرفهم سجناء ليبيا في تلك الفترة من تاريخ البلاد، وأصبحوا يبكون ويطلبون منا السماح عما ألحقوه بنا من أذى في سنوات سجننا. وكانت إجابتي: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[يوسف: ٩٢]، وإن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ







وتعاليم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ومواقفه حاكمة ومالكة لمشاعرنا وأحاسيسنا، وأرجو من الله أن يحشرني معهم.

وادعى القذافي في خطابه أن ضميره يؤنبه كثيراً، ويجعله لا ينام الليل بسبب ما فعله بالسجناء، ومنهم من يعرفه شخصياً، ومنهم من كان مقرباً إليه، واستدرك: "لكنهم خانوا، وكان لا بدَّ من محاكمة الخائن وإيقافه، وأقول لكم كما قال رسول الله لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»، وركب هذا الممثل الكبير في موكبه وصوره تملأ الجدران.

والتفت الجماهير حول السجناء، واختلطت المشاعر وتعددت أحوال الناس بين الإغماء والفرح والبكاء، فقد شاهدت امرأة سقطت مغشياً عليها عندما رأت زوجها، ورأيت الإخوة يتعانقون، والشيوخ يبكون من شدة الفرح لرؤية أولادهم الطلقاء، والدموع تسيل على الخدود وتملأ وجوه الحاضرين.

صدقني وأنا أكتب هذا أكاد لا أملك دموع عيني من شدة تأثري من تذكر تلك المواقف التي تذيب القلوب المتحجرة، أما الذين كانوا يترقبون الأحداث عن بعد من التلفاز من أمهاتنا وأبنائنا وزوجات السجناء، فلم تسعهم الفرحة، ومنهم من مات من هول الصدمة، صدقني لا أجد وصفاً لما حدث، لم يكن أحد يصدق ما حصل إلا الذين يعرفون معنى لا إله إلا الله، وأقدار الله النافذة في خلقه.

خرجت بصعوبة مع الإخوة أثناء عبوري الحجارة والأسلاك الحديدية التي وضعها القذافي، وغمرتني فرحة لا توصف، والتقينا بالناس في الخارج، نعم لقد خرجنا من مدرسة يوسف عَلَيْهِٱلسَّلَامُ بعد رحلة مريرة، إلى مدرسة الحياة الكبرى، شاعرين بمسؤوليتنا أمام الله عَزَّوَجَلَّ، بأنه يجب علينا نشر الدعوة الإسلامية.






استرحت في بيت أحد أصدقاء والدي، وهو علي أحمد الرحيبي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من سكان منطقة الآثار بحي الأندلس، ورأيت أبناءه الصغار ينظرون إليّ وكأنهم يعرفونني منذ مدة طويلة، وكم كنت مشتاقاً لرؤية الأطفال الصغار الذين انقطعنا عن رؤيتهم سنوات طويلة، وبعد هذه الراحة القصيرة انتقلنا إلى مطار طرابلس للتحرك والعودة إلى بنغازي لنقطع ١٠٠٠ كيلومتر في الأراضي الليبية.

وفي المطار، التقيت بالنقيب مصطفى الفيتوري، فعرفني وعرفته، وسارع بالتسليم عليّ، كان من الاستخبارات العسكرية، وكان زميلي في الدراسة الثانوية، وسارع لمعانقتي عناقاً طويلاً، وجلسنا على انفراد وأخبرني عن الإخوة وأعمالهم، وتذكرنا أيام الدراسة قليلاً، وأذكر أن والدي نام على الكرسي من شدة التعب، ومن بعدها صعدنا الطائرة متجهين إلى مدينتي الحبيبة التي اشتقت إليها كثيراً، وحرمت منها بالقوة مكبلاً بالأغلال.

وفي مطار بنغازي وجدت أعداداً هائلة من أهلي وأقاربي ينتظرونني ليسلموا عليّ، فمنهم من عرفته، ومنهم من لم أستطع تذكره؛ لأني تركته صغيراً وأصبح شاباً، وكان من بين الذين في المطار أخي في الله الحاج علي المقصبي، الذي وجدته في الانتظار، وأخذني من أقاربي وأركبني معه في السيارة، وكم كان اللقاء مؤثراً، والإحساس بنشوة الفرح وكأنه كرامة من كرامات الله لعباده المستضعفين في الأرض، وأخي علي لي معه ذكريات ومذاكرات، وكلما مررت بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] تذكرته.

اللقاء بأمي الحبيبة

وصلت إلى البيت في الساعة الواحدة ليلاً، ودخلت من الباب الخلفي، ولم أدخل من الباب الرئيسي المليء بالضيوف في تلك الساعة المتأخرة من الليل،






فوجدت أمي في انتظاري، إذ وقفت لا تعرف ماذا تفعل، لقد كانت متجمدة في مكانها، والدموع تسيل من عينيها، ولا أستطيع وصف تلك الصورة الرهيبة، وأترك لك تخيل اللقاء بعد هذا الانقطاع، لقد سقطت على ركبتيها وما استطاعت الوقوف بين دموعٍ وبكاءٍ وفرحٍ، إنَّه لشعورٌ عجيبٌ وغريبٌ.

أخي يوسف الذي ولدته أمي وأنا في السجن

كان يوسف يسأل عني دائماً، ويترقب خروجي من السجن، وعندما جاء وقت إخراج السجناء وتكسير أبواب السجن كان هو جالساً أمام التلفاز ويصيح فرحاً ويصفق بيديه حتى نام، وفي يوم وصولي نمت بعد صلاة الفجر، وجاء إلي يوسف وأيقظني في الصباح ليُسلم عليّ وكانت أول مرة يراني وأراه، وقد سُمي يوسف أخي على اسم عمّ والدي وعلى اسم يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ لكثرة ما كان والدي يستمع لقصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحدثتني أمي بأن والدي رَحِمَهُ اللَّهُ كان كثير الاستماع إلى سورة يوسف أيام سجني.

أعداد الضيوف الذين زاروني للتهنئة

بدأ الضيوف بالتوافد إلى بيتنا من النساء والرجال، وكل في معزل عن الآخر، يأتون منذ الصباح ويغادرون في ساعات متأخرة من الليل، ووصلت أعدادهم إلى الآلاف، من المعارف والأصدقاء والضيوف الذين لا نعرفهم ممن قرروا المرور على جميع السجناء في مدينتنا.

وتغيرت عليّ المدينة؛ فأصدقائي وإخواني الذين أعرفهم أصبحوا أطباء ومهندسين وضباطاً، ومعظمهم متزوجون وعندهم أولاد؛ وحين جلست معهم كانت معنوياتي عالية، أحدثهم عن نعمة القرآن والإسلام التي تثبِّت المسلم







وتجعله صابراً في السراء والضراء، وحدثتهم كثيراً عن حياتنا داخل السجن وهم في دهشة من الحقائق التي يسمعونها لأول مرة، وطلب مني بعضهم تدوين الأحداث التي مررت بها حتى يستفيد منها أبناء الأمة الإسلامية في المستقبل.

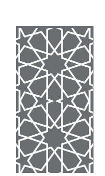
وبدأت بالذهاب إلى المسجد في كل وقت من أوقات الصلاة، وبدأت بمقابلة شباب الحي الذين تركتهم أطفالاً وأصبحوا رجالاً.. سبحان الله!

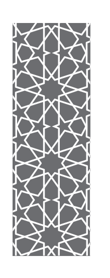
وبعد خروجي بأسابيع صعدت المنبر؛ ذلك أن إمام المسجد -الذي أصلي فيه بمدينة الحدائق في بنغازي- غاب في يوم من أيام الجمعة، فطلب مني أهل المنطقة أن أخطب بدلاً عنه، ورأيتها فرصة للدعوة لا تعوض، وكان مسجدنا اسمه مسجد الشهداء مقابل بيتنا، وقد بناه الحاج علي وعيسى بن إسماعيل -رَحِمَهُمَاٱللَّهُ-، وقد شارك الحاج عيسى بحرب ١٩٤٨م في فلسطين، وبعد رجوعه فكر في بناء مسجد الشهداء، وتعاون مع أخيه علي في البناء، وقد حدثني بذلك أخي أشرف بن إسماعيل، حفيد الحاج علي رَحِمَهُٱللَّهُ.

وفي الخطبة، وقفت وتكلمت عن التوحيد في الإسلام، وأن النافع والضار هو الله، وقد سرى الخبر بين الناس أن هناك شاباً من "أصبح الصبح" يخطب عن العقيدة، وجاءت الخطبة الثانية وزادت أعداد المصلين، وأرسلت الأوقاف شيخاً إلى بيتي تطلبني للخطابة، فسررت كثيراً.

ولكن أهلي لم يوافقوا على ذلك إلا والدي الذي قال: "من يعلم الناس دينهم؟ ولماذا يتعلم الإنسان إذن؟"، وشجعني على ذلك، وكان أبناء الحركة الإسلامية يعارضون العمل الجهري خوفاً من القذافي، وكانت حجتي أن النظام أصبح يعرفني ولا داعي للتستر، وهذه فرصة لن تتكرر لنشر الدعوة، ولم أكن في أي تنظيم أصلاً بعد خروجي من السجن وقبله أيضاً.









وكان رئيس الأوقاف في بنغازي يرى أن أمري لا يزال غامضاً، وبعث خلفي طالباً مني الهدوء قليلاً في عملي؛ لأن الأجهزة الأمنية إذا سمعت بخبري فسيرسلون في طلبي، وجاء الناس للخطبة الثالثة وامتلأ المسجد بالناس وغص بهم وصلَّوا في الخارج، وظنوا أني سوف أصعد المنبر وأخطب، وكانت المفاجأة بعدم حضوري، وبدأت التساؤلات بين الناس تسري؟

وبعد مدة وجيزة شرعت في الخطبة وإعطاء الدروس، وكانت البداية من المسجد الذي يقابل بيتنا، وانتشر الخبر في المدينة فازداد عدد الإخوة والزوار الذين وصلوا إلى المسجد، وامتلأ كله بشباب المنطقة الذين تربوا على السيرة النبوية وأصحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وكانت الدروس حول التوحيد والسيرة النبوية والفقه الإسلامي، وأذكر أن أحد مراجعي كان كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، واستمررت على هذا الحال تسعة أشهر لم أنقطع فيها إلا عند ذهابي للحج مع والدتي، وأصبح يحضر خطبي الضباط والمهندسون والأطباء وغيرهم، وعندما أعتلي المنبر كان المسجد يغص بالناس، وصار أهل الحي يرون أن هذا التجمع الهائل قد يجلب الخطر للمنطقة، فطلبوا مني الامتناع عن إعطاء الدروس، وأرسل لي رئيس الأوقاف طلباً رسمياً بالامتناع عن ذلك، لكني رفضت واستمررت بعملي، وقلت في نفسي: لا شك أن الأجهزة الأمنية تحضر الدروس ولا يريدون أن يروا الناس على هذا الحال، ولا أن أحداً من جماعة "أصبح الصبح" يمارس حياته الطبيعية نحو الأفضل، فعزمت على ألا أتوقف إلا بالقوة، ولذلك كنت حريصاً على البقاء بين جموع الناس، ولا أسير وحيداً حتى لا يستفردوا بي، وفعلاً بفضل الله تم الأمر.



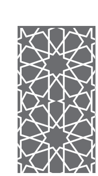




محاولة العودة إلى مقاعد الجامعة

حاولت الرجوع إلى الجامعة إلى كلية الهندسة فمنعوني، فعزمت على السفر طلباً للعلم والدراسة في الخارج، وسهل الله لي الأمر من حيث لا أشعر، وكان ذلك بعد رحلة الحج.







رحلة الحج مع والدتي العزيزة بعد الخروج من السجن (ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ يوليو ١٩٨٨م

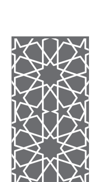
نذرت والدتي العزيزة الحبيبة نذراً لله عَزَّوَجَلَّ أن تحج إلى بيت الله الحرام بمجرد خروجي من السجن، وقد يسر الله الأسباب، وتكفل الوالد الكريم بنفقات الحج، وقد كان والدي قد حج من قبل، أما الوالدة وأنا فلم نحجّ بعد، فهي حجة الإسلام الأولى.

وشرعنا في إحضار المطلوب من الأوراق والرسوم، وقدمناها إلى لجان الحج في بنغازي، وكان من ضمن المشرفين على لجان الحج أحد الضباط رَحِمَهُ ٱللَّهُ، واسمه محمد الطويل، وذات يوم كنت قرب مسجد (بن كاطو) ومقر البريد، فصليت الظهر في المسجد القريب، فوجدت الأخ الكريم محمد الطويل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقال لي: غداً سنرفع وثائق الحجاج إلى السفارة السعودية في طرابلس للحصول على تأشيرة الحج، وسأتأكد من أوراقك وأوراق الوالدة.

ثم رجعت إلى البيت، وعند صلاة العصر حضر الأخ محمد، فقال لي: هناك من أخذ أوراقك وأوراق الوالدة وغاب أثرها، وقال لي: سبحان الله! كيف سخرني الله لكم ليتم أمره، وهو يتلو قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[الطلاق: ٢].

وبالفعل أحضرت له الصور الشخصية والأوراق المطلوبة وذهبنا معاً إلى مقر لجان الحج، وسافرَتْ أوراقنا إلى العاصمة، وتحصلنا على تأشيرة الحج، فما قدّره الله لا يمكن للبشر أن يمنعوه، وجاء موعد الرحيل للأراضي المقدسة وكنا حجزنا عبر السفينة.








1- الباخرة (غرناطة)

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[هود: ٤١].

دعونا دعاء السفر: باسم الله، ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ ١٣ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[الزخرف: ١٣ - ١٤]، "اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا، واطو عنا بعده، اللهم أنت الصاحب في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر، وكآبة المنقلب، وسوء المنظر في الأهل والمال"[(١)].

وفي الساعة السابعة مساءً تحركت الباخرة غرناطة متوجهة نحو بيت الله الحرام، وكانت نظرة الوداع على مشارف مدينتي العزيزة بنغازي، فتذكرت قول رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ عندما غادر مكة، فقال: «واللَّهِ إنَّكِ لخيرُ أرضِ اللَّهِ، وأحبُّ أرضِ اللَّهِ إلى اللَّهِ، ولولا أنِّي أُخرِجتُ منكِ ما خرجتُ»[(٢)].

ولكن الحنين إلى بيت الله كان أشد وأقوى من الحنين إلى مسقط الرأس، وتبقى مكة المشرفة والمدينة المنورة في شغاف القلب ما دامت الروح تسري في جسدي البالي.

وفي الباخرة العملاقة تعرفت على الناس وتعرفوا علينا أنا وأخي محسن ونيس القذافي، وكانت معه والدته السيدة أمل شنيب رَحِمَهَا ٱللَّهُ، وأخته ماجدة، وأنا معي والدتي، فكنا أسرة واحدة في رحلة الحج العظيمة.

عرف الناس الذين معنا في السفينة بأني قريب عهد بالسجن السياسي، إذ كان هناك من يعرفنا وهناك من تعرَّف علينا، فقد كانت حادثة إطلاق السجناء مدوية في ليبيا، وانتشرت قصيدة الشاعر السوداني الفيتوري:

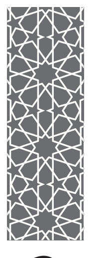
---

(١) مسند أحمد، (١٠/ ٤٤٠)، طبعة دار الرسالة.

(٢) سنن الترمذي، رقم ٢٩٢٥. ورواه أحمد وابن ماجه.







أصبح الصبح

فلا السجن ولا السجان باق

وإذا الفجر جناحان ترفان عليك

وإذا الحزن الذي كحّل تلك المآقي

والذي شدّ وثاقاً لوثاق

والذي بعثرنا في كل وادي

فرحة نابعة من كل قلب يا بلادي

لقد خرج السجناء جميعاً، وكانوا حوالي خمسة آلاف سجين سياسي غادروا زنازينهم، كأن ما عانوه من قبل لم يكن إلا حلماً، واستثنى النظام من هؤلاء ١٠٠ سجين لهم قصص يشيب لهولها الولدان، وقد ذكر تفاصيل حياتهم كل من الأستاذ علي العكرمي في رواية طريق جهنم، ودبَّجها الروائي والشاعر الأردني أيمن العتوم، وكذلك الرجل الفاضل الأستاذ صالح القصبي، في كتابه: "كأنك معي".

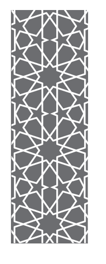
وفي رحلة الحج تعاطف معنا كثيرٌ من الحجاج الذي كانوا في السفينة عندما علموا بأننا من جماعة "أصبح الصبح".

وبفضل الله سارت الأمور على ما يرام، وكان لدعاء السفر أثر في تلك الرحلة المباركة الميمونة، وفي تلك الليلة الفريدة من نوعها بعد سنوات السجن المظلمة.



وتبادلت أنا وأخي محسن أطراف الحديث، والذكريات المؤلمة، وقد نسيت في تلك الليلة طعام العَشاء، ودخلت حجرة النوم في السفينة الساعة



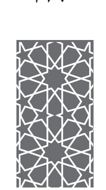




الثانية عشرة مساء، واستيقظت لصلاة الفجر، وعَيَّن ربّان السفينة القِبلة، وطبعاً كانت القبلة تتغير بخط السير في البحر الأبيض المتوسط.

وفي ظلمة الليل، وتأملي في البحر ونحن في أعماقه على متن السفينة تذكرت يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذهب بي التفكير إلى أعماق البحر اللجيّ، وأحداث قصة نبي الله يونس عَلَيْهِ السَّلَامُ ودعائه العظيم: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ إِلَى ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُدۡحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿١٤٢﴾ فَلَوۡلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطۡنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذۡنَٰهُ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٞ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [الصافات: ١٣٩ – ١٤٨].

سبحان الله العظيم! كنت كثيراً ما أتأمل وأتدبر وأتفكر في مخلوقات الله وسط الصحراء الكبرى في ليلها ونهارها، ونجومها وقمرها وشمسها وترابها وجبالها، حين كنت طالباً في الثانوية العامة، واليوم على متن الفلك المشحون؛ شعرت برهبة وخشية عظيمة لخالقي العزيز الجبار، وبدأت أستحضر الآيات الكريمة، وفي تلك الفترة كان حفظي للقرآن الكريم والقدرة على الاستدلال به من المتع النفسية والروحية والإيمانية، وذلك بالربط بين آيات الله التي نعايشها في الرحلة وكتابه العزيز؛ قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾[إبراهيم: ٣٢ – ٣٣].





رأيت القمر وأنا على متن السفينة، وعشت بعقلي ومشاعري ووجداني وفطرتي خروج الشمس، وكأنها تخرج من وسط المياه، وترتفع قليلاً قليلاً، وعشت بين الليل وسكونه ونجومه وقمره، وانفلاق الإصباح مع ظهور الشمس.

ولقد عشت مع قصة خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة الأنعام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام: ٧٦ - ٧٩].

إن التأمل والتدبر والتفكر، واستخدام العقل في النظر إلى هذا الكون الفسيح ومخلوقات الله الذي فيه، هي السبيل لتعريف البشر على الخالق العظيم العزيز الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

وكأن هذا الكون وما فيه يقول للناس: ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[لقمان: ١١].

كانت رحلة الحج بالباخرة مثيرة وغنية بالأحداث على مستويات عدّة، ولا سيما الاحتكاك بالمواطنين عن قرب، سواءً الظالمُ لنفسه أو المقتصد أو السابق بالخيرات، وكذلك المناقشات والحوارات التي ما زِلت أذكرها؛ فبعض الناس كان متضايقاً من إحضار أمه معه، أو أنها أصرت على الحج وكان متذمراً، فيزعم أنها مُتعبة له، وذكرت القصة التي أجاب فيها عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلاً كان برّاً بأمه وحملها على أكتافه، فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حملتها وتريد موتها وحملتك وتريد حياتك!

وبالعموم، كان الناس يستجيبون لتعاليم دينهم، وإن كانت نسبة الجهل به مخيفة.







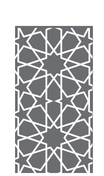


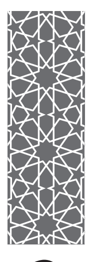
وفي اليوم التالي تعرضنا لدوار البحر، وحدثت بعض الأعراض البسيطة لبعض الإخوة والأخوات، وبعد صلاة العصر ألقيت درساً تفصيلياً عن حجّة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموثقة بالسنة النبوية والأحاديث الصحيحة، في إحرامه وتلبيته وفي طوافه وسعيه، وفي أيام مِنى، والوقوف بعرفة، ورمي الجمرات، والحلق والتقصير، وأيام التشريق، وطواف الإفاضة، وطواف الوداع، من كتب السنة المعتمدة، كالبخاري ومسلم، وشجعت الناس على الأخذ بالتمتع في المناسك بدل الإفراد أو الإقران، وبيّنت لهم قول الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لوِ استَقبلتُ مِن أمري ما استَدبرتُ ما سقتُ مَعِي الهَدْيَ».

ووضحت لهم أننا سنبقى في مكة أكثر من خمسة عشر يوماً قبل الوقوف بعرفة، وأنه بإمكاننا التمتع بعمل عمرة ثم نتحلل من الإحرام إلى قبل يوم التروية عند الإحرام بالحج والذهاب إلى منى قبل يوم عرفة، وقد استجاب أكثر من ٨٠٪ لدعوة الحج بالتمتع، وبعض الناس أصر على الإفراد، وعند وصولنا إلى مكة، اعتمرنا، ولبسنا ملابسنا العادية، وجاء أولئك الذين أخذوا بالإفراد، وطلبوا منّي فتوى حتى يصبحوا مثلنا.

وانتقل كثير ممن أحرم بالإفراد إلى نسك التمتع، أي الاعتمار ثم التحلل وفك ملابس الإحرام بعد أداء مناسك العمرة، ثم الإحرام بالحج قبل يوم عرفة.

لقد استجاب الناس للمواعظ والتذكير والفقه، وعاشوا مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مناسكه فقد حضّرت تحضيراً جيداً لتعليم الناس مناسك الحج، وكان معنا واعظ من الدولة، إلا أنه كان مؤدباً خلوقاً ومتواضعاً، وأحال كثيراً من الناس إليّ في الفتوى، وقد بينت لهم أن الحج هو أحد الأركان الخمسة للإسلام، وقد فُرض في العام العاشر، وهذا ما ذهب إليه ابن القيم، واستدل بأدلة قوية، وهو اللائق بهديه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عدم تأخير ما هو فرض،





لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ٩٧].

وقد بيَّنت للمواطنين الذين كانوا معي على متن السفينة بأن نبينا محمداً صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحج من المدينة غير حجته التي كانت في العام العاشر، وقد عُرفت هذه الحجة بحجة البلاغ، وحجة الوداع، وحجة الإسلام؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودّع الناس فيها، ولم يحج بعدها، وحجة البلاغ؛ لأنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بلّغ الناس شرع الله في الحج قولاً وعملاً، ولم يكن بقي في دعائم الإسلام وقواعده شيء إلا وقد بينه، فلما بيّن لهم شريعة الحج ووضّحه وبيّنه وشرحه، أنزل الله تعالى عليه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣].

ولما نزلت هذه الآية بكى بعض الصحابة، ومنهم عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وكأنهم فهموا الإشارة إلى قرب أجل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولما قيل لسيدنا عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما يُبكيك؟ قال: إنه ليس بعد الكمال إلا النقصان.

وكان عدد الذين مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من مئة ألف.

كان الحجاج على متن الباخرة وهم يستمعون إلى حجة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتأثرون ويصلون على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعضهم تفيض عيناه بالدموع.

وكنت حريصاً على تتبع هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حجته، وأحضرت معي ما حضّرته، وكتبته، وبدأت في شرح حجته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.





٢- كيف حج النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بينت تفاصيل حجة النبي الكريم محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الدروس التي كنت ألقيها في السفينة بعد الصلوات، وكانت نسبة الحضور عالية جداً، وشرعت



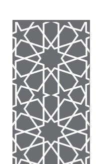


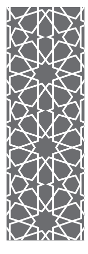

في الشرح وتبسيط المعلومة للناس، وذكرت لهم ما جاء في صحيح البخاري ومسلم عن حجته وقلت لهم:

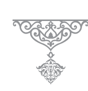
عـزم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحجِّ، وأعلم النَّاس أنَّـه حاجٌّ، فتجهَّزوا -وذلـك في شهر ذي القعدة سنة عشر- للخروج معه، وسمع بذلك مَنْ حول المدينة، فقدِموا يريدون الحجَّ مع الرَّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووافاه في الطَّريق خلائق لا يحصون، فكانوا مِنْ بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، مدَّ البصر، وخرج من المدينة نهاراً بعد الظُّهر لخمسٍ بَقِينَ من ذي القعدة يوم السَّبت، بعد أن صلَّى الظُّهر بها أربعاً[١].

وخطبهم قبل ذلك خطبةً علَّمهم فيها الإحرامَ، وواجباتِه، وسننه، ثمَّ سار وهو يلبِّي ويقول: "لبيك اللَّهُمَّ لبيك، لبَّيك لا شريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنِّعمة لك والملك، لا شريك لك"، والنَّاس معه يُزِيدون ويُنْقِصون، وهو يُقِرُّهم ولا ينكر عليهم، ولزم تلبيته، ثمَّ مضى حتَّى نزل بـ (العرج)، ثمَّ سار حتَّى أتى (الأبواء) فوادي (عسفان) في (سَرِف) ثمَّ نهض إلى أن نزل بـ (ذي طوى)، فبات بها ليلة الأحد، لأربع خلون من ذي الحجَّة، وصلَّى بها الصُّبح، ثمَّ اغتسل من يومه، ونهض إلى مكَّة فدخلها نهاراً من أعلاها، ثمَّ سار حتَّى دخل المسجد، وذلك ضحىً[٢]، فاستلم الرُّكن صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَرَمَل ثلاثاً[٣]، ومشى أربعاً، ثمَّ نفذ إلى مقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[٤]، فقرأ: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[البقرة: ١٢٥].

(١) انظر: **صحيح السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٦٦٤، والندوي، **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٨٦.
(٢) انظر: الندوي، **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٨٧.
(٣) الرَّمَل: إسراع المشي مع تقارب الخطا.
(٤) نفذ إلى مقام إبراهيم: أي: بلغه ماضياً في زحام.





فجعل المقام بينه وبين البيت، وكان يقرأ في الرَّكعتين: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[الكافرون: ١]، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[الإخلاص: ١]، ثمَّ رجع إلى الرُّكن، ثمَّ خرج من الباب إلى الصَّفا، فلـمَّا دنا من الصَّفا قرأ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[البقرة: ١٥٨].

وبدأ بما بدأ الله به؛ فبدأ بالصفا، فصعد عليه، حتَّى إذا رأى البيت استقبل القبلة، فوحَّد الله وكبَّره، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»، ومن ثمَّ دعا بين ذلك، وقال مثل هذه ثلاث مرَّاتٍ، ثمَّ نزل إلى المروة، حتَّى إذا انصبَّتْ[١] قدماه في بطن الوادي سعى، حتَّى إذا صَعِدَتَا[٢] مشى، حتى أتى المروة، ففعل على المروة كما فعل على الصَّفا، حتَّى إذا كان آخر طوافه على المروة قال: «لو أنِّي استقبلتُ من أمري ما استدبرت لم أسق الهدي، وجعلتها عُمْرَةً، فمن كان منكم ليس معه هَدْيٌ فليحلَّ، وليجعلها عُمْرةً».

فقام سراقة بن مالك بن جُعْشُمٍ، فقال: يا رسول الله! أَلِعَامِنَا هذا أم للأبد؟ فشبَّك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصابعه واحدةً في الأخرى، وقال: «دخلتِ العمرةُ في الحجِّ» مرَّتين، «لا بل لأبدِ أَبَدٍ»[٣].

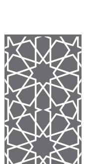
وأقام بمكَّة أربعة أيام: يوم الأحد، والاثنين، والثُّلاثاء، والأربعاء، فلـمَّا كان يوم الخميس ضُحىً توجَّه بمن معه من المسلمين إلى منى، ونزل بها، وصلَّى بها الظُّهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، والفجر، ومكث قليلاً حتَّى

(١) انصبت قدماه: انحدرت.

(٢) صعدتا: ارتفعت قدماه عن بطن الوادي.

(٣) **صحيح السيرة النبوية**، ص ٦٥٩.









طلعت الشَّمس، وأمر بِقُبَّةٍ من شَعَرٍ تُضْرَبُ له بِنَمِرَةَ[١]، فسار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا تَشُكُّ قريشٌ إلا أنَّه واقفٌ عند المشعر الحرام[٢]، كما كانت قريش تصنع في الجاهليَّة، فأجاز[٣] رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى أتى عرفةَ، فوجد القُبَّةَ قد ضُرِبت له بنَمِرَة فنزل بها، حتى إذا زاغت الشَّمسُ أمَرَ بالقصواء فرُحِّلَتْ له، فأتى بطن الوادي[٤]، فخطب النَّاس، وقال: «إنَّ دماءكم وأموالكم حرامٌ عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كلُّ شيءٍ من أمر الجاهليَّة تحت قدميَّ موضوعٌ، ودماءُ الجاهليَّة موضوعةٌ، وإنَّ أوَّل دَمٍ أضع من دمائنا دمُ ابنِ ربيعةَ بن الحارثِ، كان مُسْتَرْضَعاً في بني سعدٍ، فقتلتْه هذيلٌ، وربا الجاهليَّة موضوعٌ، وأوَّل رباً أضع ربانا، ربا العباس بن عبد المطَّلب، فإنَّه موضوع كلُّه.

فاتَّقوا الله في النِّساء، فإنَّكم أخذتموهنَّ بأمان الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، ولكم عليهنَّ ألَّا يوطئن فرشَكم أحداً تكرهونه[٥]، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غير مُبَرِّح[٦]، ولهنَّ عليكم رزقُهن، وكسوتُهنَّ بالمعروف؛ وقد تركت فيكم ما لن تضلُّوا بعده إن اعتصمتم به؛ كتاب الله، وأنتم تُسْأَلُونَ عنِّي، فما أنتم قائلون؟»، قالوا: نشهد أنَّك بلغت، وأدَّيت، ونصحت، فقال

---

(١) نمرة: موضع بجنب عرفات، وليست من عرفات.

(٢) المشعر الحرام: جبل بمزدلفة كانت قريش تقف عليه، ولا تقف مع العرب في عرفات، ولكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقف في عرفات.

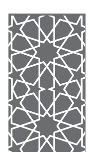
(٣) فأجاز: جاوز المزدلفة ولم يقف بها، وإنَّما توجه إلى عرفات.

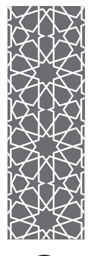
(٤) بطن الوادي: وادي عُرَنَةَ، وليست عرنة من أرض عرفات عند العلماء، إلا مالكاً قال: من عرفات.

(٥) أي: لا يجوز للمرأة أن تُدخل أحداً إلى بيت زوجها من قريبٍ، أو بعيدٍ، أو امرأة، إلا مَنْ يرضى عنه زوجها.

(٦) الضَّرب المبرح: الشَّديد الشاق.







بإصبعه السَّبَّابة، يرفعها إلى السَّماء، وينكتها[١] إلى النَّاس: «اللَّهمَّ اشهد! اللَّهُمَّ اشهد!» ثلاث مرَّات[٢].

ثمَّ أذَّن، ثم أقام، فصلَّى الظُّهر، ثمَّ أقام فصلَّى العصر، ولم يصلِّ بينهما شيئاً، ثمَّ ركب رسولُ الله ﷺ حتَّى أتى الموقف فجعل بطنَ ناقتهِ القصواءِ إلى الصَّخَرَاتِ[٣]، وجعل حبل المشاة بين يديه[٤]، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتَّى غربت الشمس، وذهبت الصُّفْرَةُ قليلاً حتى غاب القُرْصُ[٥].

وذكر أبو الحسن النَّدويُّ: لـمَّا فرغ رسول الله ﷺ من صلاته، والتَّضرُّع، والابتهال إلى غروب الشَّمس، وكان في دعائه رافعاً يديه إلى صدره، كاستطعام المسكين، يقول فيه: «اللَّهُمَّ إنَّك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سرِّي وعلانيتي، لا يخفى عليك شيءٌ من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، والوَجِل المشفِق، المقر المعترف بذنوبي، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذَّليل، وأدعوك دعاء الخائف الضَّرير، مَنْ خضعت لك رقبته، وفاضت لك عيناه، وذلَّ جسده، وَرَغِم أنفهُ لك، اللَّهُمَّ لا تجعلني بدعائك ربِّ شقيّاً، وكن بي رؤوفاً رحيماً، يا خير المسؤولين! ويا خير المعطين»[٦].

وهناك أنزلت عليه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فلـمَّا غربت الشَّمس؛ أفاض من عرفة، وأردف أسامة



(١) ينكتها: يقلبها، ويرددها إلى النَّاس مشيراً إليهم.

(٢) انظر: **صحيح السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٦٦١.

(٣) الصَّخرات: صخرات في أسفل جبل الرَّحمة، وهو الجبل الذي بوسط أرض عرفات.

(٤) حبل المشاة: مجتمعهم، وقيل: جبل المشاة: ومعناه طريقهم حيث تسلك الرَّجالة.

(٥) حتَّى غاب قرص الشَّمس: حتَّى غابت الشَّمس، وذهبت الصفرة.

(٦) انظر: الندوي، **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٨٩.






بن زيد خلفه، ودفع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقد شَنَقَ للقصواءِ الزِّمَامَ، حتَّى إنَّ رأسها ليُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وهو يقول: «أيُّها النَّاس! عليكم السَّكينة»[١].

وكان يلبِّي في مسيره ذلك، لا يقطع التَّلبية حتَّى أتى المزدلفة، وأمر المؤذِّن بالأذان فأذَّن، ثمَّ أقام، فصلَّى المغرب قبل حطِّ الرِّحال وتبريك الجمال، فلـمَّا حطُّوا رحالهم أمر فأقيمت الصَّلاة، ثمَّ صلَّى العشاء، ثمَّ نام حتَّى أصبح، فلـمَّا طلع الفجر صلاها في أول الوقت، ثمَّ ركب حتى أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة، وأخذ في الدُّعاء والتَّضرُّع، والتَّكبير، والتَّهليل، والذكر، حتى أَسْفَرَ جِدّاً[٢]، وذلك قبل طلوع الشَّمس.

ثمَّ سار من مزدلفة، مردِفاً للفضل بن عباس، وهو يلبِّي في مسيره، وأمر ابن عبَّاسٍ أن يلتقط له حصى الجمار سبع حصياتٍ، فلـمَّا أتى بَطْنَ مُحَسِّرٍ[٣] حرَّك ناقته، وأسرع السَّير[٤]، فإنَّ هنالك أصاب أصحابَ الفيل العذابُ، حتَّى أتى منى، فأتى جمرة العقبة، فرماها راكباً بعد طلوع الشَّمس، وقطع التلبية[٥].

ثمَّ رجع إلى مِنى، فخطب الناس خطبةً بليغةً، أعلمهم فيها بحرمة يوم النَّحر، وتحريمه، وفضله عند الله، وحرمة مكَّة على جميع البلاد، وأمر بالسَّمع والطَّاعة لمن قادهم بكتاب الله، وأمر النَّاس بأخذ مناسكهم عنه، وأمر الناس ألا يرجعوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، وأمر بالتَّبليغ عنه[٦].

---

(١) انظر: **صحيح السِّيرة النَّبوية**، ص ٦٦٢.

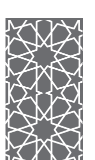
(٢) الضمير في (أسفر) يعود على الفجر المذكور، وقوله: (جدّاً) بكسر الجيم؛ أي: إسفاراً بليغاً.

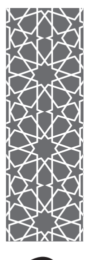
(٣) قيل سُمِّيَ بذلك لأن أصحاب الفيل حُسِروا فيه.

(٤) انظر: **صحيح السِّيرة النَّبويّة**، ص ٦٦٢، والنَّدوي، **السِّيرة النَّبوية**، ص ٣٨٩.

(٥) انظر: النَّدوي، **صحيح السِّيرة النَّبوية**، ص ٣٨٩.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٩٠.

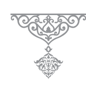





وقد جاء في هذه الخطبة: «أتدرون أيُّ يومٍ هذا؟»، قلنا: اللهُ ورسولُه أعلم، فَسَكَتَ حتَّى ظنَّنا أن سيسمِّيه بغير اسمه، فقال: «أليس ذا الحجة؟»، قلنا: بلى! قال: «أي بلدٍ هذا؟»، قلنا: الله ورسولُه أعلم، فَسَكَتَ حتَّى ظنَّنا أنَّه سيسمِّيه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟»، قلنا: بلى! قال: «فإنَّ دماءكم، وأموالكم -وفي رواية: وأعراضكم- عليكم حرامٌ، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟»، قالوا: نعم، قال: «اللَّهُمَّ اشهد! فليبلغ الشَّاهد الغائب، فَرُبَّ مبلَّغٍ أوعى من سامعٍ، فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعضٍ»[1].

ثمَّ انصرف إلى المنحر بمنى، فنحر ثلاثاً وستين بدنةً بيده، وكان عدد هذا الذي نحره عدد سنين عمره، ثمَّ أمسك وأمر عليّاً أن ينحر ما بقي من المئة، فلـمَّا أكمل صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نحره استدعى الحلاق فحلق رأسه، وقسم شعره بين مَنْ يليه، ثمَّ أفاض إلى مكَّة راكباً، وطاف طواف الإفاضة[2]، فصلىَّ بمكَّة الظهر، فأتى بني عبدِ المطلب يَسْقُون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم النَّاس على سِقَايتكم؛ لنزعتُ معكم»، فناولوه دلواً، فشرب منه[3].

ثمَّ رجع إلى منىً من يومه ذلك، فبات بها، فلـمَّا أصبح انتظر زوال الشَّمس، فلـمَّا زالت مشى من رحله إلى الجمار، فبدأ بالجمرة الأولى، ثمَّ الوسطى، ثمَّ الجمرة الثَّالثة -وهي جمرة العقبة- وخطب الناس بمنى خطبتين: خطبة يوم النَّحر، وخطبة ثانية في ثاني يوم النَّحر[4]، وهو يوم النفر الأول، وهي تأكيد لبعض ما جاء في خطبتي عرفة، ويوم النَّحر بمنى.



---

(١) انظر: **السِّيرة النَّبويَّة الصحيحة** (٢/ ٥٥٠)، أبو شهبة، **السِّيرة النَّبويَّة**، (٢/ ٥٧٨).

(٢) انظر: الندوي، **السِّيرة النَّبوية**، ص ٣٩٠.

(٣) **صحيح السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٦٦٣.

(٤) انظر: **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٩٠.







والواقع أن تكرار الخطب في حَجَّة الوداع كان أمراً لا بدَّ منه؛ لحاجة المسلمين، فهي الحجَّة الوحيدة الَّتي حجَّها الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد عزَّ فيها الإسلام والمسلمون، وأصبحت كلمتهم هي النَّافذة في الجزيرة كلِّها، كما كانت الوداع الأخير، فما أشدَّ حاجةَ المسلمين في هذا المشهد العظيم إلى التَّذكير، والنُّصح، والتَّوصية، وإلى تكرار القول، والتَّأكيد عليه حتَّى يعوه، ويحفظوه، ولا ينسوه، وإلى تقريرهم بإبلاغ الرِّسالة، وأداء الأمانة[١].

هذا، وقد تأخَّر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتَّى أكمل رمي أيام التَّشريق الثَّلاثة، ثمَّ نهض إلى مكَّة فطاف للوداع ليلاً سحراً، وأمر النَّاس بالرَّحيل، وتوجَّه إلى المدينة[٢]،وفي طريق العودة من حجَّة الوداع خطب الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّاس في غدير خُمٍّ قريباً من الجحفة في اليوم الثَّامن عشر من ذي الحجَّة، وقد جاء في هذه الخطبة: «أمَّا بعد، ألا أيُّها النَّاس، فإنَّما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسولُ ربِّي فأجيب، وأنا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ، أوَّلهما كتابُ الله فيه الهدى والنُّور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به»، فحثَّ على كتاب الله، ورغَّب فيه، ثمَّ قال: «وأهلُ بيتي، أذكِّركم اللهَ في أهل بيتي، أذكِّركُم الله في أهل بيتي، أذكِّركم الله في أهل بيتي» [أحمد (٣/ ١٤ و١٧)، ومسلم (٢٤٠٨/ ٣٦ و٣٧)].

وفي روايةٍ:... أخذ بيد عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: «من كنتُ وليّه فهذا وليُّه، اللَّهُمَّ والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه» [أحمد (١/ ١١٨)][٣]، وفي روايةٍ: "من كنت مولاه فعليٌّ مولاه" [أحمد (٤/ ٣٦٨)، والترمذي (٣٧١٣)][٤].

---

(١) انظر: أبو شهبة، **السِّيرة النَّبويَّة**، (٢/ ٥٧٩)، و**المستفاد من قصص القرآن** (٢/ ٥١٥).

(٢) انظر: الندوي، **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٩٠.

(٣) **صحيح السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٦٨٨.

(٤) انظر: **السِّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة** (٢/ ٥٥٠).







وكان عليٌّ قد أقبل من اليمن، وشهد حجَّة الوداع(١)، وقد اشتكى بعض الجند عليّاً، وأنَّه اشتدَّ في معاملتهم، وكان قد استرجع منهم حللاً وزَّعها عليهم نائبه، فأوضح لهم النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في غدير خُمٍّ مكانةَ عليٍّ، ونبَّه على فضله لينتهوا عن الشَّكوى(٢)، فقد كان الحقُّ مع عليٍّ في إرجاع ما أعطاهم نائبه في غيبته؛ لأنَّها أموال صدقاتٍ، وخمس(٣).

ولما أتى رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذا الحليفة بات بها، فلـمَّا رأى المدينة كبَّر ثلاث مرَّاتٍ، وقال:

«لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قديرٌ، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربِّنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحدَه»، ثمَّ دخلها نهاراً [البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١٣٤٤)](٤).

وقد وفقني الله عَزَّوَجَلَّ في تعليم ركّاب السفينة مناسك الحج على هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد حرصت أنا وأخي ووالدته وأخته ووالدتي على تطبيق المناسك، وكذلك كثير من الليبيين الذين كانوا معنا في الفلك المشحون.

كان الأغلبية يبحثون عمن يبيّن لهم أحكام الحج وتعاليمه، وكان البعض يحاول أن يسأل بعض الأسئلة التعجيزية، ولكن الردود كانت جاهزة بفضل الله تعالى وتوفيقه.



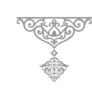
(١) انظر: **البداية والنِّهاية** (٥/ ٢٠٩).

(٢) انظر: **السِّيرة النَّبويَّة الصَّحيحة** (٢/ ٥٥١).

(٣) انظر: أبو شهبة، **السِّيرة النَّبويَّة**، (٢/ ٥٨١).

(٤) انظر: الندوي، **السِّيرة النَّبويَّة**، ص ٣٩١ نقلًا عن زاد المعاد (١/ ٢٤٩).



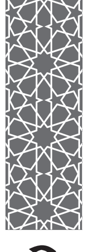
وقد ساعدنا ربّان السفينة في الاستفادة من إذاعة الباخرة، وأصبح الجميع في مقاهي السفينة وغرفها يستمعون إلى المواعظ، والأحكام، والدروس التي كانت تبثّ من خلالها، وقد استغرقت الرحلة خمسة أيام حتى وصلنا إلى جدّة.

وكانت تلك الأيام مفيدة لنا في الاحتكاك بالكهول والشباب والشيوخ والنساء، ففُتِحت حوارات ونقاشات حول الحج والإسلام والوسطية والتطرف والغلو، وغيرها من الأفكار، وكان بعض اللجان الثورية ممن معنا في تلك الرحلة يشارك ويناقش.

٣- التائبون يرحمهم الله

من المواقف التي ما تزال في ذاكرتي بعد عقود من الزمن أن رجلاً أتى إليّ في السفينة وهو يبكي، ويقول لي: "إن زوجتي التي هي معي في رحلة الحج قد يئست من التوبة ومن قبول الحج؛ ذلك أننا وقعنا في علاقة محرمة قبل زواجنا ترتّب عليها مولد بنت وقد قُتلت"، وكان مضطرباً متأثراً، وبيّنتُ له أن التوبة مفتوحة أبوابها، ومن أسماء الله: التواب والغفار والرحيم، واستدللت بآيات من الذكر الحكيم، فظهر البِشْر على محياه، وتغيرت أسارير وجهه، وطلب مني الذهاب معه إلى زوجته وترغيبها في رحمة الله ومغفرته سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ. ومن الآيات التي ذكرتها لهم قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥].





وقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ﴾ ﴿فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا﴾ [الفرقان: ٦٨ – ٧١].

وبيّنتُ لهم أن التوبة الصادقة لله عَزَّوَجَلَّ يتقبلها الله، بل يبدّل الله سيّئاتهم حسنات، كما ذكر الله سبحانه: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[الفرقان: ٧٠].

فتغيّر حالهم ورغبوا في مغفرة الله ورحمته، وأصبحت بيني وبينهم علاقة ربانية، وكان هذا الرجل في الحرم المكي يتأثر من قراءة الإمام ويتفاعل مع الآيات ويبكي، وقد انتقل الرجل والمرأة إلى رحمة الله عَزَّوَجَلَّ فيما بعد، وقد تركوا أولاداً وأحفاداً، فرحمة الله عليهم.

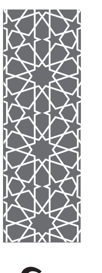
ومن هذا القبيل كانت أسئلة الناس عن التوبة والتخلص من الذنوب والآثام والمعاصي والمظالم، قصص كثيرة وجدوا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله حلولاً وإجابات عنها، فأحبوا دينهم وتعلقوا به.

٤- المرور بقناة السويس

عندما مررنا بقناة السويس نشطت الذاكرة في التاريخ القديم والحديث، وكيف شُقت هذه القناة، وسبحان الله كيف أمد الله تعالى العقل البشري بهذا التفكير، وهيأ له الأسباب والإمكانات لعمارة الأرض والقيام بواجب الخلافة فيها، وربط حركة التجارة العالمية بين الدول والقارات، وتوزيع الرزاق للأرزاق على عباده بوسائل لا تعد ولا تحصى.



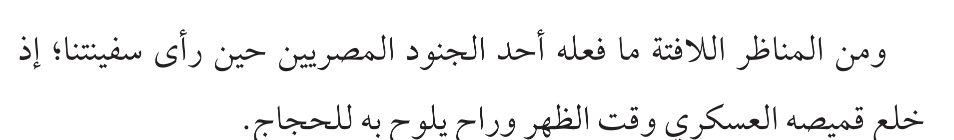







كان الجو جميلاً، وقد مررنا بالقناة عند الساعة ٢:٣٩ ظهراً.

ومررنا بالديار المصرية وبأمّ الدنيا، ورأينا المزارع والبساتين والفلاحين والجنود وعامة الناس الذين كانوا يحيّون الناس في السفينة ويطلبون منهم الدعاء مع صيحات التكبير، وقد وقفنا في ميناء بور سعيد والمصريّون يعرضون بضاعتهم على الحجّاج، ويسترزقون من فضل الله عَزَّوَجَلَّ، والمدن التي مررنا بها هي: الإسكندرية والإسماعيلية وبورسعيد، وكانت الأشجار والأراضي الخضراء والنخيل والبساتين ترى بالعين المجردة، وكذلك المباني والمساجد والمآذن.



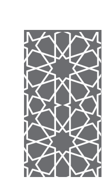
ومن المناظر اللافتة ما فعله أحد الجنود المصريين حين رأى سفينتنا؛ إذ خلع قميصه العسكري وقت الظهر وراح يلوح به للحجاج.

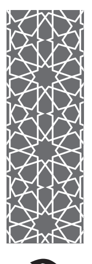
وكانت الجلسات الأخوية والأسرية على متن السفينة وهم ينظرون إلى ضفاف المدن المصرية مؤثرة وجميلة ورائعة ومذهلة.

وعندما أصبحنا في وسط البحر الأحمر، وفي الساعة الثانية عشرة مساء أعلن ربّان السفينة الاستعداد للإحرام. واقتربنا من ميقات (رابغ)، وشرعنا في الاستعداد ولبس ملابس الإحرام، وطبقنا السنن الواردة عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ؛ من تقليم الأظافر، وحلق العانة، والاغتسال... إلخ، بنية الإحرام، وارتفعت الأصوات بالتلبية: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك".

إنها لحظات لا تنسى، ونقطة تحول في حياتي وانتقال إلى عالم جديد بعد السجون والظلم والقمع والحرمان.







سبحان الله! ولدتني أمي عارياً ثم لفّتني بالقماش الأبيض، وها أنا قادم إلى ربي قاصداً بيته العتيق الذي رفع قواعده سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ليكون مثابةً للناس وأمناً، بالقماش الأبيض أيضاً.

ولا شك أن الشروع في لبس الإحرام يذكر بالقدوم على الله عَزَّوَجَلَّ، فالناس سواسية، الغني والفقير، والعالم والجاهل، والمسؤول والعامي، وكل ألوان البشر، واعتراني شعور عجيب عندما تأملت في تلك اللحظات الإيمانية الربانية الروحانية قولَ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾[الأنعام: ٩٤].

جلست مع الحجيج في مسجد السفينة، ثم دخلت الحجرة ووجدت أخي محسن القذافي يلبّي وحده مع خشوع وتأثر ظاهر، لا أستطيع تذكر الساعة، لأن الساعة التي كانت في يدي تجرّدت منها قبل الإحرام بقليل، والساعة التي كانت معي هي لشقيقي الدكتور أسامة، فقد أخذتها منه قبل ركوب السفينة بعدما ضعفت بطارية الساعة التي كانت في يدي، التي أهداها إليّ شقيقي الدكتور حسن.

وفي تلك الليلة التقيت برجل أسمر اللون كان معنا في رحلة الحج من قبائل الطوارق الليبية، وكان لقاء غريباً مدهشاً وفريداً من نوعه، فروح الرجل كانت هي التي تتحدث، والكلمات تتدفق من أعماقه ببساطة وتواضع وتعبّر عن إخلاص لله عظيم، وصدق في التوجّه نحو بيت الله تعالى، يريد شيئاً يقرّبه إلى الله عَزَّوَجَلَّ مهما كان هذا الشيء، ولو على حساب صحته.





يريد أن يضرب في الأعمال الصالحة بكل السهام التي يتقبلها العزيز الوهاب، وقد طلبت منه الدعاء.







٥- دخول ميناء جدة

دخلنا ميناء جدة الساعة ٨:٢٥، وكان الجو حاراً في يوم الأربعاء، وبعد الوصول إلى الميناء دخلنا على الجمارك بحمد الله تعالى، وختمت الوثائق ووزعت المشروبات على الحجاج، ولم يكن في الميناء غير الليبيين، صلينا الظهر قصراً في قاعة الجمارك، وكانت الإجراءات الأمنية مشددة، وهذا طبيعيّ ومطلوب؛ حتى يتحقق قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾[آل عمران: ٩٧].

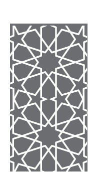
دخلنا مدينة الحجاج، وكانت عامرة بالأسواق والبضائع، والحركةُ التجارية نشطة، وبدأت قوافل الحجاج عبر الحافلات تتجه نحو بيت الله الحرام بالتدرّج، وتحركنا بعد صلاة المغرب.

وحدث أن صلينا في جدة في أحد مساجدها صلاة العصر وألقى شيخ ذلك المسجد درساً في مسائل الحج.

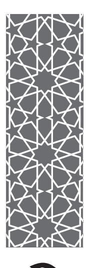
كان السائق الذي يقود الحافلة التي كنا فيها غير موفق ولا متوازن في قيادته، وأربك الحجاج، وتجول بنا في مدينة جدة التاريخيّة.

٦- دخول مكة

وعندما دخلنا ضواحي مكة وبرزت الجبال السود الصّلدة، خرج من سجلات الذاكرة سِيَر أولئك الذين كانوا يتجولون بين ربوعها؛ سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فهنا كان يعيش رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهنا صدع بدعوته، وهنا آمن أبو بكر، وسعد، وعلي، وزيد، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوّام، وعثمان بن عفّان، وعمر بن الخطاب، وحمزة بن عبد المطلب، وعمار بن ياسر، وسمية، وفاطمة، وخديجة.







كانت الذكريات تتزاحم، وتتداخل وتتعانق، والخيال يسرح، والذاكرة تمده بالمعلومات المتدفقة في هذه الأجواء الروحانية العالية.

ذكرتني السيدة أمل شنيب، والدة أخي محسن، رَحِمَهَاٱللَّهُ، بدعاء دخول مكة: اللهم اجعل لي فيها قراراً، واجعل لي منها رزقاً حلالاً، الأمن أمنك والبلد بلدك، والعبد عبدك... إلخ.

وبسبب الازدحام الكبير دخلنا الحرم المكي الساعة ١٠:٥٥ ليلاً، وظهرت لنا المآذن التي حول الحرم شاهقة عالية مرتفعة بأنوارها الجميلة.

والقلب مع اللسان ينطق: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله، اللهم زد هذا البيت تعظيماً وتشريفاً ومهابةً وتكريماً.

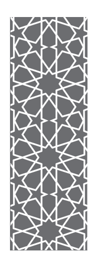
وصلنا إلى مقرّ السكن، وأُنزلت الحقائب، وافتقدنا حقيبتين ثم وجدناهما في نهاية الأمر.

واستعددنا أنا ووالدتي وأخي محسن، وعمتي أمل شنيب وابنتها ماجدة لأداء العمرة التي نويناها، وفي تمام الساعة الواحدة بعد منتصف الليل خرجنا من السكن قاصدين البيت الحرام مريدين الدخول من باب السلام الذي دخل منه رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ عند فتح مكة، ومع قدومنا وظهور الكعبة المشرفة المباركة، انفجرت بالبكاء والدعاء، ووقف شعر رأسي، وأصابتني قشعريرة سرت في جسدي، وسيطرت عليّ حالة أذهلتني، وتزاحمت الخواطر والأفكار والمشاهد، وسرح الخيال ثم رجع مركّزاً على البيت العتيق والطواف والعمّار والمصلين والركّع السجود.



وشرعنا في الطواف حول البيت العتيق سبعة أشواط، تخللته الأدعية والأذكار وتلاوة القرآن، وغُصت في أعماق التاريخ، وكأني حضرت هذا المشهد الرفيع







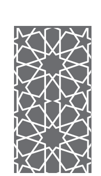
الذي ذكره الله في كتابه العزيز: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ - ١٢٩].

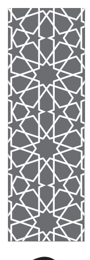
لقد طفنا حول البيت العتيق في أجواء إيمانية رفيعة، وتجليات روحانية فريدة، بين بكاء وفرح واختلاط مشاعر، وتزاحم ذكريات من عبق التاريخ إلى حاضرنا السعيد.

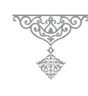
وصلينا في مقام إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، واجتهدنا في الدعاء، ثم شربنا من زمزم، وكنت مصاباً بفقد الشهية بعد خروجي من السجن، وكنت جلداً على عظم كما يقال، حتى إني كنت إذا أكلت أتقيأ بعدها، فدعوت الله بالشفاء، وأن ييسر لي طلب العلم، وأن يغفر لي ويرحمني ويتولاني، وقد كنت عند خروجي من السجن وقفت أمام بابه وقلت: "اللهم سيرني ولا تخيرني، فما تختاره لي فهو الخير، وما أختاره لنفسي يحيّرني".

كانت الدعوات تخرج من أعماق الأعماق وتصعد إلى خالقي العظيم، فما قصدت بابه إلا فتح، وما دعوته إلا استجاب، ما تركني ربي في طفولة ولا شباب، ولا في سجن ولا في مهجر، وأسأله أن يحسن ختامي، وأن يحشرني مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يبارك في علمي وعملي، وأن يجعله لوجهه الكريم خالصاً ولعباده نافعاً.

ثم بعد الطواف والصلاة في مقام إبراهيم وشرب ماء زمزم بدأت بالسعي بين الصفا والمروة، مع تلاوة قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ







ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨].

شرعنا في الأذكار والتسبيح وحمد الله والصلاة على النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وتلاوة القرآن، وفي تلك المناسك يتبين لك رسالة الإسلام التي جاءت لتحطم الوساطة المصطنعة بين الله وعباده، وتحطم الفوارق المتوهَّمة بين الناس.

وفي الشوط السابع من السعي بين الصفا والمروة ارتفع أذان الحرم المكي الشريف لصلاة الفجر، وبعد إتمام الطواف بين الصفا والمروة وصلاة الفجر هجم النعاس عليّ هجوماً عنيفاً، ورجعنا إلى البيت، وما زال أمامنا الحلق، فحلق لي محسن، وحلقت له، بعد وصول الإجهاد إلى أقصاه، ثم نِمْنا بعدها.

بعد الاستيقاظ أفطرنا ونزلنا إلى السوق القريبة من الحرم، ثم ذهبنا إلى المسجد الحرام وطفنا حول البيت الحرام، وبعد صلاة المغرب جلسنا في حلقة الشيخ صالح اللحيدان من كبار علماء السعودية، واستفدنا من علمه الغزير وإجاباته القوية عن أسئلة الناس، وبعد صلاة العشاء قرأنا ما تيسر من القرآن الكريم، ثم ذهبنا إلى الأسرة وأحضرنا لهم العشاء، وبعد ذلك رجعنا إلى الحرم وإلى الطواف حول الكعبة، ووصلت إلى الحجر الأسود وقبلته، وقلت كما قال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: "والله إني أعلم بأنك حجر لا تنفع ولا تضر غير أني رأيت رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يُقبِّلك، ولولا ذلك ما قبَّلتُك".

ثم التزمت الملتزم، ودعوت الله بما فتح عليّ، ومن الأدعية الجامعة في الطواف، قول الله تعالى: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة: ٢٠١]. وهذا الدعاء يقال بين الركن اليماني والحجر الأسود، وللعبد أن يدعو بما يشاء، ويذكر الله ذكراً كثيراً: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.








وأكثرت من هذا الدعاء: "اللهم اجعله حجاً مبروراً، وذنباً مغفوراً، وسعياً مشكوراً، اللهم اغفر، وارحم، واعف عما تعلم، إنك أنت الأعز الأكرم".

وقد اجتهدنا في الطواف، وابتعدنا عن القيل والقال، وتتبعنا في تلك الرحلة المواضع التي ذكر العلماء أن الدعاء يستجاب فيها؛ في الطواف عند البيت، وفي المسعى، وفي مزدلفة، وعند الملتزم، وعند شرب ماء زمزم، وخلف مقام إبراهيم، وفي منى، وفي عرفات، وعند الجمرات، فهذا موسم الدعاء، وموسم التضرع إليه والجأر إليه بالدعاء المتواصل بالسكينة والخشوع والتذلل بين يديه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وكنا نتدبر أنا وأخي محسن قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٨ - ٤٠].

من اللطائف التي ذكرها العلماء أن الطواف يبدأ من عند الحجر الأسود، ويجعل الطائف البيت الحرام يساره، على عكس عقارب الساعة، وذلك استدعى مني التأمل والتفكر في الطواف، إذ المعروف أن التيامن (من جهة اليمين) سنة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي كان يعجبه التيامن في كل شيء، فأية حكمة أن يجعل الطواف من اليسار، وأن يكون البيت يسار الطائف؟ وما المعنى في ذلك؟ فرأيت الأفلاك والكواكب كلها، حتى الشمس، تجري في دائرة تطوف بها من اليسار إلى اليمين على عكس عقارب الساعة، حتى المجرة التي تسمى "درب التبانة" جريانها من اليسار، وكذلك دورة الإلكترونات من اليسار إلى اليمين، والدم كذلك يدور في جسم الإنسان من القلب إلى سائر أنحاء الجسم من جهة اليسار، عكس عقارب الساعة.





وإذ قلنا يتحرك أو يدور، فذاك معنى الطواف، وكأن الأفلاك تطوف بتسبيح خالقها والكون كله يسبح خالقه بما يسمى بالحركة أو الدورات، فذاك هو الطواف قال تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[الإسراء: ٤٤][1].

وقد تعلمنا أن الإكثار من الطواف في موسم الحج مستحب، ولذلك أكثرنا منه، وكان معظم الوقت في الحرم المكي بين الصلوات المكتوبة، والنوافل، والطواف، ومجالس العلم، وتلاوة القرآن الكريم.

كانت الصور في مشهد الطواف كثيرة؛ فهذه صورة رجل فاقد لرجليه يطوف حول البيت، وهذه امرأة قد تقوس ظهرها وتسعى بين الصفا والمروة، وهؤلاء شباب، وأولئك كهول وشيوخ ونساء، وهذا يدعو وهذه تبكي، وهذا ساجد وذاك راكع، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج: ٢٦].

وجاء يوم الجمعة، وحضرنا الخطبة في المسجد الحرام، وكانت الحشود كبيرة، والمسجد الحرام قد امتلأ حتى أصبح الناس يُصلُّون خارج الحرم.

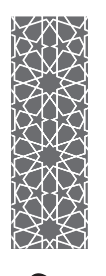
وقد رأيت وفود الحجاج تتوافد على مكة كلما اقتربنا من يوم التروية، والوقوف بعرفة، من أمريكا وكندا وأوروبا وأفريقيا والدول العربية والعالم أجمع، وكانت أكثر وفود الحج تنظيماً ودقة وترتيباً:

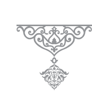
- وفود تركيا.
- وفود ماليزيا.
- وفود إندونيسيا.



(١) طارق سويدان، **أسرار الحج والعمرة**، ص ٩٣.







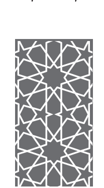
وقد حضرتني الآيات الكريمة في دعاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[إبراهيم: ٣٧].

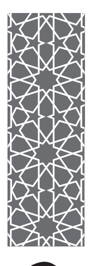
إن مناسك الحج وزيارة بيت الله الحرام ومشاهدة أصناف البشر وأشكالهم، بِلُغاتهم وألوانهم يذكر بيوم المحشر العظيم: (يوم القيامة).

وفي يوم السبت ٩/ ٧/ ١٩٨٨م مرض أخي محسن القذافي مرضاً شديداً، واشتد به الألم، ووالدته ووالدتي وأخته ملازمون له، ولم يستطع أن يذهب إلى المسجد الحرام، واستدعيت طبيب اللجنة الصحية لبعثة الحج، وكتب له العلاج المطلوب، وبقيت والدته بجانبه.

وكانت السيدة أمل شنيب من المثقفات والمتعلمات على المستوى الوطني، وكان زوجها ونيس القذافي رئيس وزراء في عهد المملكة الليبية، وكانت مجتهدة في العبادة تختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام في آخر عمرها مع صيام الاثنين والخميس، وكنت لها بمنزلة الابن، وهي والدتي الثانية، رَحِمَهَا اللَّهُ برحمته الواسعة.

تركت أخي محسن ونيس مريضاً وذهبت إلى المسجد الحرام وحدي، وشعرت بالوحشة والقلق لمرض محسن، فقد تعودنا المزاح والمداعبة والملاطفة في طريقنا، والمراجعة لكتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وصليت الظهر، وكان مخططي أن أبقى إلى العصر، ولكنني لم أستطع، فرجعت لأتفقد أحوال محسن الصحيّة، وقد كنا مرتبطين بختمة للقرآن الكريم واحدة نقرأ بها معاً، وتذكرت بشرى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن حبسه المرض عن بعض الطاعات بأنه تكتب له حسناته كأنه مقيم صحيح، سبحان الله ذي الجود والكرم والفضل! أهناك أكرم من الله؟! أهل هناك أجود من الله؟! لا أحد.





تحسنت -ولله الحمد- حالة محسن، ورجعنا إلى ما كنا عليه في قضاء معظم الوقت في المسجد الحرام.

زرت المكاتب في مكة، واشتريت كثيراً من الكتب الدينية والتاريخية والفكرية، وكانت والدتي متخوفة من مصادرتها بعد رجوعنا، وكانت كتب الشيخ أبو بكر الجزائري والشيخ محمد الغزالي وسيد سابق وابن تيمية وابن القيم، وغيرها موجودة بكثرة.

وكتب التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة والأدب والبلاغة والعقائد متوفرة، واشتريت كتباً عن تراجم النساء وقصة النساء، ونويت بها هدية لأخواتي فوزية رَحِمَهَاٱللَّهُ تعالى وعائشة وسمية وآمال، فالكتب النافعة عندي من أفضل الهدايا، والحمد لله أن يسّر الله دخولها للبلاد بعد رجوعنا وكانت بالعشرات.

كنا محافظين على الصلاة في المسجد الحرام، ونراجع ما تيسر من القرآن مع الطواف والنوافل، وفي كل صلاة، ولاحظت أنه بعد كل فريضة في المسجد الحرام كان يُصلى على الموتى، فلا أذكر أنه مرّ يوم لم نصل فيه على الموتى.

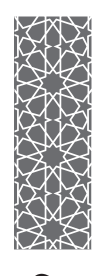
أ. لقاء مع مجاهد أفغاني

في الحرم المكي بعد السلام من صلاة العشاء سلّم عليّ رجل في ضخامته مثلي مرّتين، كثّ اللحية، سمات الرجولة على وجهه، سألته: من أين أنت؟ فأخبرني أنه من أفغانستان، وأنه من المجاهدين، كان يتكلم العربية بصعوبة، ولكن فهمت منه أنه أصيب في إحدى المعارك، ورأيت آثار الرصاص ودخلت أصبعي في موضع الرصاصة.



كنا في تلك الفترة نتابع أخبار المجاهدين الأفغان ضد الاتحاد السوفيتي من الإذاعة، والجرائد، ومحطات الأخبار، ولكن الآن أسمع عن أخبار المجاهدين





ممن كان في وسطهم، ويصعب عليّ وصف الشعور، وخصوصاً أن أشرطة الدكتور عبد الله عزام قد مهدت لمعرفة حقيقة الصراع في أفغانستان، وكانت قد انتشرت في العالم الإسلامي وأثّرت في شباب العرب الذين انخرطوا مع إخوانهم الأفغان ضد المحتل الروسي، وكانت دول الخليج، وعلى رأسها السعودية، داعمة للشعب الأفغاني على مستوى الشعوب والدول، وقصة ملحمة الجهاد الأفغاني يطول شرحها.

وقد أنشدت للمجاهد الأفغاني في الحرم المكي قول الشاعر:

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا لعلمتَ أنَّكَ في العبادة تلعبُ
من كان يخضبُ خدَّه بدموعِهِ فدماؤنا بنحورنا تتخضبُ

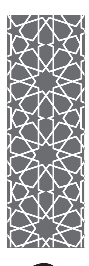
ب. لا بد من إذن الدولة في دروس الحرم

وفي الحرم المكي بينما كان شاب قمحيّ البشرة كثّ اللحية يلقي دروساً وحوله مجموعة من الناس، جاء حرّاس المسجد الحرام وطلبوا منه أن يقف عن الوعظ والإرشاد في الحرم حتى يتحصّل على إذن بذلك، وفهمت بعدها من أناس عاشوا في السعودية من زمن بعيد أن الدروس في الحرم شُدِّد عليها؛ فبعد حادثة اقتحام جهيمان للحرم المكي، التي عُرفت بفتنة جهيمان، وسببت الهرج والمرج والرعب والخوف في صفوف من كان داخل الحرم المكي، وبعد القضاء على هذه الفتنة، شددت السلطات السعودية الإجراءات لحماية الحجاج وتنظيم الإرشاد والوعظ وتعليم الناس، وخضعت لإجراءات أمنية صارمة.

ج. حضور محاضرة للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ

سمعنا عن محاضرات إسلامية ستلقى في مكتبة الحرم المكي، وبأن البداية ستكون للشيخ عبد العزيز بن باز، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مفتي الديار السعودية، وكانت شهرته





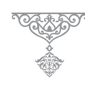
قد عمّت الآفاق، وكنا تعرفنا عليه من خلال برنامجه نور على الدرب، فحرصنا على حضور المحاضرة أنا ومحسن.

في ذلك اليوم بقينا في الحرم المكي، فجلسنا على الصفا نراجع أنا ومحسن ما تيسر من القرآن الكريم، وكانت تجليات تلاوة القرآن الكريم فاضت علينا روحياً ومعنوياً وإيمانيّاً، وقبل المغرب بساعة نزلنا بالقرب من ماء زمزم حيث هناك محل الشيخ صالح اللحيدان الذي كان يعطي الدروس ما بين المغرب والعشاء يومياً، فكان يعطي نصف ساعة محاضرة، ثم يفتح أبواب الأسئلة، وكان متمكناً في الإجابات، وأدلته من القرآن والسنة.

كانت الأسئلة عن الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة والمبيت بمنى والواجبات والسنن والهدي وترك المبيت بمنى، وترك رمي الجمار، والرمي قبل الزوال، وغيرها، فأجاب عنها الشيخ، وتكلم عما يجب أن يتخلق به الحاج؛ من ابتعاد عن الفسوق والجدال في الحج، وشرح قول الله تعالى: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ﴾[البقرة: ١٩٧].

خرجنا قبل الدرس بربع ساعة متجهين إلى باب الملك عبد العزيز ومنه إلى مكتبة الحرم لحضور محاضرة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وشد انتباهي ضخامة وجمال باب الملك عبد العزيز مؤسس المملكة العربية السعودية، وعندما انتهينا من صلاة العشاء توجهنا نحو قاعة المحاضرات في مكتبة الحرم المكي، وبدأ الازدحام من الجمهور الذي قصد الاستماع للشيخ الجليل، من مصر والسودان والكويت والسعودية والبحرين والمغرب والجزائر وغيرها من بلدان العالم العربي.









كانت المحاضرة عن التقوى وحقيقتها، واستدل الشيخ بآيات من الذكر الحكيم، وكان حديثه يدل على علم غزير، يومها شاهدت الشيخ وقد تقدمت به السن، وحمدت الله أن جمعنا به.

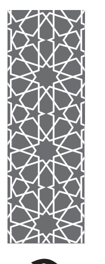
والشيخ عبد العزيز بن باز من كبار علماء عصره، واشتهر بالزهد، والجود، والكرم، والفقه، واهتمامه بقضايا العالم الإسلامي؛ فلسطين ومسلمي الفلبين والأفغان.

وكانت له مواقف ومراسلات في نُصح الحكام والدفاع عن الدعاة والعلماء في العالم الإسلامي، واشتهر خطابه إلى جمال عبد الناصر، فلما حكم جمال عبد الناصر على سيد قطب بالإعدام، وذلك يوم ٢٩ أغسطس ١٩٦٦، وجه ابن باز رسالة إلى عبد الناصر قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى الرئيس جمال عبد الناصر، السلام على من اتبع الهدى، يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾[النساء: ٩٣]، والسلام.

ويحظى الشيخ ابن باز باحترام كبير من المملكة العربية السعودية عند ملوكها وأمرائها وشعبها، وترأس الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وجمع فيها خيرة علماء الأمة من الشام والعراق ومصر وسوريا وموريتانيا، فرَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمة واسعة، وأعلى ذكره في المصلحين.

كانت الأيام العشر من ذي الحجة حَرِّية باهتمامنا، فقد قال فيها رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام». فقالوا: يا رسول الله، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء».





٧- الشروع في مناسك الحج

وشرعنا في مناسك الحج، وجاء يوم التروية، وهو اليوم الثامن من ذي الحجة، ولبسنا ملابس الإحرام، كان هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحجته العظيمة أمامنا، فكنا حريصين أشد الحرص على الاقتداء به.

ذهبنا إلى منى، وفي اليوم التاسع مع شروق الشمس توجهنا إلى عرفة ووصلنا إليها، وهو يوم عظيم مشهود، وفضله عظيم، وثوابه جسيم، يكفر الله به الذنوب العظام ويضاعف فيه الأعمال؛ وقد ورد في الحديث أنه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «ما من يوم يعتق الله فيه عبيداً من النار أكثر من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة، فيقول: ما أراد هؤلاء؟»، وروى الترمذيُّ من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

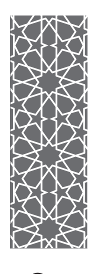
واجتهدنا في الدعاء في ذلك اليوم العظيم، وقد قال رسول الله: «ما رؤي الشيطان يوماً هو فيه أصغر، ولا أدحر، ولا أحقر، ولا أغيظ منه في يوم عرفة»، وما ذاك إلا لما يرى من تنزل الرحمة، وتجاوز الله عن الذنوب العظام.

ذلك اليوم لا ينسى ولا يذهب من ذاكرة الأحداث، وكان له ما بعده من قبول دعوات في طلب العلم وتيسير الأمور والنجاة من الظالمين، ورعاية الله لعبده الضعيف.



وقد وفقني الله ووالدتي ومحسناً ووالدته وأخته في ذلك اليوم، فاجتهدنا في الدعاء، والاستغفار، والتضرع، وإظهار الضعف، وشدة الافتقار،





ولا نكاد نفتر من قول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير".

اللهم اجعل لي في قلبي نـوراً، وفي سمعي نـوراً، وفي بصري نوراً، ويسر لي أمري.

قال الشاعر:

ضجّت دموعي من لظى عبراتي ... لمّا وقفت على ثـرى عرفاتِ

لما ذكرتُ الموتَ في أهـــواله ... وذكـرتُ هول النزع والسَكَراتِ

وذكـرت بالجمع الغفير مواقِفاً ... أُخـرى بيوم الحشر والحسراتِ

ومضى لهيب الخوفُ يُحرق مُهجتي ... والنفس تبكي سالف الغدراتِ

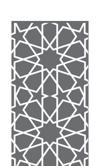
فرفعت كفي والـدمـوع كأنها ... سيلٌ تدفَّق من ذُرا الـسَّـرواتِ

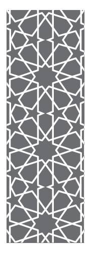
يا ربِّ تبتُ إليك فاقبل توبتي ... واجعل مكان السيئ الحسناتِ

فسمعت في عمق الضمير منادياً ... دَعْ ما مضى وقضى وقم للآتي(1)

وبعد غروب شمس يوم عرفة سرنا بهدوء وسكينة نحو المزدلفة مع التلبية والذكر، وفي الطريق جمعنا بين المغرب والعشاء جمع تأخير، ووصلنا إلى المزدلفة، ونمنا وتركنا قوافل الحجاج الليبيين الذين رجعوا إلى منى، وصلينا الفجر في المزدلفة، ووقفنا عند المشعر الحرام فيها، وأكثرنا من الدعاء والذكر، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾[البقرة: ٢٠٠]، كل المواقف تدعونا إلى طلب المغفرة والرحمة من الله،

(١) د. طارق سويدان، **أسرار الحج والعمرة**، ص ١٣١.





إن الآية الكريمة تقول: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٩٩].

وقد حضرني ونحن في عرفة قول عبد الله بن المبارك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ظن أن الله لا يغفر لهم -أي لأهل عرفة- فإنه أسوأ الناس حالاً.

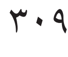
ومع هذا الظن الحسن بالمغفرة يتوجس قلب المؤمن من التقصير الدائم الذي هو من طبيعة المخلوق، فيكثر من الاستغفار، ومن ثم فإن الاستغفار بعد المغفرة شكر، كما ورد عن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ قيل له إنك تكثر الاستغفار، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟».

فالاستغفار هنا هو استغفار عن التقصير، وعن شكر الله حق شكره، فنحن مهما شكرناه نبقى مقصرين، وحتى لو غفر لنا كل ذنوبنا فنحتاج أن نستغفره سبحانه؛ لأننا لم نشكره على نعمه كما يستحق، فنستغفر الله ونتوب إليه[١].

وبعد صلاة الفجر وشروق الشمس من عند المشعر الحرام في اليوم العاشر من ذي الحجة انطلقنا من المزدلفة إلى منى -وهذا يوم العيد- لنؤدي بعض المناسك في هذا اليوم الأغر، يوم الحج الأكبر -على قول بعض العلماء- لأن الحجاج يقومون بعدة أعمال من مناسك الحج: يهراق فيه الدم، وتذبح الذبائح، ويحلق أو يقصر فيه الشعر، ويحل المحرم من إحرامه، ولأن فيه -أي يوم النحر- الحج كله، فالوقوف بعرفة في ليلته والرمي والنحر والحلق والطواف في صبيحته، وهو العيد الكبير، عيد الأضحى للمسلمين، يكبرون، ويظهرون الفرح والسرور.



(١) المرجع السابق، ص ١٣٥.









ومن عظمة أعياد المسلمين أنها تأتي بعد الطاعة، فعيد الفطر جاء بعد صيام شهر كامل، والعيد الكبير جاء بعد الوقوف بعرفة.

وقد حرصنا أنا وأخي محسن على مراعاة الترتيب الذي فعله النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو: الرمي فالذبح فالحلق والطواف، وإن كان الذبح قد قامت به شركة الراجحي بعد أن اشترينا منها الهدي.

أ. الرمي

وبدأنا بالرمي، وكان الازدحام شديداً وعظيماً، واختلط الناس، وصعب علينا الأمر، وطلبنا من الوالدات الكريمات أن نرمي عنهن؛ لما في ذلك من مشقة، فأصررن على أن يقمن بكل المناسك بأنفسهن.

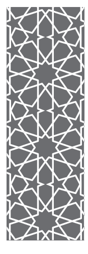
وقد أحضرنا معنا الحصيات من المزدلفة، وراعينا أن تكون كل حصاة بقدر حبة الفول، وهي سبع حصيات، وكنا نرمي كل حصاة، ونقول: "باسم الله والله أكبر"، وبدأنا بالرمي –رمي الجمرة الأولى جمرة العقبة– في يوم النحر.

وتذكرنا قصة سيدنا إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ذلك الموطن؛ إذ لما أتى المناسك عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثانية فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض، ثم عرض له عند الجمرة الثالثة فرماه بسبع حصيات حتى ساخ في الأرض.

وكأنَّ الرامي عندما يرمي الحصاة يتبرأ من الشيطان، وشبهاته، وأعماله، ووسوسته، وطريقته، ومنهجه الضال، ولن أرضى في المستقبل بعد أن غفر الله لي بحجي أن أقع في حبائلك الملعونة، ولن أنشغل بعد اليوم بشهواتك المحرمة، ولا شبهاتك المضللة، ولن أكون في طريق الظالمين لأنفسهم أو لغيرهم.







ومن أسرار الرمي مجاهدة الشيطان بالعداوة، وأن يحقق قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[فاطر: ٦].

وأن يتحفز الحاج من الآن للتصدي لدسائس الشيطان بكل قوة وبكل يقظة، فالمعركة معه مستمرة، وتنتهي بخروج روح الإنسان.

لقد رجم الحجاج مصدراً من أهم مصادر الشر، وهو الشيطان، وهذا الرمز الجميل -أعني رجم مصدر من مصادر الشر- هو الذي يتكرر كل عام حينما يوشك الحجاج أن ينتهوا من حجهم.

إن الحكمة من رمي الجمار في الحج إنما هي رمي مصدر من مصادر الشر والإثم والمعصية، وذلك تسجيل مؤكد، وإعلان مشهود، وإشهار سافر، على أن الحاج قد عزم عزماً لا تزعزعه أعاصير الشهوة أو مغريات الفتنة على أن يصبح خيراً كله، لا مجال لنزغات الشيطان للتسلل إلى نفسه؛ فقد أصبح -بتطهير نفسه وبتوفيق الله له وبرجم الشيطان- من عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم[1].

ويستحب للحاج أن يدعو طويلاً بعد الرمي، يدعو رافعاً يديه حذو منكبيه، مستغفراً لنفسه ولأبويه وللمؤمنين، فإذا رمى حلّ للمحرم كل شيء إلا النساء، وهذا هو التحلل الأول[2].

ب. الذبح



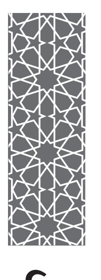


والذبح للمتمتعين بالعمرة ثم الحج، أو للقارنين بين العمرة والحج، وساقوا معهم الهدي، فإن لم يجد المتمتع ثمن الأضحية صام ثلاثة أيام هناك وسبعة

(١) عبد الحليم محمود، **قصص الأنبياء في رحاب الكون**، ص ١٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٥.







إذا رجع إلى أهله، كما نصت الآية الكريمة، قال تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[البقرة: ١٩٦].

وقصة الذبيح شهيرة، وضاربة في أعماق التاريخ، وذلك في عهد سيدنا خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد حفظ الله في القرآن الكريم تفاصيلها، في سورة الصافات، وهي الخاصة بحادثة الرؤيا والذبح والفداء، مفصّلة المراحل والخطوات والمواقف في أسلوبها الأخّاذ وأدائها الرهيب، ممثلة أعلى صور الطاعة والتضحية والفداء والتسليم في عالم العقيدة بتاريخ البشر الطويل[1].

أخذ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ يشبّ ويترعرع حتى بلغ السن التي يتمكن فيها من السعي والعمل، وبلغ أيضاً من حب والديه مبلغاً عظيماً، وكان الحب يزداد مع الأيام ويكبر على مر السنين، وإذا بوالده يرى فيما يرى النائم أنه يذبح ابنه، وكان الوالد يعلم أنها إشارة الله إليه بذبح ابنه.

إنها إشارة من نوع الابتلاء الذي اختبره الله تعالى به في تحطيم الأصنام والإلقاء في النار، وقد نجح في الاختبار السابق، واجتازه على ثقة بالله لا حدّ لها، بيد أن الابتلاء السابق واضح المعنى سافر الملامح، لقد كان أمراً صريحاً بتحطيم الأصنام وكان تحطيماً مفهوم الدلالة، فينبغي ألا يعبد مع الله صنم أو غيره ولا يجوز في منطق العقل والشعور السليم أن ينصرف الإنسان عن مانع التعلم، وكان الإلقاء في النار أيضاً واضح المعنى، إنه في سبيل الله، وفي سبيله يهون كل ألم.

---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن**، (٥/ ٢٩٩٢).





ونجح إبراهيم في الابتلاء الماضي، وحفظه الله سبحانه، وكتب له النجاة، كما يفعل سبحانه مع كل من والاه[١]، كما نجح في ابتلاء الهجرة ومعاناتها، وحان الوقت لابتلاء من نوع جديد أشار الله فيه إلى إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بذبح ابنه.

فلما أقدم على ذبحه، وكانت محبة الله أعظم عنده من محبة الولد، خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة، فلم يبق في الذبح مصلحة، وحصل مراد الرب، وصدّق إبراهيم الرؤيا وفداه بذبح عظيم.

والقصة تدلّ من سياقها على أن مراد الله تعالى من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن ذبح إسماعيل، بدليل أن الذبح لم يحدث، وإنما كان المراد أن يذبح إبراهيم شغفه الزائد بابنه، وتعلّقه به؛ لكيلا يؤثر ذلك في مرتبة الخلّة التي لا تقبل المشاركة والمزاحمة في المحبّة[٢].

قال تعالى في سورة الصافات: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢ – ١٠٧].

وفي قوله تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧] أي: فدى الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بكبش عظيم، ومعنى عظيم: أي سمين أو عظيم القدر، لأنه يُفدى به نبيّ ابن نبي[٣].



(١) عبد الحليم محمود، **قصص الأنبياء في رحاب الكون**، ص ١٢٦.
(٢) أحمد براء الأميري، **إبراهيم** عَلَيْهِ السَّلَامُ **ودعوته في القرآن**، ص ١٢٩.
(٣) د. علي الصلابي، **إبراهيم خليل الله**، ص ٤٥٣.







ومضت بذلك سنة النحر في الأضحى ذكرى لهذا الحدث العظيم الذي يرتفع منارة لحقيقة الإيمان، وجمال الطاعة، وعظمة التسليم، والذي ترجع إليه الأمة المسلمة، لتتعرف فيه حقيقة أبيها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي تتبع ملّته[1].

قال السعدي، رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، في قوله: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠٧] : أي صار بدله ذبح من الغنم عظيم، ذبحه إبراهيم، فكان عظيماً من جهة أنه كان فداءً لإسماعيل، ومن جهة أنه من جملة العبادات الجليلة، ومن جهة أنه كان قرباناً وسنة إلى يوم القيامة[2].

إن مناسك الحج التي شرعنا بها ربطتنا بإبراهيم وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ والسيدة هاجر، وتذكرنا تاريخهم المجيد وما فيه من دروس وعبر وفوائد.

ج. طواف وسعي الإفاضة

وبعد الرمي والحلق ذهبنا إلى الكعبة لتأدية ركن من أركان الحج، وهو طواف الإفاضة، وبعد طواف الإفاضة يحل للمحرم كل شيء، وهو ما يسمى بالتحلل الأكبر، لأنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفاض إلى مكة راكباً، وطاف طواف الإفاضة، فصلى بمكة الظهر فأتى بني عبد المطلب يسقون على زمزم، فقال: «انزعوا بني عبد المطلب، فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم»، فناولوه دلواً فشرب منه، ثم رجع إلى منى من يومه ذلك[3].

د. أيام التشريق

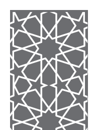
وتسمى أيام منى، وحرصنا أن نفعل كما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذه الأيام وفي مواطن الحج كلها، التزاماً بما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

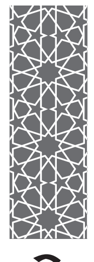
---

(١) سيد قطب، **في ظلال القرآن** (٥/ ٢٩٩٦).

(٢) **تفسير السعدي**، ص ١٤٧٧.

(٣) **صحيح السيرة النبوية**، ص ٦٦٣.





«خذوا عني مناسككم»، وبعد المبيت في منى وفي اليوم التالي شرعنا في رمي الجمرة الأولى ثم الوسطى ثم الجمرة الثالثة، وهي جمرة العقبة، وهي من ذكر الله تعالى في هذه الأيام، وهذه الأيام قال عنها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيام أكل وشرب.

وتعجلنا في أيام التشريق فقد ارتبطنا بالذهاب إلى المدينة المنورة بعد طواف الوداع، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٠٣].

٨- طواف الوداع

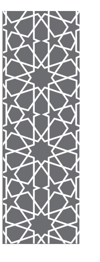
خرجنا يوم الثاني عشر من ذي الحجة، وكان ذلك قبل غروب الشمس وكنا من أصحاب النفير الأول، والكثير من أبناء الأمة بقوا لليوم الأخير.

وبعد أن وصلنا إلى مكة توجهنا إلى الكعبة لطواف الوداع، وكان وداعاً بالجسد لا بالروح، وطبقنا قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا ينفر أحدكم حتى يكون آخر عهده بالبيت». وودعنا بيت الله الحرام بالدموع والبكاء والدعاء، وذكر الله عَزَّ وَجَلَّ، وكنت أدعو: اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي بالبيت، وقد استجاب الله لي لسنوات عديدة الزيارة بعدما صرت طالباً بالجامعة الإسلامية، وكذلك بعد التخرج، فاللهم لك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

ما أجملها من أيام مضت بين مكة وعرفات ومنى والكعبة والقيام بمناسك الحج! لقد تطهرت النفس، وتنوّر العقل، وتعلق القلب بخالقه









وبيت الله الحرام، ولقد انطلقت الروح تلبي أشواقها الرفيعة لكي تسير على نهج موكب الأنبياء والمرسلين.

وبعد طـواف الــوداع بدأنا رحلة جميلة نشدّ الخُطى نحو مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٩- زيارة المدينة المنورة

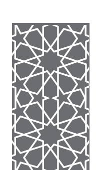
خلال إقامتي في السجن رأيت رؤيا، وقد قصصتها على الشيخ محمد الحراثي، وهي أني مع أخي محسن نزور قبريَ أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، فقال الشيخ: "ستذهبان للحج أنت ومحسن"، وهذا ما حدث، وزرنا مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقبره وقبر صاحبيه أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، وتحققت الرؤيا بفضل الله ومنّه وكرمه وجوده.

لم تكن الاستعدادات للجنة الحج الليبية على المستوى المطلوب، فقد اتسمت بالفوضى، والعبثية، وعدم الترتيب، وفضلت الإشارة على التفصيل، لأنها كانت حالة مؤسفة من التخلف والجهل والمحسوبية.

في نهاية المطاف تحركنا في الحافلات التابعة لوفد الحج الليبي إلى المدينة، وعندما اقتربنا من المدينة، وظهرت لنا معالم المسجد النبوي الشريف، جالت الذكريات وكأني بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أمام ناظريّ، هذا مصعب بن عمير قد دخل المدينة ونزل ضيفاً على أسعد بن زرارة وأسلم على يديه سعد بن معاذ، وقد نجح في نشر الدعوة الإسلامية فيها وتعليم المسلمين الجدد أحكام دينهم وكتاب ربهم.

وهذه أول طلائع الهجرة بعد العقبة الثانية يتقدمها أبو سلمة بن عبد الأسد، وعامر بن ربيعة، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة، وها هم أصحاب رسول الله







صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتوافدون على المدينة أرسالاً، فنزلوا على الأنصار في دورهم، فآووهم، ونصروهم وآسوهم، وهذا سالم مولى أبي حذيفة يؤم المهاجرين بقباء، قبل أن يقدم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإذ بالذاكرة تستحضر مشاهد الهجرة النبوية، ورحلته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع الصدّيق من مكة إلى المدينة، واستقبال الناس لهم، وبناء المسجد النبوي، ووثيقة المدينة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وتجلت أمامي عظمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البشرية في علمه وجهاده وعقله وروحه ونفسه، فدمعت عيناي وأنا أردد قول حسّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وأجمل منك لم تر قط عيني ... وأفضل منك لم تلد النساءُ

خُلِقت مبرَّأ من كل عيبٍ ... كأنَّك قد خُلِقت كما تشاءُ

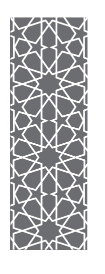
واستمرت ذكريات المدينة في عهد تأسيس الدولة الإسلامية تتزاحم وكأني أنظر إلى شاشة أمامي، هذه غزوة بدر وتلك أحد، وهذه الأحزاب والمشاهد، والحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، ونزول الوحي على رسول الله، وأحداث عظيمة ملهمة للأمة الإسلامية على مرّ العصور وتوالي الدهور.

لقد عظُم شرفُ المدينة المنورة المباركة بهجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليها، حتى فضلت على سائر بقاع الأرض، خلا مكة المكرّمة، وفضائلها كثيرة، منها: كثرة أسمائها، ومحبته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لها، ودعاؤه برفع الوباء عنها، ودعاؤه لها بضعفي ما في مكة من البركة، وفضيلة الصبر على شدّتها، وفضيلة الموت فيها، وحفظ الله إياها لمن يريدها بسوء.



لقد فاضت المشاعر النبيلة مختلطة بالإيمان، متواصلة مع التاريخ. وحان الدخول للمسجد النبوي الشريف بعدما نزلنا في مقر الإقامة،





وصلينا صلاة العشاء في المسجد النبوي، ويا لها من صلاة! ويا له من خشوع! ويا لها من سكينة جرت في قلبي ولامست روحي!

بعد السجن الطويل والانقطاع عن العالم، إذ برحمة الله التي وسعت كل شيء تنقذنا من تلك المحن ويكرمنا الله بالمنح الربانية من حج بيته الحرام، وزيارة مسجد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي قال عنه: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام».

وقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، ومسجد الأقصى».

حرصنا أنا وأخي محسن على زيارة قبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصاحبيه، وتحققت الرؤيا، وكان موقفاً مهيباً عند الوقوف على قبره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم أتمالك نفسي من البكاء، وأصبت بالقشعريرة، واستحضرت تاريخ الصحابيين العظيمين: أبي بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا.

قال الشاعر:

قل إن خير الأنبياء محمدٌ ... وأجل من يمشي على الكثبانِ

وأجل صحب الرسل صحب محمدٍ ... وكذاك أفضل صحبه العُمرانِ

رجلان قد خُلقا لنصر محمد ... بدمي ونفسي ذانك الرجلانِ

فهما اللذان تظاهرا لنبينا ... في نصره وهما له صهرانِ

بنتاهما أسنى نساء نبينا ... وهما له بالوحي صاحبتانِ

أبواهما أسنى صحابة أحمد ... يا حبذا الأبوان والبنتانِ

وهما وزيراه اللذان هما هما ... لفضائل الأعمال مستبقانِ






وهـمـا لأحـمـد نـاظـراه وسمعه	وبقربه فـي القبر مضطجعانِ
كانا على الإســلام أشفق أهله	وهـمـا لـديـن مـحـمـد جـبـلانِ

وبقينا في المدينة يومين، حافظنا فيهما على الصلوات في المسجد النبوي، ودخلنا الروضة في المسجد النبوي الشريف وصلينا فيها، وهي التي قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيها: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي»، ويحضرني وأنا أدقق مسودة تلك الزيارة التاريخية، ما قاله الشاعر الدكتور أنس الدغيم في زيارته الروضة الشريفة:

واللهِ يا خيرَ الـرِّجـالِ أنا على	**عِـلّاتِ قلبي جِئتُ بابَكَ زائرا**
لم ينحَنِ التاريخُ في بابٍ ولا	**وقفَ المَدى إلّا أمامَكَ صاغِرا**

وزرنا مسجد قباء، وبعض المعالم التاريخية في المدينة، واستحضرت تاريخ الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وما نزل فيهم من قرآن وأحاديث، كقوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في الأنصار: «لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله».

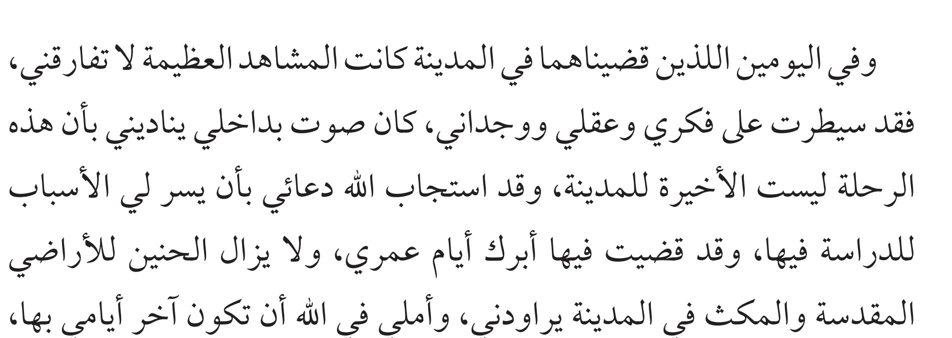
هذه ديار الأنصار التي استقبلوا فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه في هجرتهم إليها، لقد أعطاهم الأوسمة الباقية على مدار الزمن، فقد قـال فيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لـو أن الناس سلكوا واديـاً أو شِعباً لسلكت وادي الأنصار وشِعبهم، ولـولا الهجرة لكنت امرئ من الأنصار». وقد دعا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمغفرة لهم ولأبنائهم ولأزواجهم ولذرياتهم، ولا شك أن دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مستجاب، فقد قال: «اللهم اغفر للأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».











وفي اليومين اللذين قضيناهما في المدينة كانت المشاهد العظيمة لا تفارقني، فقد سيطرت على فكري وعقلي ووجداني، كان صوت بداخلي يناديني بأن هذه الرحلة ليست الأخيرة للمدينة، وقد استجاب الله دعائي بأن يسر لي الأسباب للدراسة فيها، وقد قضيت فيها أبرك أيام عمري، ولا يزال الحنين للأراضي المقدسة والمكث في المدينة يراودني، وأملي في الله أن تكون آخر أيامي بها، وما ذلك على الله بعزيز.

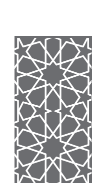
تعرفت على علماء أجلاء وطلاب علم، وتزوجت فيها، وأكرمني الله بإخوة لا تنقطع علاقتي بهم في الدنيا ولا في الآخرة بإذن الله.

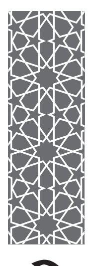
ورجعنا من المدينة إلى جدّة وكانت أسرتنا في الحج (أنا ومحسن القذافي ووالدته ووالدتي وأخته ماجدة) أسرة واحدة متماسكة منسجمة، سجلنا ذكريات لا تنسى، وأصبحت علاقة والدتي بمحسن كأحد أبنائها، وقويت مع الحاجة أمل شنيب وماجدة، واستمرت حتى بعد هجرتي الطويلة من بلادي العزيزة الحبيبة (ليبيا).

ثم غادرنا الديار المقدسة عبر البحر بالسفينة (غرناطة)، وكانت رحلة ممتعة ورائعة وفريدة، وتعرفنا على أصدقاء جدد وإخوان لنا في الله كذلك.

ووصلنا إلى مدينتي الغالية العزيزة الحبيبة (بنغازي)، واستقبلنا الأهل بالاحتفالات والأفراح والولائم، وجاء الزوار من الأقارب والأصدقاء، ليباركوا لنا ما أتمه الله علينا من حجة الإسلام.

وقد توفي بعض الرجال والنساء ممن كانوا معنا في الباخرة في الأراضي المقدسة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴾ [لقمان: ٣٤].





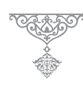
بقيت حوالي خمسة أشهر بعد رجوعي من الحج بين الخطابة والدروس والدعوة إلى الله، وقد عُرِض عليّ الزواج، فاعتذرت، وكذلك اعتذرت عن العمل في التجارة.

استشرت والدي في الخروج من ليبيا، وطلب العلم الشرعي بالمدينة، فوافقني وشجعني، وقال لي: أعمامك مصرّون على أن نجمع لك مالاً وتنطلق في التجارة، وأنا لستُ مقتنعاً بذلك، "لعلّ الله أن ييسر لك في طلب العلم، ويبارك لك فيه، وتكتب كتباً ينتفع بها المسلمون، ويكتب لنا بها صدقة جارية"، وقد وقف معي بالمال، وأخرج لي تأشيرة للسعودية عن طريق أخيه الحاج صالح التيناز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الذي كانت له علاقة متميزة بالسفير السعودي بطرابلس، وكتب لي خطاباً للجامعة الإسلامية بالمدينة.

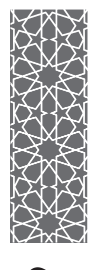
وتواصل والدي مع الشيخ فتحي الخولي (المقيم في جدّة)، وهو مصري حاصل على الجنسية السعودية، فاستقبلني بالدموع عندما وصلت إليه، ولي معه قصة طويلة -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- ستكون في الجزء المتعلق بهجراتي في بلاد المسلمين في كتاب آخر بإذن الله تعالى.

وفي ذلك الوقت كان الحصول على العملة الصعبة والسفر بها يعرّض الإنسان للمشاكل، فرتّب لي مصاريف السفر والخروج من مطار بنغازي من خلال معارفه.

ولا أنسى الحاج عبد الله بن غزي، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو من إخواننا في الله، ومن عُمّار مسجد الشهداء، ومن أصدقاء والدي منذ شبابهم، عندما علم بعزمي على الخروج من ليبيا لطلب العلم ودّعني بالبكاء، وأهداني ألف دولار، وأصرّ على أخذها مساعدة منه لي على طلب العلم.









وقد رأيت رؤى تشير إلى الخروج من ليبيا وطلب العلم، وحبب الله إليّ هذا الطريق، وقدمته على كل شيء، مع أنني خرجت من السجن بحصيلة لا بأس بها من العلوم الشرعية، وتتلمذت على الشيخ محمد الحراثي، وإخوة كرام، إلا أن عطشي لطلب العلم لا يرتوي، فقدمت رغبتي فيه على كل شيء.

وإلى يومي هذا ما زلت طالباً للعلم محباً للعلماء الربانيين، ولهم مكانة عظيمة في نفسي، ومنزلة كبيرة في قلبي، أحرص على الاستفادة منهم إذا التقيت بهم أو من كتبهم أو دروسهم أو مقالاتهم، وما أزال أكرر قول الشاعر أبي بكر الإلبيري:

أَبا بَكرٍ دَعَوتُكَ لَو أَجَبتا ... إِلى ما فيهِ حَظُّكَ إِن عَقَلتا

إِلى عِلمٍ تَكونُ بِهِ إِماماً ... مُطاعاً إِن نَهَيتَ وَإِن أَمَرتا

وَتَجلو ما بِعَينِكَ مِن عَشاها ... وَتَهديكَ السَّبيلَ إِذا ضَلَلتا

وَتَحمِلُ مِنهُ في ناديكَ تاجاً ... وَيَكسوكَ الجَمالَ إِذا اغتَرَبتا

يَنالُكَ نَفعُهُ ما دُمتَ حَيّاً ... وَيَبقى ذُخرُهُ لَكَ إِن ذَهَبتا

هُوَ العَضبُ المُهَنَّدُ لَيسَ يَنبو ... تُصيبُ بِهِ مَقاتِلَ من ضَرَبتا

وَكَنزاً لا تَخافُ عَلَيهِ لِصّاً ... خَفيفَ الحَملِ يوجَدُ حَيثُ كُنتا

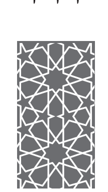
يَزيدُ بِكَثرَةِ الإِنفاقِ مِنهُ ... وَينقُصُ أَن بِهِ كَفّاً شَدَدتا

فَلَو قَد ذُقتَ مِن حَلواهُ طَعماً ... لَآثَرتَ التَعَلُّمَ وَاجتَهَدتا

وَلَم يَشغَلْكَ عَنهُ هَوى مُطاعٌ ... وَلا دُنيا بِزُخرُفِها فُتِنتا

وَلا أَلهاكَ عَنهُ أَنيقُ رَوضٍ ... وَلا خِدرٌ بِرَبرَبِهِ كَلِفتا

فَقُوتُ الروحِ أَرواحُ المَعاني ... وَلَيسَ بِأَن طَعِمتَ وَأَن شَرِبتا

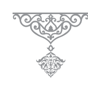




فَـواظِـبـهُ وَخُــذ بِـالـجِـدِّ فيهِ	فَــإِن أَعـطـاكَـهُ اللهُ أَخَـذتـا
وَإِن أوتـيـتَ فيهِ طَـويـلَ باعٍ	وَقــالَ الناسُ إِنَّــكَ قَد سَبَقتا
فَـلا تَـأمَـن سُــؤالَ اللهِ عَنهُ	بِتَوبيخٍ عَلِمتَ فَهَل عَمِلتا
فَـرَأسُ العِلمِ تَقوى اللهِ حَقّاً	وَلَيسَ بِـأَن يُقال لَقَد رَأَستا

خرجت من مطار بنغازي في تاريخ ٢٨/ ١٢/ ١٩٨٨م إلى قبرص، ومن ثم إلى جدة، وفي مطار قبرص انتظرت ساعات في الترانزيت لركوب الطائرة السعودية المتوجهة إلى مطار الملك عبد العزيز، وفي حوالي الساعة الثامنة صباحاً من يوم الجمعة الموافق لــ ٢٩/ ١٢/ ١٩٨٨م، وقبل ركوب الطائرة، اتصلت بالوالدة العزيزة، فردَّت عليَّ بحزن وأسى، وقالت لي: "لقد جاء رجال الأمن الداخلي بعد صلاة العشاء بالأمس يبحثون عنك، فلا ترجع بعد اليوم، الهجرة ولا السجن؛ لأن أسمع صوتك بالهاتف خير من أن تكون خلف القضبان، اذهب في أرض الله تحرسك عناية الله وحفظه"، لأبدأ بذلك رحلة الهجرة خارج الوطن وطلب العلم وهو ما سأعرض تفاصيله في الكتاب القادم (هجرتي في بلاد المسلمين) إن شاء الله تعالى.













خاتمة



هذه بعض الذكريات التي عشتها في الثانوية العامة، وخلف القضبان، وفي أثناء رحلتي للحج في عمري القصير، التي أسأل الله أن تكون لي طوق نجاة في الآخرة، كما أسأل الله أن يجعلنا من أنصار رسالة الإسلام، وأن يعلمنا ما ينفعنا في ديننا ودنيانا، وأن يثبتنا على دينه، وأن يكون خروجنا من بلادنا في سبيل الله.

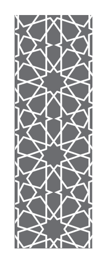
وأدعو في هذه الصفحات أن يبارك الله فيها، ويجعلها في ميزان الحسنات في الآخرة، ويجعلها كلمة حق في وجه سلطان جائر، ويستفيد منها أبناء الحركة الإسلامية والأحرار في هذا العالم لمعرفة طبيعة الظالمين، وأنظمتهم القمعية، وأعوانهم وسجونهم، وليعلموا بأن الحقائق التي يخافون ظهورها أمام الناس لا بدَّ أن تخرج بإذن الله في يوم من الأيام، وكما قال تعالى: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّۚ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام: ٦٧].

وها أنا أنهي هذا الكتاب عن حياة السجناء الليبيين في الفترة التي كنت معهم، وأعتذر من كل أخ في سجون القذافي لم أستطع التكلم عن مأساته وقد خانتني الذاكرة في ذلك.

كما أطلب من إخواني المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها أن يدعوا لي بأن يجعلني من دعاة الله المخلصين لوجهه الكريم، وأن يدعوا لإخوانهم في ليبيا، وفي العالم كله بتعجيل فرج الله ونصره وتمكينه لهم.

وقد أكملت مسودة هذا الكتاب المتعلقة بالسجن (الأصلية) في تمام الساعة الواحدة إلا عشرة في ٩ أيار/ مايو عام ١٩٨٩م في الغربة.





كان دعائي عندما خرجت من السجن وأمام أبوابه، متجهاً إلى القبلة: "اللهم سيرني ولا تخيرني"؛ لقناعتي بأن تسيير الله كله خير، واختياراتي يعتريها الارتباك والدهشة والحيرة، وما زلت أكرر هذا الدعاء: "اللهم سير ولا تخير"، قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[القصص: ٦٨].

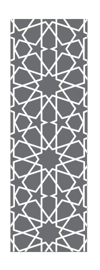
وأقول لأحرار العالم في السجون والمعتقلات، لا تخافوا ولا تحزنوا، فعند ازدياد الكربات، وتكاثر الأزمات، وفي تلك الظلمة الضيقة، تأتي ساعة العطاء، وساعة الفرج من الله، ونسمع من رسول الله ﷺ النداء: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[التوبة: ٤٠]، فما أحوجنا اليوم أيها الإخوة لهذا النداء.

نعم، نحن أمة لا تحزن، فليس للحزن واليأس طريق لقلوبنا، وليس له سبيل لعزائمنا، بل إننا نؤمن أن الكرب في السجن كلما ضاق فقد دنا الفرج، وأن العسر مهما طال فقد اقترب اليسر والنصر، وأن الظلام مهما احتدم وتلاطم فقد آن أوان الفجر الصادق، واقترب الوعد الحق بالنصر والحرية.

كلُّ العِـــدَا قَدْ جَـنَّدوا طَاقَاتِهِم	**ضِـــدَّ الهُـــدَى والنُّـــورِ ضِدَّ الرِّفْعَةِ**
إِسلامُنا هُـوَ دِرْعُـنَا وَسِـلاحُنَا	**ومنارنا عَبْرَ الدُّجَـى فِي الظُّلْمَةِ**
هُـوَ بِالعَـقِيدةِ رَافِـعٌ أَعْلامَــهُ	**فَامْشِــي بِظِلِّ لِوَائهَــا يَا أُمَّتِــي**
الكُلُّ يَقْـصِـدُ ذُلَّـنَـا وهَوَانَنَــا	**أَفَغَـيْرُ رَبِّي مُنْقِــذٌ مِــنْ شِـدَّةِ؟**

وفي تلك الظروف الحالكة المظلمة المحزنة المخيفة التي عشتها في المعتقل، ورأيت فيها ويلات السجون، ومختلف أنواع العذاب، لم تستطع بضع سنين في السجن أن تضعف معنوياتي أو تدمر كياني الداخلي؛ لأن الله كان معي، وكنت في ظلال رحمته التي وسعت كل شيء، فلولاه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ





لخارت قواي، وخرجت من عقلي، وأصابني الشلل الفكري والنفسي والبدني، فلله الحمد حتى يرضى وإذا رضي وبعد الرضا، وبتوفيقه ونصره وتأييده قد نلت الحرية رغم أنف الطغاة الظالمين، وكانت الخيرة في ما اختاره الله تعالى، وأحببت في كلماتي هذه أن أطلق شعاعاً من النور ليبدد ليالي الظلام.

قال الشاعر اليمني الكبير محمود الزبيري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

خرجنا من السّجن شم الأنوف ... كما تخرج الأسد من غابها

نمر على شفرات السيوف ... ونأتي المنية من بابها

ونحتقر الحادثات الكبار ... إذا اعترضتنا بأتعابها

ونعلم أن القضاء واقع ... وأن الأمور بأسبابها

ستعلم أمتنا أننا ... ركبنا الخطوب حناناً بها

فإن نحن فزنا فيا طالما ... تذل الصعاب لطلابها

وإن نلق حتفاً فيا حبذا ... المنايا تجيء لخُطابها

اللهم إني رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً

(سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك).











ملحق١: مسودة حول "أدلة وجود الله"، كتبتها في السنة الأولى بكلية الهندسة في جامعة قاريونس (مدينة بنغازي عام ١٩٨١م):

عثرت على مسودة قديمة لي كتبت فيها عن أدلة وجود الله تعالى، وفيها بعض الاختيارات الدعوية، وصيد من الفوائد التي قرأتها في تلك المرحلة، وقطفتها من تفاسير القرآن الكريم وكتب فقهية وعلمية متعددة، وإليكم أهم ما جاء في تلك المسودة:

إن الإلحاد والكفر وإنكار وجود الله ظواهر قديمة قدم هذا الكون، وهي جوهر الصراع بين الخير والشر والحق والباطل، ولم تكن الوظيفة الأولى من إرسال الرسل والأنبياء سوى حلول لهذه المشكلة، ومن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[الأعراف: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[الأعراف: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[الأعراف: ٨٥].

وفي هذه الأيام، يشهد العالم ردة عن الإيمان بالله، ومجاهرة بالكفر والمعاصي، لم يُعرف لهما مثيل من قبل، وتحشيد من أعداء الإسلام للنيل منه، فهؤلاء حاولوا على مرّ الأزمان اقتحام مفاهيمنا الأصيلة التي منبعها من عند الله تعالى، وحاولوا طرح بديل عنها من أفكار بعيدة عن ديننا؛ فيقولون الطبيعة عوضاً عن الله، والمسرح عوضاً عن المسجد، ويعتبرون الدين أفيون الشعوب، وينادون بفصل الدين عن الحياة.









ولقد وضعوا تلك الأفكار من أجل خدمة معتقداتهم وإيديولوجياتهم، وتمهيداً لأهدافهم، ومنها:

١. تعليل وجود الفواحش التي تُنزّل من قيمة الإنسان، ولا تجعل فرقاً بينه وبين الحيوان.

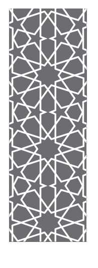
٢. تدمير القيم الأخلاقية، وإباحة الشذوذ، وتقطيع الروابط بين الكبير والصغير، والرجل والمرأة، حتى يصبح مجتمعاً جاهلياً غير منتظم بالعلاقات السليمة التي وضعها القرآن الكريم.

إن أعداء الإسلام وضعوا خططهم ونهجوا أساليب لبث السموم في أوساط الشباب، مدججين بأموالهم الطائلة في سبيل توطين الانحراف والفكر الضال البعيد عن القيم والفطرة السليمة وعن الغاية من خلق الله للإنسان في الكون؛ فأنفقوا الأموال الطائلة على الإذاعات المسموعة والمرئية والمقروءة، ونشروا التسجيلات والكتب الخليعة، وعملوا على محو القيمة الحقيقية للتراث الأصيل، ووضعوا مكانه ما أطلقوا عليه الحداثة والأفكار التنويرية وما بعد الحداثة.

فيا شباب الإسلام، هذه صيحة من أخ لكم يريد عزتكم وقوتكم وخدمتكم، فارجعوا إلى دينكم لأنه دين الحق، وهو بحاجة إلى أناس يحملونه ويظهرونه وينشرونه بين شعوب الأرض، فاستيقظوا من غفلتكم، وانقيادكم لحزب الشيطان والتزموا بحزب الله، واعلموا بأن كل قوة مصدرها القرآن والأخوة الإيمانية، كما قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[آل عمران: ١٠٣].







ويا شباب الأمة، لتكن فكرتُنا واحدةً؛ وهي التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ويا أيها الشباب، إنما تنجح الفكرةُ بقوة الإيمانِ بها، وتوفرِ الإخلاص في سبيلها، وازدياد الحماسة لها، ويكون الإيمان والإخلاص والحماسة والعمل من خصائصها؛ لأن أساس الإيمان القلب النقي، وأساس الإخلاص القلب التقي، وأساس الحماسة الشعور الإيماني القوي، وأساس العمل العزم الفتي.

ولقد كان الشباب قديماً وحديثاً من كل أمة عماد نهضتها، ومن كل نهضة سرَّ قوتها، ومن كل فكرة حامل رايتها، ولعل من أخطر النواحي التي تواجهنا اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة المتصدرين للتزعم والقيادة، وكل ذلك تشتيت للجهود وتوزيع للقوى، ويتعذر معه الوصول إلى الغايات، ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسياً لا بد منه لمن يريد الإصلاح.

وهنا يا أخي المسلم لا بد لك أن تأخذ الفكرة الصحيحة عن الكون والإنسان والحياة من نقاء الفكر الإسلامي قبل أن تخوض في معارك الفكر، ولا بد أن تبني عقيدة صحيحة حتى تستطيع أن تُبشر بها الناس الآخرين.

وإن من شروط بناء العقيدة الإيمان بالله وأركان الإيمان الستة، واليقين التام بأن الإسلام بريء من عوامل العجز والقصور الإنساني؛ ولذلك فإن بناء العقيدة السليمة الراسخة يجعل الدعوة إلى الخير والمعروف والنهي عن المنكر على أساس قوي ومتين، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران: ١٠٤].

إن سلامة العقيدة، والحفاظ على الهوية المسلمة والأسرة والمجتمع المسلم، يدعّمان معنى الدعوة ونشر الإيمان والدعوة لعبادة الحق تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].







إن إثبات وجود الله هو الطريق الطبيعي للإيمان والالتزام بأحكام الدين الإسلامي ومبادئه، والنهوض بتكاليف الجهاد في سبيله، وذلك من خلال حوار منظم وهادف ومركز لإيصال رسائل واضحة لمن يسمون بالملحدين، وهي من الأكذوبات الكبيرة في هذا الزمان.

وهناك افتراضات ثلاثة لوجود الكون ونشأته، وهي:

الأولى: أن يكون هذا الكون قد أوجد نفسه بنفسه.

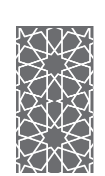
الثانية: أن يكون قد وجد بالمصادفة.

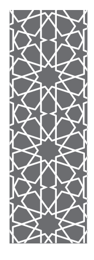
الثالثة: أن يكون وراء وجوده قوة.

فالأول هو احتمال لا يقول به عاقل؛ لأن الموجودات ليس لديها القدرة على الفعل إلا بعد وجودها، فكيف يصدر عنها فعل الإيجاد وهي بعد لم توجد؟ وهذا الاحتمال مرفوض بداهة لاصطدامه بمبدأ السببية، وهو أول مبادئ العقل، وينفي قيام أي حادث من غير سبب.

وفي هذا السياق يذكر المؤرخون أن بعض الزنادقة اتفقوا مع أبي حنيفة النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على أن يلتقوا في موعد محدد، ليجادلوه في الله، ولما حان الموعد حضروا وتأخر هو، ثم لما يئسوا من مجيئه وهموا بالرحيل وصل، فعاتبوه على تأخره، فقال لهم معتذراً: كنت سأصل إليكم في الموعد المحدد، ولكني لبثت طويلاً على شاطئ دجلة باحثاً عن صاحب زورق يجتاز بي النهر، فما وجدت، ولما يئست وهممت بالرجوع، رأيت ألواحاً من الخشب قادمة بنفسها، وجعلت ينضم بعضها إلى بعض حتى صارت بين يديَّ مركباً حسناً، فركبته، وقطعت به النهر، وقدمت إليكم، فقال جمع الزنادقة: يا أبا حنيفة أتهزأ بنا!؟ وهل يمكن أن تأتي الألواح بنفسها فتكون زورقاً؟ فقال لهم:







هذا ما اجتمعتم لتجادلوني به، فإذا كنتم لا تصدقون أن زورقاً يصنع نفسه بنفسه، فكيف تريدون مني أن أصدق، بل كيف تصدقون أنتم في عقولكم أن هذا الكون المتقن العجيب، قد جرت حوادث تغيراته بنفسه دون خالق عظيم!؟ فبهت الزنادقة وقامت عليهم الحجة الدامغة، وأسلموا على يده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وبذلك يكون الاحتمال الأول مرفوضاً.

أما الاحتمال الثاني فيقول به الماديون، والحقيقة أنه لا وجود للمصادفة، والإنسان يلجأ إليها إذا جهل السبب، حتى إذا أدركه أنكر القول بالمصادفة، فكل شيء قد خلقه الله بقدر، ولهذا كان لا بد للحياة فوق أرضنا من شروط جوهرية عديدة، بحيث يصبح من المحال توافرها وتتابعها وانتظامها بمجرد المصادفة.

وهكذا نجد القول بالمصادفة بالنسبة لنظام الوجود الشامل المحكم لا يقول به إلا جاهل بعيد عن التحقيق، أو مكابر يرى الحق ويعرض عنه.

ويقولون إن الأشياء تأتي مصادفة، ومن ثم يتبين أنها ضرورة للحياة؛ مثل السحاب فهو ضروري لنمو النبات، وإنه ليكفي التأمل في بعض مخلوقات الله في الوجود بطريقة علمية حتى تزول فكرة المصادفة من الأذهان تماماً، وتحل مكانها الأحكام والعلل بأسبابها، وسوف نضرب بعض الأمثلة على دقة التنظيم الكوني ودقة القرآن الكريم التي تدحض القول بالمصادفة بالمطلق:



١. لو كانت قشرة الكرة الأرضية أسمك مما هي عليه لامتُص ثاني أكسيد الكربون والأكسجين، ولانعدمت الحياة على الأرض.

٢. لو كان الهواء أقل ارتفاعاً مما هو عليه، فإن بعض الشهب التي تحترق كل يوم في الهواء الخارجي كانت ستضرب من جميع نواحي الكرة الأرضية، وتشعل كل شيء قابل للاحتراق.








٣. لو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها، لكنا تجمدنا، ولو أنها زادت مقدار نصف حرارتها لأصبحنا رماداً وأثراً بعد عين.

٤. لو كان الأكسجين بنسبة ٥٠٪ أو أكثر من الهواء بدلاً من ٢١٪، فإن جميع المواد القابلة للاحتراق تصبح عرضة للاشتعال عند أول شرارة.

٥. لو كانت مياه المحيطات حلوة لتعفنت، وتعذرت معها الحياة الأرضية، حيث إن الملح هو الذي يمنع حصول التعفن وفساد المياه.

٦. لو لم تكن قوانين الجاذبية موجودة، فكيف تلتقي وتتماسك الذرات وجزيئاتها؟

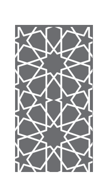
٧. لو كان محور الأرض معتدلاً بدلاً من هذا الميل الحالي لظل الصيف دائماً أو الشتاء أبداً.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾[فصلت: ٥٣].

فهل يجوز أن تعتقد أن هذا الكون بمحيطاته وبحاره وفصوله الأربعة وسهوله ووديانه وسحبه، وهذه الدقة المتناهية، جاءت كلها مصادفة؟

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾[الغاشية: ١٧ – ٢٢].

ولو أنك سألت طبيباً ما السبب في أن لون الدم أحمر؟ فسيجيبك: لأن في خلايا الدم بروتيناً يسمى (الهيموجلوبين)، وهو مادة تحدث لها الحمرة حين تختلط بالأوكسجين من القلب، وهو يحمل الأوكسجين من الرئتين إلى أنسجة الجسم، ثم يحمل ثاني أكسيد الكربون من الأنسجة إلى الرئتين.



وهنا السؤال: من أين تأتي هذه الخلايا!؟ وهذا ليس السؤال الأهم، فالسؤال المحير والعجيب: كيف ترتبط هذه الأشياء بعضها ببعض؛ من الدم والخلايا والكبد وغيرها، ارتباطاً كلياً وبكل تلك الدقة البالغة؟ وهذا ما نسميه بقانون الطبيعة، فالمراد بهذا القانون هو الحركات الداخلية العمياء للقوى الطبيعية والكيميائية، ولكن كيف تنظم تلك القوى نشاطها حتى تطير الطيور في الهواء، ويعيش السمك في الماء، وينتشر الناس على الأرض؟

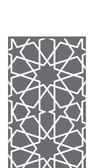
وهذا ما يجيب عنه العلم؛ لأنَّ العلم هو ما يتوصل إليه العقل، والعقل يوصلنا إلى وجود الله تعالى، ولكن هناك أشياء لا يتدخل فيها العقل ولا يدركها؛ ولذلك علينا أن نؤمن بالغيب، والإيمان بالله أمر فطري وعقلي ووجداني، وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد.

إن الغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان، الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، ليبلغ مرتبة الإنسان الذي يدرك أن الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز المتغير المحدود الذي تدركه الحواس أو الأجهزة، وهي نقلةٌ بعيدةُ الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود، وإحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير وإبداع خلّاق.

إنه يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته، ويتلقى أصداءه وإيحاءاته في أعماقه، ويعرف بأن مداه أوسع من الزمان والمكان والعمر القصير، فوراء هذا كله قوة ظاهرة خافية، وحقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها واستمد من وجودها حقيقة الذات، وهكذا فلا نعرف شيئاً عن المستقبل، ولا نستطيع أن نتحكم في أنظمة الحياة وآفاقها.



وهكذا يسقط افتراض المصادفة أمام الأدلة، ويبقى الافتراض الثالث الحق الذي يقول به المؤمنون الموحدون، والذي تقبله العقول النيرة، وهو أن وراء







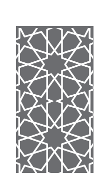
هذا الكون خالقاً، ورُبَّ قائلٍ يقول: إذا سلمنا بالافتراض الثالث أنَّ وراء هذا الكون مكوِّناً هو الله، أفلا ينبغي أن تراه حواسنا؟!

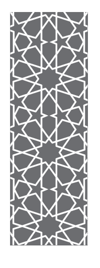
إن حواسنا التي هي السبيل الوحيد للتعرف على الوجود من حولنا هي منافذ قصيرة المدى محدودة، غير أن الفضاء مملوء بالصور التي لا نستطيع أن نراها، كما أنها مملوءة بالأصوات التي فوق ودون مستوى سمعنا، فإذا كانت حواسنا عاجزة عن إدراك الأشياء الصغيرة والقريبة التي حولنا، أفتكون قادرة على الإحاطة بما وراء الطبيعة من أمور كبرى؟ ومن هنا، وكما ذكرنا سابقاً، وجب على الإنسان أن يسلم بوجود أشياء من خلال آثارها؛ لأن حواسه قد لا تساعده على لمسها أو رؤيتها.

وبعد أن توصلنا إلى وجود الله بمنطق العقل، فإننا نتوصل إلى أن القرآن من الله تعالى، ولا يمكن أن يكون من قول البشر، وأنه قد حفظ على مدى القرون من أي تحريف أو زيادة أو نقصان، بل إن من أدلة وجود الله هو وجود هذا المعجز العظيم، قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾[الحجر: ٩].

والغاية من إثبات وجود الله وأن القرآن هو من عند الله أن نستطيع أن نرد القول بمادية الحياة وأصلها الطبيعي، ومن ثم فهو رد على كل الأفكار والمذاهب المنبثقة عن ذلك. وإثبات الإيمان بالله يقتضي طاعته وامتثال أوامره وتأكيد الحاجة إلى هداه، وإثبات أن طاعة الله وامتثال أمره يستلزم الإيمان بأنبيائه والتصديق بكتبه، وبأن الإسلام أقر الرسالات، وأنه هو حياة، وهو يوجب العمل الدؤوب لأجل نشر كلمة الحق.

والبقاء في نهاية الأمر لله وحده، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[القصص: ٨٨].



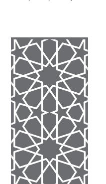


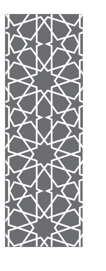
يا أيها الشباب المسلم، هل تعرفون ما الذي غيّر مجرى التاريخ في العصور الوسطى ومن الجزيرة العربية؟ إنه نداء "لا إله إلا الله محمد رسول الله"؛ إنها النور والضياء الذي ملأ أرجاء المعمورة حينها وأنقذ الناس من الوثنية، وغيرت مجرى الحياة، إنها نداء الوحدانية والربوبية وإخلاص العبادة لله وحده، فهو إله كل شيء، وبيده مفاتيح الرزق والسعادة والحياة.

ذلك الشعار الإيماني العظيم شكل الصلة بين الله وعباده، ودعوة النبي الكريم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الشعور البشري الكامل والشامل بإثبات وجود الله، وجاءت الآيات الكريمة مبيناتٍ لهذه الدعوة الصادقة، قال تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[آل عمران: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[الفاتحة: ٥]، وقال عزّوجلّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[الشعراء: ٧٨ - ٨٥].

فعندما تسكن (لا إله إلا الله محمد رسول الله) في قلب الإنسان تنعكس على سلوكه وتصرفاته وأخلاقه ومعاملاته، ويتسم بطابع الرجولة والاستقامة والصلاح، ومن ثم كان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحرص بالغ الحرص على تثبيت معانيها وأدلتها في قلوب أصحابه وأتباعه، فمن ذلك أنه أوصى عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالقول: «يا غُلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ،





وَلَو اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[1].

فـ"لا إله إلا الله" تعني الالتزام المطلق بالسير في الخط الذي رسمه الله تعالى، ثم الالتزام المطلق بالدفاع عن معناها، وحمايتها من العابثين، والتضحية بالمال والنفس في سبيلها.

إنها الإيمان بالله وحده لا شريك له، وهي طريق الطاعة والامتثال لما جاء في الكتاب العزيز، وخاتمة عظيمة للمؤمن المنقاد لشروطها وحدودها، وأداء الفرائض والطاعات والعبادات الظاهرة والباطنة لله سبحانه لنيل رضاه. وليكن نشيدنا المدوي:

الله غايتنا، والرسول قدوتنا، والقرآن شريعتنا، والجهاد سبيلنا، والشهادة أسمى أمانينا، وإن أعظم دولة هي دولة القرآن التي تبدأ أسسها في القلوب.



(١) الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث حسن صحيح، رقم (٢٥١٦).









ملحق٢: مسودة رحلة الحج مع والدتي العزيزة (ذو الحجة ١٤٠٨هـ/ يوليو ١٩٨٨م)

١

رحلة الحج مع والدتي العزيزة
بعد خروجي من السجن وقبل الهجرة

نذرت والدتي العزيزة الحبيبة نذراً لله عز وجل
بمجرد خروجي من السجن الحج إلى بيت الله الحرام وقد
يسر الله الأسباب وتكفل الوالد الكريم بنفقات
الحج وقد نويت والدتي قد حجت من قبل أما
الوالدة وأنا فهي حجة الإسلام الأولى وقد
شرعنا في إحضار المطلوب من الأوراق والرسوم
وتم تقديمها إلى لجان الحج في بنغازي وكان
من ضمن المشرفين على لجان الحج أحد الفضلاء
رحمه الله محمد الطويل وذات يوم كنت في
مكتب والدي في وسط مدينة بنغازي قرب
مسجد سي ناجي طو ومكتب البريد
والغريب من مكاتب لجان الحج
وصليت الظهر في مسجد
سي ناجي طو فوجدت الأخ الكريم محمد الطويل
رحمه فقال لي: غداً سنرفع وثائق
الحجاج إلى السفارة السعودية في طرابلس للحصول
كلها تأشيرة الحج وتأكد من أوراق قبل
والدة ثم رجعت إلى البيت فبعد صلاة
الظهر وجدت الأخ محمد يقول لي أن هناك
من أخذ أوراقك والوالدة وغاب أثرها وقال
لي سبحان الله كيف سخرني الله لكم لتتم الله
بركات الله وهو يتلو قول الله تعالى ((ومن يتق
الله يجعل له مخرجاً)) وبالفعل أحضرت له
الصور الشخصية والأوراق المطلوبة وذهبنا
معاً إلى مقر لجان الحج وسافرت
أوراقنا إلى العاصمة وتحصلنا على تأشيرة









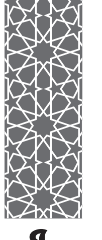
وجاء موعد الرحيل إلا أسفا من المقدسة وكنا
جميعًا عبر السفينة

١- الباخرة نجرسا لهة

((بسم الله مجريها ومرسها إن ربي لغفور رحيم))
وبعد دعاء السفر: اللهم نسألك في سفرنا هذا البر
والتقوى ومن العمل ما ترضى اللهم هون علينا سفرنا
هذا واطو عنا بعده اللهم أنت الصاحب في
السفر والخليفة في الأهل
(الحديث كامل بكتيب ؛)
في الساعة السابعة مساءً تحركة الباخرة نجرسالهة متوجهة
نحو بيت الله الحرام وكانت نظرة الوداع على أطلال
مدينتي العزيزة تفارقني فتذكرت قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم عندما غادر مكة وحنينها إليها، فقال:
والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله ولولا أني أخرجت
منك ما خرجت (سنن الترمذي رقم ٣٩٢٥) ورواه أحمد
وابن ماجه
ولكن الحنين إلى بيت الله كان أشد وأقوى من
الحنين إلى مسقط الرأس وتبقى مكة المشرفة
والمدينة المنورة في شغاف القلب ما دامت الروح
تسري في جسدي البالي
وفي الباخرة الحمد لله تعرفت على الناس وتعرفوا علينا
أنا وأخي محسن ونبيس الغزالي فكنا معا وهو
معه والدته السيدة أم شنيب رحمها الله وأخته ماجدة
وأنا معي والدتي وكنا أسرة واحدة في رحلة الحج
العظيمة
عرف الناس الذين معنا في السفينة بأننا خريجو
عهد بالسجن السياسي فهناك من يعرفنا وهناك
من تعرف علينا فقد كانت حادثة إطلاق
سراحنا مدوية في ليبيا وانتشرت قصيدة









٢

الشاعر السوداني الفيتوري :

• أصبح الصبح
فلا السجن ولا السجان باقٍ
وإذا الفجر جناحان يرفّان عليك
وإذا الحزن الذي كحّل هاتيك المآقي
والذي شدّ وثاقًا لوثاقِ
والذي بعثرنا في كل وادِ
فرحة نابعة من كل قلب يا بلادي
فقد خرج السجناء جميعًا حوالي خمسة آلاف
سجين سياسي كانوا زجّوا بينهم سنوات
عما عانوه من قبل لم يكن إلا حلمًا استفاقوا

• النظام ((١٠)) سجين ثم تخصص يشيب لهولها الرضيع ذكر تفاصيل جبانتهم كل من الأستاذ علي العكرمي في روايته ((طريق جهنم)) كتبها الروائي الشاعر ابن الخطوم وكذلك الرجل الصالح الأستاذ صالح القفصي في كتابه ((سك معي)) فقد تخاطف الكثير من الحجاج التونسيين الذين كانوا معنا في السفينة عندما علموا بـ تنادي جماعة ((أصبح الصبح))
وبفضل الله سارت الأمور على ما يرام ويسّر .

• لدى بداية السفر أشرع في تلك الرحلة المباركة الميمونة وفي تلك الليلة الفريدة من نوعها بعد مغيب الشمس واستنشاق الهواء ونحن على متن الباخرة نتبادل وأختي محسن أطراف الحديث والذكريات المؤلمة وقدّمت في تلك الليلة العشاء ((أي الطعام لا الصلاة)) ودخلت حجرة النوم في السفينة الساعة الثامنة عشرة مساءً واستيقظنا لصلاة الفجر وتم تعيين القبلة بواسطة ربان السفينة وطبعًا كانت القبلة تتغير بحكم السير في البحر الأبيض المتوسط

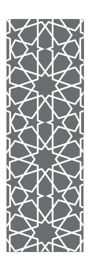
• وفي ظلمة الليل وتأملي في البحر ونحن في أعماقه على متن السفينة تذكرت يونس عليه السلام

(٤)

وذهب بي التفكير إلى أعماق البحر اللجي و

• مأساة قصة نبي الله يونس عليه السلام ودعاؤه العظيم ((وذا النون إذ ذهب مغاضبًا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)) (الأنبياء ٨٧)





ملحق ٣: تعليق الأستاذ فايز الصويري بعد قراءة مسودة المذكرات

بداية أشكركم شيخنا الحبيب أن منحتني الثقة للاطلاع على مسوّدة الجزء الأول من كتابكم "ذكريات لا تنسى بين الثانوية والسجن ورحلة الحج"، التي عشتُ فيها ذكرياتكم الطيبة لحظة بلحظة، فكأني درست بمدرسة صلاح الدين، ومن ثم انتقلتُ معكم إلى الكفرة، وما كان فيها من ألم وأمل، ألم الظلم والطغيان، وأمل الدعوة إلى الله وفتح قلوب الناس ورجوعهم إلى دينهم النقي.

كما عشتُ معكم شعور الفرح بالنجاح، وأمل اللحاق بالجامعة، ثم ألم انتزاعكم من مراكز الدراسة إلى السجن إلى "مدرسة يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ" كما أسميتَها، تلك المدرسة التي تخرج فيها الآلاف من العظماء عبر العصور وكان لكم فيها نصيب بفضل الله ومنّه.

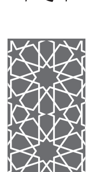
كأني معكم وأنتم تصارعون الحياة بين جدران الطغاة فيقسون عليكم بظلمهم، وتظهرون عليهم بإيمانكم بربكم وبرسوخ قضيتكم في قلوبكم وعدالة ما تدعون إليه.



يا لها من لحظات مؤلمة عندما يتسلط صغار القوم على من رفعهم الله بدينه!

كم هي قاسية مشاهد التعذيب، والقتل، وقلة الحيلة إلا من الاعتصام بحبل الله المتين الذي لا يخيب من تمسك به ولا يخذل.

كم هو مؤلم وداع الأصدقاء والرفاق الذي يرتفعون شهداء تحت سياط المجرمين الذين انتُزعت الرحمة من قلوبهم، في وقت انعدمت فيه أسباب النصر -ظاهراً- لكنها كانت ثابتة في موعود الله الذي لا يدركه إلا أولياؤه.







كم أعجبتني تلك الروح التي خرجتم بها من غياهب السجن بعد أن أذن الله بذلك، وإصراركم على مواصلة الطريق طريق الدعوة إلى الله وإرشاد الناس، طريق الأنبياء والرسل والصالحين.

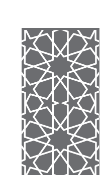
كانت سياحة لي بين جنبات الكتاب أثارت فيّ غبطة، وحفزتني إلى مجاهدة النفس للسير على نهجكم؛ نهج الدعوة إلى الله.

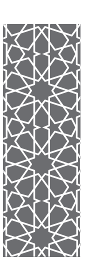
كما أن الكتاب رجع بي إلى سن الطفولة والشباب إلى مدينتنا العزيزة بنغازي التي تغربت عنها حوالي ٢٥ عاماً حتى كدت أقطع العهد بها بسبب ما أصابنا من أهلها من ظلم وخذلان للصالحين، ولكني عند قراءة مذكراتكم زالت الهواجس من نفسي وازددت حباً لها وتمسكاً بها، حماها الله ورعاها.

لو كانت سطور ذكرياتكم تتحدث لنقلت إليكم دموعي أثناء مطالعتي، ولصورت لكم حالي عندما يعتريني شعور العزة عند مواجهتكم ظلم الطغاة رغم حداثة السن والتجربة، إلا أني لا أخاله إلا توفيقاً من الله عَزَّوَجَلَّ لشاب كان غالب أترابه تائهين لا همة لديهم. كنت أفرح معكم وأحزن، أجوع وأعطش، كنت أصلي معكم وكأني أحضر دروسكم وخطبكم، وكأني في جلسات التحقيق والتعذيب ينالني ما ينالكم، فسبحان من وفقكم!

شيخنا الحبيب لا أقول هذا الكلام -والله- مجاملة ولا إطراء في غير محله، بل هو -والله- وصف لحالة اعترتني وأنا أطالع الكتاب.









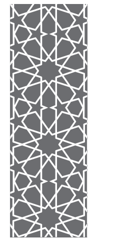
الرد على رسالة الأخ الساعدي معمر القذافي في نقده لكتاب

(ذكريات لا تنسى في الثانوية والسجن ورحلة الحج)









بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأخ العزيز الساعدي معمر القذافي:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

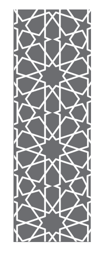
وصلتني رسالتك على كتابي الجديد: (ذكريات لا تنسى في الثانوية والسجن ورحلة الحج)، والتي قلتَ فيها: "**إنّ الظلم والقمع والفسق بل وحتى الكفر الذي يحدث في ليبيا اليوم لم يُسبق في تاريخ ليبيا ولا حتى في المنطقة والإقليم، وهذا كله بسبب نكبة فبراير التي أنت كنت سبباً وداعماً لحدوثها. إن الله سيحاسبك ويحاسب كلّ من كان له دور في هذه النكبة وإنّ كلّ قطرة سُفكت ولا تزال تسفك في البلد المسلم الذي أشعلتم أنت ومن معك نار الفتنة بداخله سيحاسبكم الله عليها"، قال النبي** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لا تُقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنّه كان أوّل من سنّ القتل». أخرجه البخاري.**

وأكملتَ قائلاً: "**... وقد كان حري بك أن تتوب إلى الله مما كنت قد فعلته من مشاركتك في هذه النكبة وأن تعترف بأن سنوات حكم معمر القذافي كانت جنّة، وكان الليبيون يعيشون في أمان ونعمة واستقرار حتى خرجتم أنت وغيرك بتعليمات من دول أجنبية لتدمّروا ليبيا**".

والله خاب ظنّي فيك يا دكتور علي، وأسأل الله لك الهداية. إنّ معظم من انجرّ خلف هذه الفتنة الشيطانية المدمّرة في فبراير، قد اقتنع وتاب وندم، ولا زلتَ تكتب وتتحدّث عن ظلم معمر القذافي، وكأنّ ليبيا اليوم بعده أصبحت دولة عظمى (هههههه). والله إنك مضحك، وشرّ البليّة ما يضحك. أنا لا أريد أيضاً أن أتحدث عن أخطائك وانحرافاتك المنهجية، وأخطائك الفقهية، والتي





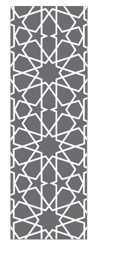




يعلمها كل عارف بالمنهج. إنّي أنصحك بأن تتوب إلى الله، وتلتزم المنهج الصحيح، ألا وهو المنهج السلفيّ، وأن تتوب عن أفعالك ومشاركتك في نكبة فبراير، وشقّك لعصا المسلمين في ليبيا، وخروجك عن وليّ الأمر سنة ٢٠١١ ميلادية، وأن تبدأ صفحة جديدة، تبدأها بالتوبة والدّعوة إلى المنهج السّلفي والدعوة إلى المصالحة الوطنية"!. (انتهت الرسالة)







الإجابة على الرسالة

الأخ الكريم الساعدي معمر القذافي:

أولاً. يبدو أنّك لم تقرأ الكتاب، فقد كتبتُ هذه المرحلة من ١٩٨٠ إلى عام ١٩٨٩م أي: من حوالي ٣٤ عاماً مضت، تحدثتُ فيها بكلّ أمانة وصدق ومراقبة لله عن تجربتي التي خضتها في نظام سبتمبر من عام ١٩٨١ إلى ١٩٨٨م عندما كنت طالباً في كلية الهندسة في جامعة بنغازي، فقد وقع ظلما وتعسفاً، والتقيت بأناس من الشخصيات الاعتبارية في المعتقل، فذكرت ما وقع على النخب السياسيّة والاجتماعيّة والدينيّة والعسكريّة من ظلم وجور وحرب للرموز في تلك الفترة، وتحدثت بالعدل والعلم.

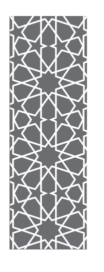
وما قلتُه في كتابي أعتبره شهادةً بيني وبين الله تبارك وتعالى يوم القيامة، ولا شكّ بأن الله عَزَّوَجَلَّ سيحاسبنا جميعاً، بما في ذلك أعمدة النظام السابق الذين وقعوا في الظلم السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، بل عملوا على تجفيف منابع التدين في السبعينات والثمانيات من القرن الماضي.

حتى إني أذكر أن كتاب رياض الصالحين، وصحيح البخاري، ومسلم، وتفسير الطبري والقرطبي وابن كثير كانت مفقودة في البلاد في تلك الفترة، وكان النظام يطلق عليها الكتب الصفراء. ففي تلك المرحلة دوّنت ما قرأته بكل أمانة وصدق بيني وبين الله وأبناء شعبي، ولا أريد أن أقدم تبريراً لأحد، وعند الله تبين الحقائق وينجلي الحق بإذن الله تعالى.



وكذلك أخي الساعدي؛ إنّ الأنظار وتقييم الدول والأنظمة والكتل السياسية والحكومات هو محط اختلاف بين البشر قديماً وحديثاً، فقد اختلف الناس ولا زالوا يختلفون في الحكم على الدولة الأمويّة، والعباسيّة، والعثمانيّة،





وغيرها من الدول والقضايا والأفكار، وكذلك في العصر الحديث، اختلفوا في: فترة عبد الناصر في مصر، والمملكة الليبيّة وإدريس السنوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وكذلك نظام سبتمبر؛ هناك المؤيّد وهناك المخالف، وهناك من استفاد، وهناك من وقع عليه الظلم.

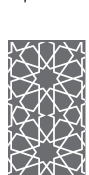
وبالتالي ليست جريمة في الدين، ولا في العرف، ولا في العقل ولا في المنطق؛ أن يذكر الإنسان تجربته الشخصية، وتجاربَ بعض أبناء وطنه من الشخصيّات الاعتباريّة مثل عمرو النامي، والشيخ البشتي، ومنصور الكيخيا، وغيرهم الكثيرون رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ. ولهذا تمنيت منك قبل أن تسرد هذه الرسالة أن تقرأ كتابي بموضوعيّة وإنصاف وحيادية ومنطقية، وستجد بأنّ الوقائع كانت صادقة وصادمة!

أما عن قولك: "**أن الظلم والقمع والفسق وحتى الكفر الذي يحدث في ليبيا اليوم لم يسبق أن حدث في تاريخ ليبيا ولا في تاريخ المنطقة والإقليم**".

ومن قال لك أني أدافع عن الظلم والكفر والفسق، قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، ومن قال لك أن هناك دولة اسمها فبراير أدافع عنها؟ أين هي الدولة وأين دفاعي عنها؟

وأمّا ما وقع في سورية من ظلم وقتل وتهجير وسجن وهتك للأعراض فلا يُقارن بليبيا، وكذلك لا تقارن ليبيا بما حدث في اليمن، فيبدوا أنّك لم تطلع على ما يحدث في تلك البلدان أو أنك تعمّدتّ ما قلت.

إن مواقفي -بحمد الله وفضله- ضد الظلم والاستبداد واضحة وبيّنة في قلمي ولساني ومواقفي وتصريحاتي، وأما فبراير، فليست دولة، ولكنها حدث تاريخي أراد الله تعالى فيه نزع سلطة النظام السابق، فساق لهذا الحدث



أسباباً داخليّة وخارجيّة وفق مشيئته وقضائه وقدره، وسُنته الجارية في الأفراد والجماعات والدول والشعوب، وقد قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وأما قولك: "**أنت كنت سبباً وداعماً لنكبة فبراير في حدوثها**"!

هذا كلام لا أساس له، وهو عارٍ عن الصحة وبعيد عن الواقع، فأنا لم أخطط لها، وإنما المظالم السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، والفساد العريض في نظام سبتمبر المتراكم جعل طائفة معتبرة من أبناء شعبنا تعبّر عن حقوقها المسلوبة بطرق سلميّة فكانت ردّة الفعل من النّظام دمويّة وقاسية وقمعيّة، وغير إنسانيّة وأمّا أنني في تلك الفترة تحيّزت إلى مطالب شعبي التي أراها عادلة ضد القمع والظلم الواقع عليهم المتمثّل في قيادة نظام سبتمبر فهذه حقيقة لا أنكرها مع تمسّكي بمنهج المصالحة وحقن الدماء.

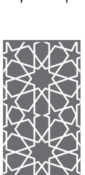
وقد ذهبت ممثلاً للمستشار مصطفى عبد الجليل من أجل المصالحة وحقن الدماء، والتقيت مع المرحوم بو زيد دوردة رئيس جهاز الأمن الخارجي ومعه الدكتور عقيل حسين عقيل في أيام حكم المشير محمد طنطاوي (رحمه الله).

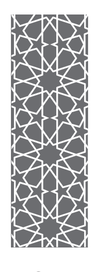
وكان هدفي ومقصدي المصالحة الوطنية، ولا زلت حتى يومي هذا ثابتاً على هذا المبدأ.

أما قولك: "**أشعلتم أنت ومن معك نار الفتنة فسيحاسبكم الله**".

إنه لا شكّ اتهام بلا دليل ولا برهان، فمن أشعل الفتنة معروف، ومن كان حريصاً على حقن الدماء معروف عند المنصفين من أبناء وطني، ولا شكّ أنّ الله علام الغيوب سيحاسب الجميع ونترك ذلك للتاريخ ثم لله عَزَّوَجَلَّ يوم القيامة: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].







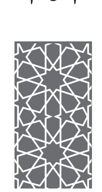


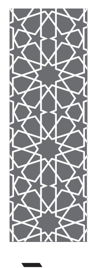
وأما استدلالك بحديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تقتل نفس ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها؛ لأنها أول من سن القتل**»؛ فلا نختلف بأنه حديث صحيح، وأن الله عَزَّوَجَلَّ سيحاسب من سفك دماء الأبرياء ظلماً من ذلك التاريخ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وتظهر الحقائق الناطقة الصادقة بما في ذلك الدماء التي سُفكت ظُلماً وعدواناً من ذلك الدماء التي سفكها النظام السابق في مجزرة أبوسليم الشهيرة، والتي راح ضحيّتها المئات من الركّع السجود الذين رضوا بالله ربا وبالإسلام ديناً. وكذلك الذين ماتوا في تشاد من أبناء الجيش الليبي، وكذلك ما حدث في أوغندا، وغير ذلك من الانتهاكات التي كانت دافعها التسلّط والاستبداد بعيداً عن العدل والحق والخوف من الله.

رضينا بحكم الله، ونسأله رحمته التي وسعت كلّ شيء، ونطمئن إلى حكمه لأنه أحكم الحاكمين، وفي ذلك اليوم لن ينفع الإعلام الكاذب، والجيوش الإلكترونية، ولا السعي للحكم على جثامين الأبرياء، وطمس الحقائق، وممارسة الاغتيالات المعنوية والجسدية ضد العباد.

أما دعوتك لي بالتوبة إلى الله تعالى، فنسأل الله أن يتوب علينا جميعاً. وأما مشاركتي، فكانت مناصرة -بقلمي ولساني- لقيم الحقّ ورفض الظلم وحقّ شعبنا في العيش الكريم واحترام حريّات النّاس ودماءهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم وإنسانيتهم.

وعندما تعرضتَ أنتَ للتعذيب في السجن رفضتُ ذلك، وأعلنت رفضي لهذه الأساليب القمعيّة في السجون التي أدارتها بعض التشكيلات الأمنية والعسكرية المحسوبة على فبراير، وهذا مدوّن ومسجل في الإعلام آنذاك.

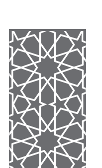




وبفضل الله لم أفرط ولم أساوم في ديني ولا قيمي، وابتعدت عن المناصب والمال الحرام، ولله الحمد والفضل في ذلك. وقد وقفت ضد الفئات الحالية واعتبرتها عصابات نهب وسرقة، وسميّتُ الأمور بمسمياتها. وهذا منهجي لرفض الظلم، واضطهاد واستعباد العباد في الغرب الليبي أو شرقه أو جنوبه. كما سعيت في بلادي العزيزة لإخراج السجناء في بنغازي وطرابلس ومصراته في عهد فبراير لإيصال حق شعبنا في العيش الكريم واحترام حرياتهم ودماءهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم وإنسانيّهم.

وأما قولك: "**وأن تعترف بأن سنوات حكم معمر القذافي كانت جنة، وكان الليبيون يعيشون في أمان ورحمة واستقرار حتى خرجتم أنتم بتعليمات من دول أجنبية لتدمّروا ليبيا**".

قد تكون ليبيا في أيام النظام السابق جنة بالنسبة لك يا أخي الساعدي، فلم يُصادَرْ لك منزل ولا أرض، ولا عقار ولا متجر، ولم تودع السجن ظلمـًا وتعسفـًا، وإنما كنت من المتنفّذين في النظام السابق، وأما من وقع عليه الظلم من أمثالي، فإن النّظام ساهم في محاربة وتهديم القيم الأخلاقيّة والروحيّة والمجتمعية والثقافية والدينية والحضارية، وكان رافضـًا للرأي والرأي الآخر، وساهم فيما نحن فيه الآن من تأخر في المؤسسات والتعليم والصحة...إلخ، بل إن النماذج التي تقودها عصابات النهب والسرقة الحالية كثير من قياداتها محسوبة على النظام السابق، بل هي من تربية ذلك النظام الذي لم يهتم لا بالدين ولا بالتربية الروحيّة، ولا العلم والمعرفة، بل كان يحارب المثقفين والمفكرين والعلماء وكان كأنه يقول: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩] هل نسيتَ أم تناسيتَ عندما أراد النظام السابق أن يجعل يوم عرفة هو عيد الأضحى، وفرض ذلك في الأوقاف والإعلام التابع له، وقصص وقرارات أخرى لا يمكن لعاقل أن يتحملها أو أن ينساها... إلخ.



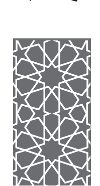




الأخ الساعدي أقولها لك بصراحة: يعلم الله بأن هذه قناعتي، ولا شك أنّ هذه السنوات من ٢٠١١م إلى ٢٠٢٣م تعتبر سنوات عجاف، وفيها من العقبات والتحديات على مختلف المستويات؛ فلا وجود لدولة ولا لمؤسسات، وكل ما هو بنظري حتى الآن هي عصابات نهب وسرقة للسلطة ومقدرات الدولة، وموطئة لتدخلات دولية، وقد دوّنتُ مواقفي مفصلة عن هذه الحقبة، وذكرتُ رأيي دون قيود ولا مجاملات، ولستُ مدافعـًا عن أحدٍ على كل حال.

أما قولك: "**خرجتم بتعليمات من دول أجنبية لتدمّروا ليبيا**"، فهذا الكلام لا يليق برجل يُعلن ولاءه لمنهج السلف ويدعو إليه ويحاجج من منطلقه، ومن يتحلى بمنهج السلف عليه أن يحكم على الناس بعلمٍ وإنصافٍ، دون أن يتّهم ويصرح بكلام بعيد عن الحقيقة. فالذين خرجوا من أبناء شعبك في بداية فبراير في بنغازي والبيضاء ومصراته والزاوية وطرابلس والمدن الليبية، لم يأمرهم أحد بالخروج، وإنما كانت مظاهرات سلمية طالبت بحقوقها الطبيعية، رافضة للظلم السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ، وتردي الخدمات الصحية والتعليمية والخدمية، والتي كان النظام نفسه معترفًا بها، وتأثرت بثورات الشعوب المنتفضة على الطغاة في تونس ومصر، واستمرت مع تزايد حدة العنف والقتل الذي واجهته الجموع من قبل النظام وأتباعه.

أمّا اتهام كلّ من خالف النظام السابق، ولديه مواقف مغايرة لسياسته وظلمه أنه عدو لليبيا ويريد تدميرها، فهذه اتّهامات غير منطقية، وإنني لا يمكن أن أزعم أني أحب شعبي ووطني، وأجرد خصومي السياسيين من ذلك. والله تعالى يعلم مقدار حبّي لبلدي ليبيا وأهلنا وشعبنا، وحرصي على سلامة وطني، وأهمية وصوله إلى برّ الأمان.





إن نزع صفة الوطنية عن خصوم ومعارضي النظام السابق، واتهامهم بالعمالة للأجنبي، يحتاج لإعـادة نظر وحكمة في إطلاق الأحكام، فهناك كثير من الوطنيين الحريصين على لمّ الشمل والمصالحة والسلام الاجتماعي.

وأما قولك: "**والله خاب ظني فيك يا دكتور علي للأسف**".

هذا من حقك، أن تُقيم من تشاء كما تشاء، ولكنني أتمنى أن يكون على أسس من العدل والعلم، والحُكم بالبينة والبرهان، وأما لأني كتبت عن أيامي في سجن النظام السابق ونقدت تصرفاته وتعسفه، فيكون موقفك بهذه الحدة، فهذا فيه من الظلم في الحكم على الأشياء، وعدم احترام آراء الناس في تقييم الواقع، وخصوصاً وقد ابتعدت عن الشتم والقذف وما ذكرته هو الصدق وكلمة الحق أمام الله تعالى.

أما قولك: "**وأسأل الله لك الهداية**"، فاللهم آمين.

وأما قولك: "**إنّ معظم من اِنجر خلف هذه الفتنة الشيطانيّة المدمرة -فبراير- قد رجع وتاب وندم، وأنت لا زلتَ تكتب وتتحدث عن ظلم معمر القذافي، وكأن ليبيا اليوم بعده أصبحت دولة عظمى (هههhe)**".

قد بينت لك بأن كتابي عن السجن دوّنتُه منذ ٣٣ سنة أي منذ عام ١٩٨٩م، وإذ كنت قد كتبتُ عن تاريخ الحركة السنوسيّة والمملكة الليبيّة من خلال البحث والمطالعة والمراجع والمصادر؛ أظن أنه من حقي كشخص مهتم بالتاريخ أن يُدوّن شهادته بأمانة وصدق ودون زيادة أو نقصان.



وأنت تعرف جيداً أنّ الكتابة عن الحركة السنوسيّة، وبيان إيجابيّاتها ماذا يعني عند النظام السابق، ولا سيما الملك إدريس رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي تعرّض للأكاذيب والتشويه من الآلة الإعلامية للنظام السابق!








ومن قال لك بأنني أدافع عن النظام السياسي الحالي؟ وهل هناك نظام واضح المعالم أصلاً؟

لا أحد يمنعك أن تكتب ما تراه حقّاً وإنصافاً عن النظام السابق، وعن مرحلة الفوضى السياسية وما يحدث من نهب المال العام، والسرقة والفوضى، وتستطيع أن تكتب كما تشاء، وبالطريقة التي تريدها، وأن ترد على كتابي، ولكن بشرط الإحاطة والإنصاف، ولك الحق في قول ما تريد بعد مراجعته وبما يرضي الله تعالى.

وتستطيع أخي الساعدي أن تطالع كُتب أشخاص من المحسوبين على النظام السابق، واقرأ بنفسك ماذا كتبوا وقالوا، ولعل منهم على سبيل المثال:

- كتاب الملحمة لعبد السلام جلود.

- عبد الرحمن شلقم وما كتبه عن النظام السابق.

- الدكتور عقيل حسين عقيل، وما كتبه أيضاً عن النظام السابق.

وهؤلاء كانوا قد تقلّدوا مناصب في تلك المرحلة التاريخية، وكانوا من أكثر المقربين من قيادة نظام سبتمبر.

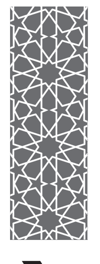
والذي أعرفه عن نفسي أنّني بحمد الله لم أتعمّد الكذب أو التشفّي، وإنما كنت صادقاً مع نفسي، ومع ربي وشعبي.

وأعتبرتها جزءاً من الذاكرة التاريخيّة لشعبي في تلك المرحلة: ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ﴾ [يوسف: ٨١].

وأما قولك: "**والله إنّك مضحك وشرّ البليّة ما يضحك**".

وهنا أتعجب من هذا الكلام، فالتجارب الإنسانية المريرة العصيبة الّتي وقع فيها ما وقع من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان؛ ليس فيها ما يضحك،





وإنّما هذا دليل على أنّك حكمت على الكتاب قبل أن تتطلّع عليه، ولا يوافق حُكمك منهج السلف، الذي لا يجوز الحُكم على شيء إلا بعد الاطلاع عليه، والعلم بتفاصيله.

ولا يعني تعليقي على ما ذكرته في رسالتك نقداً أو رفضـًا، وبالنهاية هذا رأيك، وإن كان الكثير من أبناء شعبي، ومنهم من النّظام السابق، والجيل الجديد قد تأثّروا بما كتبت كثيراً، وهناك من بكى وذرفت عيناه بالدموع، ولله في خلقه شؤون؛ فهناك من يضحك على مآسي الناس، وهناك من يبكي: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ [النجم: ٤٣] سبحانه وتعالى.

وأما قولك: "**وأنا لا أريد أن أتحدّث عن أخطائك وانحرافاتك المنهجية، وأخطائك الفقهية، والتي يعلمها كلّ عارف بالمنهج**".

عمومـًا أنا أرى في نفسي طالب علم، ومجتهد في معرفة الحقيقة، والتوفيق من الله، وكما تعلم، أنّ الدّين النصيحة، كما قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وهي لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ورحم الله من أهدى إليّ عيوبي، وانحرافاتي المنهجية، وأخطائي الفقهيّة الّتي يعلمها كلّ عارف بالمنهج، كما قلتَ.

وإن شاء الله إن تبيّن لي الحق سأتمسّك به، وهذا خُلُق أعرفه عن نفسي -بحمد الله عَزَّوَجَلَّ- وقد وعدتني أن تهديَ لي كتبـًا في المنهج، -ووعد الحُرّ دين عليه- ولكنها لم تصلني إلى الآن، وإني حريص على قراءتها، والاستفادة منها في حال وصلتني بإذن الله.



وقولك: "**إنّي أنصحك بأن تتوب إلى الله وتلتزم بالمنهج الصحيح، ألا وهو المنهج السلفيّ، وأن تتوب عن أفعالك ومشاركتك في نكبة فبراير وشقك**

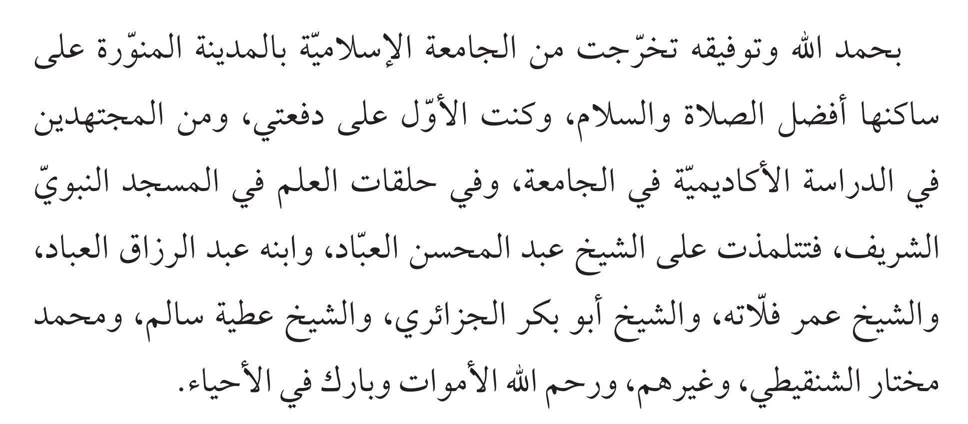




لعصا المسلمين في ليبيا، وخروجك عن ولي الأمر سنة ٢٠١١م ميلادية، وأن تبدأ صفحة جديدة تبدؤها بالتوبة والدعوة إلى المنهج السلفيّ، والدّعوة إلى المصالحة الوطنية!".

نرجو من الله عَزَّوَجَلَّ، وندعوه ونستغيث به، ونطلب منه السّداد والتوفيق بأن يمنّ علينا بالتوبة النصوح أنا وجميع أبناء ليبيا والأمة الإسلامية. اللهم آمين.

وقولك: "**وتلتزم بالمنهج الصحيح ألا وهو المنهج السلفيّ**".



بحمد الله وتوفيقه تخرّجت من الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وكنت الأوّل على دفعتي، ومن المجتهدين في الدراسة الأكاديميّة في الجامعة، وفي حلقات العلم في المسجد النبويّ الشريف، فتتلمذت على الشيخ عبد المحسن العبّاد، وابنه عبد الرزاق العباد، والشيخ عمر فلّاته، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ عطية سالم، ومحمد مختار الشنقيطي، وغيرهم، ورحم الله الأموات وبارك في الأحياء.

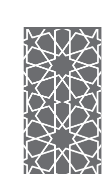
ثم واصلت دراستي في تفسير القرآن الكريم، وكنت من أكثر المدافعين والناشرين -من أبناء بلدي- للسيرة النبوية والخلفاء الراشدين، ورددت عن شبهات أعداء الصحابة، والمستشرقين، وكتبت في أركان الإيمان ستة كتب، وعن صفات رب البرية، ملتزمـًا بمنهج أهل السنة والجماعة، وكتبت عن أولي العزم وعن الأنبياء والمرسلين، وكانت وستظل مرجعيّتي العلميّة في حياتي:

١- القرآن الكريم.

٢- والسيرة النبوية وسيرته العطرة صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ.

٣- سير الخلفاء الراشدين والصحابة الكرام.









٤- سير علماء التابعين والسلف، من أمثال أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، ومالك، والبخاري ومسلم، وأصحاب السنن، والزهري والليث بن سعد رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ومن سار على نهجهم من علماء راسخين، وفقهاء عاملين، وكتاباتي تدلّ على ما قلتُ، وإذا تجرّد الإنسان في حكمه من الخصومة السياسيّة؛ بانت له الحقائق كالشّمس في رابعة النهار.

وأما قولك: "**ومشاركتك في نكبة فبراير**".

فكما قلت لك: إنها لحظات قدريّة قدّرها الله عَزَّوَجَلَّ، وفق مشيئته وحكمته وعلمه الأزلي، في نزع السلطة من النّظام السّابق، وتحقيق إرادة الشعب بعد تعرضه للظلم والاستبداد، وبعد ذلك ابتلاء الليبيين بهذه الأحداث الجسام، ولهذا فقد انحزت إلى العدل ضد الظلم، والمصالحة الشاملة التي لا تستثني أحداً ضد القتال وسفك الدماء، وقدوتي في هذا كتاب الله تعالى في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ٩-١٠].

أما قولك: "**وخروجك عن وليّ الأمر سنة ٢٠١١م**".

أنا أستغرب من هذا! هل الضباط الأحرار الذين أقسموا على القرآن الكريم في مرحلة الاستقلال، لحماية الدستور والمملكة والملك، وبعد ذلك نقضوا بيعتهم للملك الراحل، فإنهم خرجوا عن وليّ أمرٍ أعطوه البيعة، وأقسموا ونقضوا العهد أم لا!؟ أم هو حكم الإمام المتغلب بالحديد والنار، ولا علاقة له بالشورى وبيعة الرضا وحقّ النّاس في الاختيار، كما كانت سنة الاختيار للخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن بن علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.





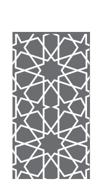
وإن إمامة المتغلب استقرت في عهد عبد الملك بن مروان، وكما أنه لا أحد من أئمة السلف ينهى عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالطرق السلمية والمطالبة بالحقوق، هل كل من طالب بحقوقه من أبناء شعبك ورفض الظلم الواقع عليهم -وأعدادهم بمئات الألوف، بل بالملايين- هو خارج عن ولي الأمر؟

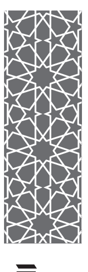
وهل الوقوف مع الحقوق والعدالة الاجتماعية، بالطرق السلمية خروج عن ولي الأمر؟ أمّا أنّ النظام السابق هو الذي خرج على مطالب شعبه العادلة، ورفض الاستجابة لها، وحاول فرض سلطانه وجبروته بالحديد والنار؟

وأما قولك: "**أن تبدأ صفحة جديدة، تبدأها بالتوبة، والدّعوة إلى المنهج السلفي والدعوة إلى المصالحة الوطنية**".

أما أن نبدأ صفحة جديدة نبدأها بالتوبة، فنسأل الله التوبة والعفو والعافية، وإن المسلم في كلّ يوم يستغفر الله ويتوب إليه في كلّ صغيرة وكبيرة، ويسأل الغفار المغفرة، والتواب التوبة، فنسأل الله أنْ يغفر لنا، والتوابَ أن يتوب علينا. وأما الدعوة إلى المنهج السلفيّ، أي: الكتاب والسنة وهدي الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين إليهم بإحسان؛ فإن معظم كتاباتي تدلّ على ذلك بحمد الله، وفي مقدمتها: السيرة النبوية، والخلفاء الراشدين، وتفسير القرآن الكريم، وعقائد أهل السنة والجماعة، وهذا محض فضل من الله عليّ، وإني عاجز عن حمده وشكره!

وأمّا الدعوة إلى المصالحة الوطنية؛ بحمد الله رزقني الله الثبات على هذا الأمر، والعزيمة على الرشد، وأنا من أكثر الليبيين الذين كتبوا الكتب والمقالات والحلقات التلفزيونية واللقاءات بالناس عن ذلك، ومن أكثرهم تعرّضاً للأذيّة





والشتم والسبّ من الغلاة، بل تعرّضتُّ للتهديد بالقتل -والأعمار بيد الله- من أتباع سبتمبر وأتباع فبراير، قبل أن أنهي هذه الرسالة التي رددتُّ فيها على بعض الاتهامات، وبيّنتُ فيها موقفي، وأني لستُ مدافعـاً عن الظلم، وإجرام بعض الأفراد وفسادها، واللوبيات المحسوبة على فبراير، بل كنت ناقداً ومجاهراً وصادعـاً بالحق أكثر من غيري.

أحبّ أن أوجه لك سؤالاً تجيب عنه بصراحة -إذا أردت- مستحضراً الموت وعالم البرزخ، ويومَ الحساب، والجزاء والموازين في اليوم الآخر؛ هل كان نظام سبتمبر -وقد عشت في كواليسه- بعيداً عن الظلم والفساد والإقصاء!!؟

وأخيراً، كان سماعي لرأيك بعناية كبيرة، ورددتُّ عليك على حسب إطلاعي وعلمي، وأتمنى أن تكون فكرتي قد وصلت إليك، وعقلي وصدري وقلبي مفتوح للنّقاش والحوار، والسعي مع أبناء وطني للوصول إلى ثوابت وقيم ومبادئ للتعايش المشترك بين أبناء الشعب الواحد حتّى مع الذين قالوا فينا ظلمـاً وبهتانـاً، وكذبـاً واختلاقـاً ما لم يقله مالك في الخمر -كما يقال-.

وفي النهاية نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يهدينا سُبل السلام، وأن يؤلّف بين قلوب أبناء شعبنا، ويأخذ بنواصينا نحو رضاه إنه نعم المولى ونعم النصير.

والله خير شاهد وهو من وراء القصد

والحمد لله رب العالمين

أخوك الدكتور علي محمَّد محمَّد الصلَّابي

٢٦ شوال ١٤٤٤هـ/ ١٦ مايو ٢٠٢٣م

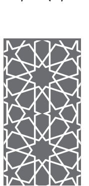






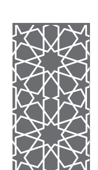


فهرس المحتويات







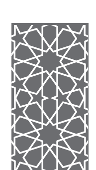


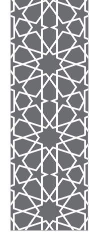






ذكريات لاتنسى

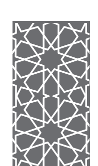












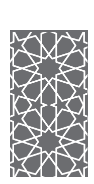






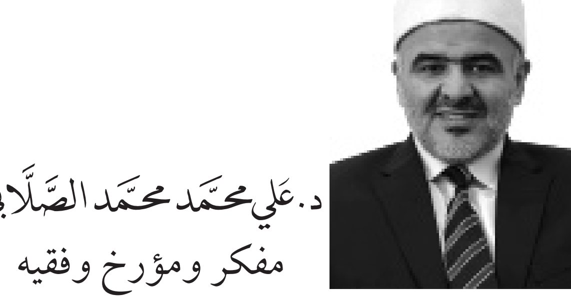


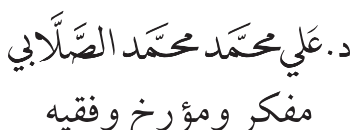




السيرة الذاتية للمؤلف





د. علي محمد محمّد الصَّلّابي

مفكر ومؤرخ وفقيه



- ولد في مدينة بنغازي بليبيا عام ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣م.

- نال درجة الإجازة العالمية (الليسانس) من كلية الدعوة وأصول الدين من جامعة المدينة المنورة عام ١٩٩٣م، وبالترتيب الأول.

- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية عام ١٩٩٦م.

- نال درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية بأطروحته فقه التمكين في القرآن الكريم من جامعة أم درمان الإسلامية بالسودان عام ١٩٩٩م.

- اشتهر بمؤلفاته واهتماماته في علوم القرآن الكريم، والفقه، والتاريخ، والفكر الإسلامي.







- **زادت مؤلفات الدكتور الصلابي على الثمانين مؤلفًا:**

١. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث.

٢. سيرة الخليفة الأول أبو بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٣. سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٤. سيرة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٥. سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شخصيته وعصره.

٦. سيرة أمير المؤمنين الحسن بن علي بن أبي طالب: شخصيته وعصره.

٧. الدولة العثمانية: عوامل النهوض والسقوط.

٨. فقه النصر والتمكين في القران الكريم.

٩. تاريخ الحركة السنوسية في إفريقيا.

١٠. تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي.

١١. عقيدة المسلمين في صفات رب العالمين.

١٢. الوسطية في القران الكريم.

١٣. الدولة الأموية، عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار.

١٤. معاوية بن أبي سفيان، شخصيته وعصره.

١٥. عمر بن عبد العزيز، شخصيته وعصره.

١٦. خلافة عبد الله بن الزبير.

١٧. عصر الدولة الزنكية.







١٨. عماد الدين زنكي.

١٩. نور الدين زنكي.

٢٠. دولة السلاجقة.

٢١. الإمام الغزالي وجهوده في الإصلاح والتجديد.

٢٢. الشيخ عبد القادر الجيلاني.

٢٣. الشيخ عمر المختار.

٢٤. عبد الملك بن مروان وبنوه.

٢٥. فكر الخوارج والشيعة في ميزان أهل السنة والجماعة.

٢٦. حقيقة الخلاف بين الصحابة.

٢٧. وسطية القران في العقائد.

٢٨. فتنة مقتل عثمان.

٢٩. السلطان عبد الحميد الثاني.

٣٠. دولة المرابطين.

٣١. دولة الموحدين.

٣٢. عصر الدولتين الأموية والعباسية وظهور فكر الخوارج.

٣٣. الدولة الفاطمية.

٣٤. حركة الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي.

٣٥. صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير البيت المقدس.




٣٦. استراتيجية شاملة لمناصرة الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دروس مستفادة من الحروب الصليبية.

٣٧. الشيخ عز الدين بن عبد السلام سلطان العلماء.

٣٨. الحملات الصليبية (الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة) والأيوبيون بعد صلاح الدين.

٣٩. المشروع المغولي: عوامل الانتشار وتداعيات الانكسار.

٤٠. سيف الدين قطز ومعركة عين جالوت في عهد المماليك.

٤١. الشورى في الإسلام.

٤٢. الإيمان بالله جل جلاله.

٤٣. الإيمان باليوم الآخر.

٤٤. الإيمان بالقدر.

٤٥. الإيمان بالرسل والرسالات.

٤٦. الإيمان بالملائكة.

٤٧. الإيمان بالقران والكتب السماوية.

٤٨. السلطان محمد الفاتح.

٤٩. المعجزة الخالدة.

٥٠. الدولة الحديثة المسلمة: دعائمها ووظائفها.

٥١. البرلمان في الدولة الحديثة المسلمة.

٥٢. التداول على السلطة التنفيذية.







٥٣. الشورى فريضة إسلامية.

٥٤. الحريات من القرآن الكريم: حرية التفكير وحرية التعبير، والاعتقاد والحريات الشخصية.

٥٥. العدالة والمصالحة الوطنية: ضرورة دينية وإنسانية.

٥٦. المواطنة والوطن في الدولة الحديثة.

٥٧. العدل في التصور الإسلامي.

٥٨. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي.

٥٩. الأمير عبد القادر الجزائري.

٦٠. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، سيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، الجزء الثاني.

٦١. سُنة الله في الأخذ بالأسباب.

٦٢. كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، وسيرة الإمام محمد البشير الإبراهيمي.

٦٣. أعلام التصوف السُني: «ثمانية أجزاء».

٦٤. المشروع الوطني للسلام والمصالحة.

٦٥. الجمهورية الطرابلسية (١٩١٨ - ١٩٢٢) أول جمهورية في تاريخ المسلمين المعاصر.

٦٦. الإباضية: مدرسة إسلامية بعيدة عن الخوارج.

٦٧. المسيح عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ: الحقيقة الكاملة.



٦٨. قصة بدء الخلق وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٦٩. نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ والطوفان العظيم.. ميلاد الحضارة الإنسانية الثانية.

٧٠. إبراهيمُ خليل الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة».

٧١. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كليم الله.

٧٢. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ والخضر.

٧٣. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة طه.

٧٤. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة القصص.

٧٥. موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في سورة الشعراء.

٧٦. مؤمن آل فرعون في سورة غافر.

٧٧. لا إله إلا الله (أدلة وجود الله وأول المخلوقات)

٧٨. سقوط الدولة العثمانية (الأسباب - التداعيات).

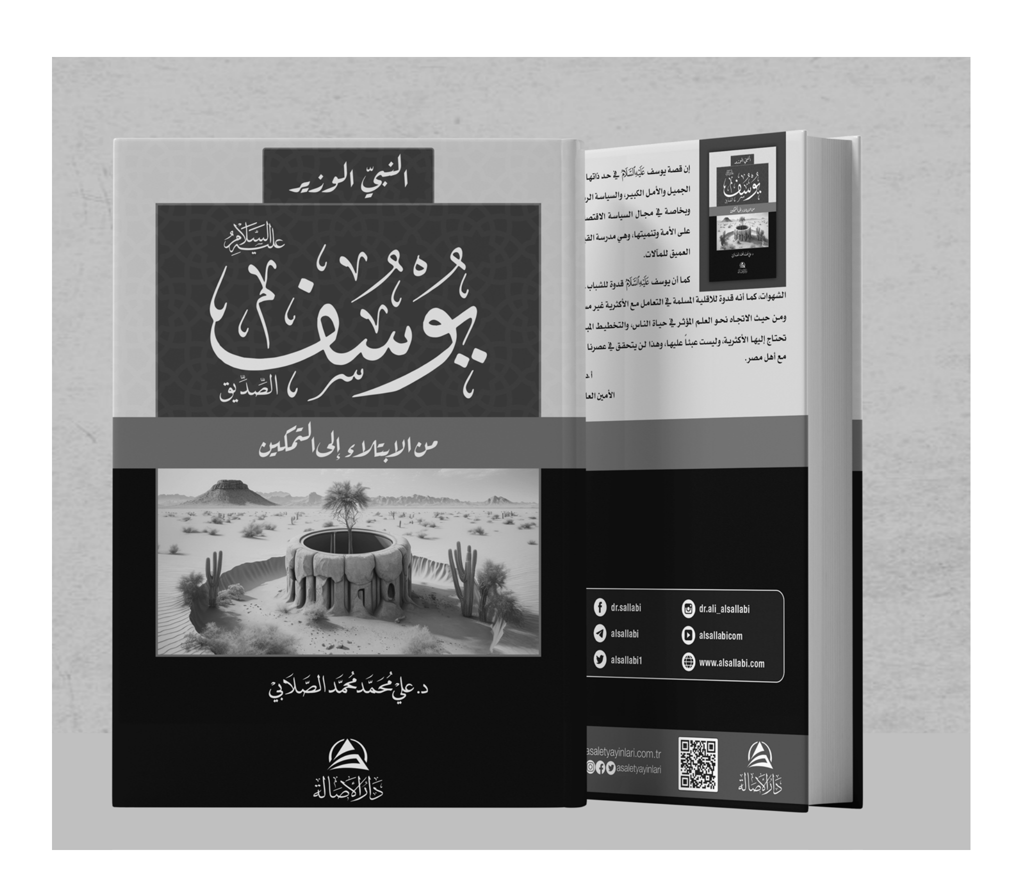
٧٩. سقوط الدولة الأموية (الأسباب - التداعيات).

٨٠. مختصر نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العِظام.

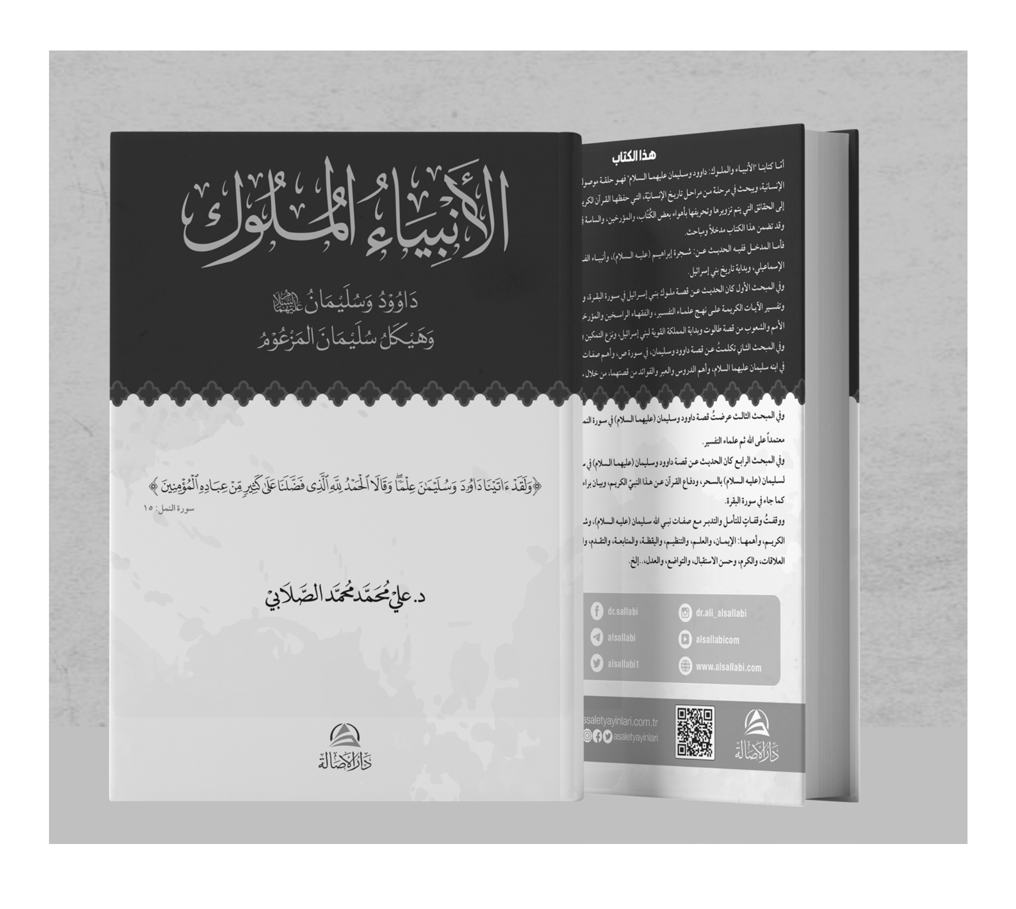
٨١. النبي الوزير يوسف الصديق عَلَيْهِ السَّلَامُ من الابتلاء إلى التمكين.

٨٢. ذكريات لا تنسى.

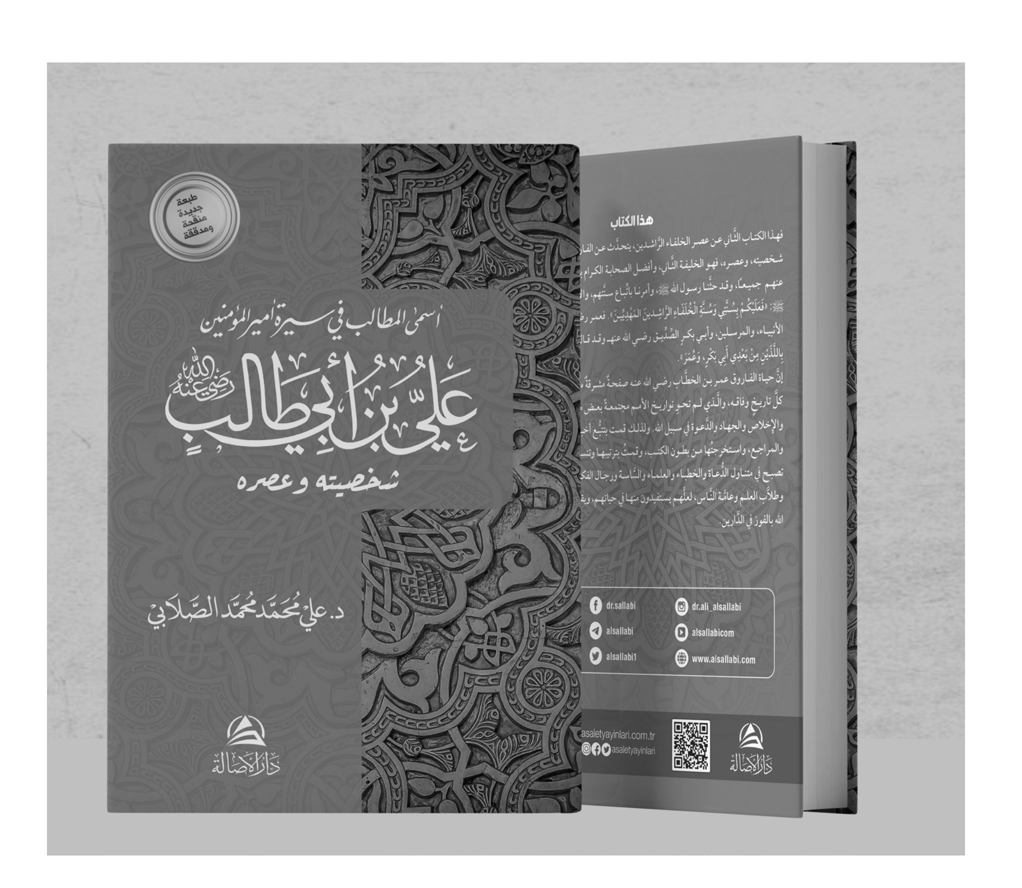
٨٣. الأنبياء الملوك.



النبيّ الوزير
يوسف
عليه السلام
الصدّيق
من الابتلاء إلى التمكين
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة

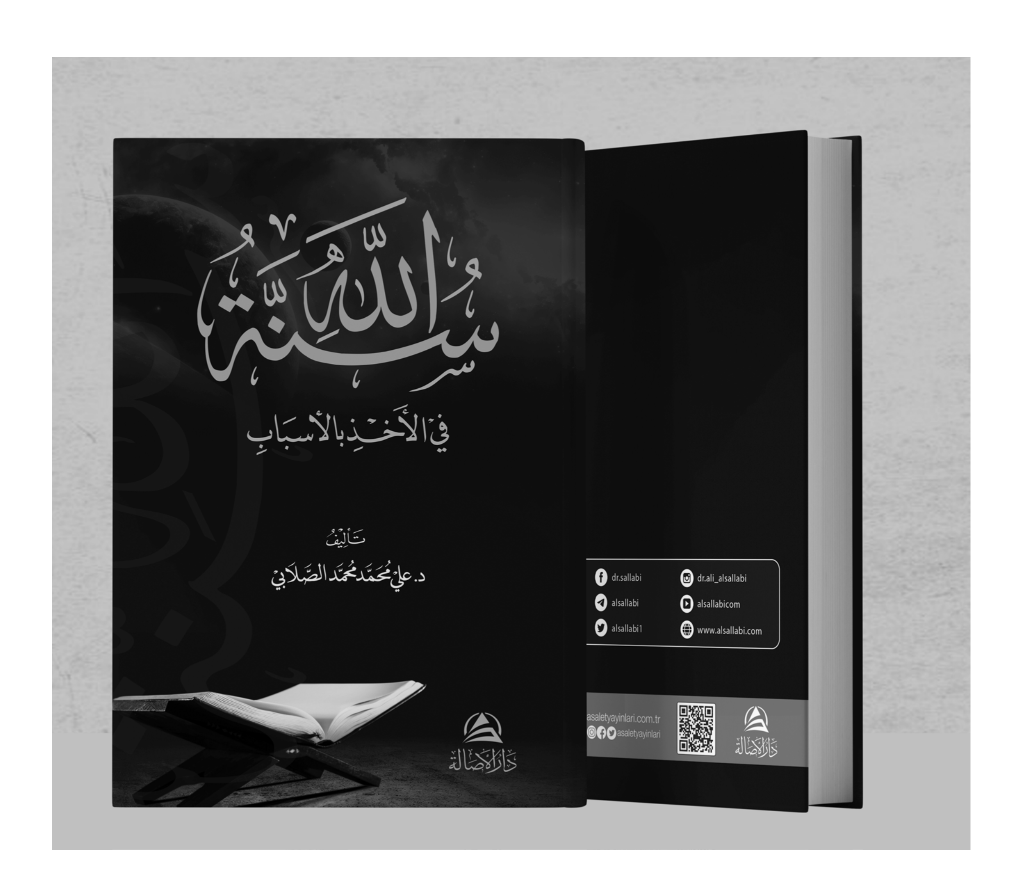


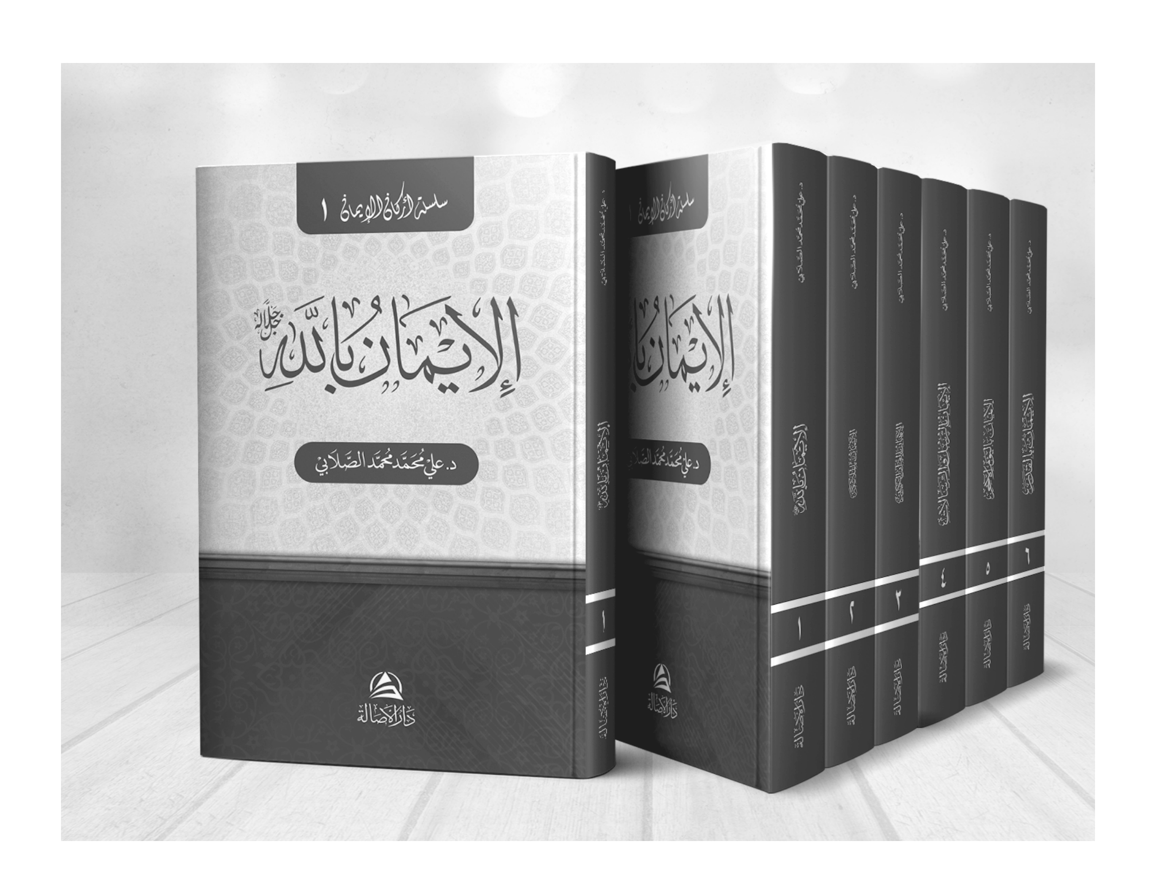
الأنبياء الملوك
داوود وسليمان عليهما السلام
وهيكل سليمان المزعوم
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾
سورة النمل: ١٥
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
هذا الكتاب
dr.sallabi
alsallabi
alsallabi1
dr.ali_alsallabi
alsallabicom
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari


طبعة جديدة منقحة ومدققة
أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين
علي بن أبي طالب رضي الله عنه
شخصيته وعصره
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
هذا الكتاب
dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة

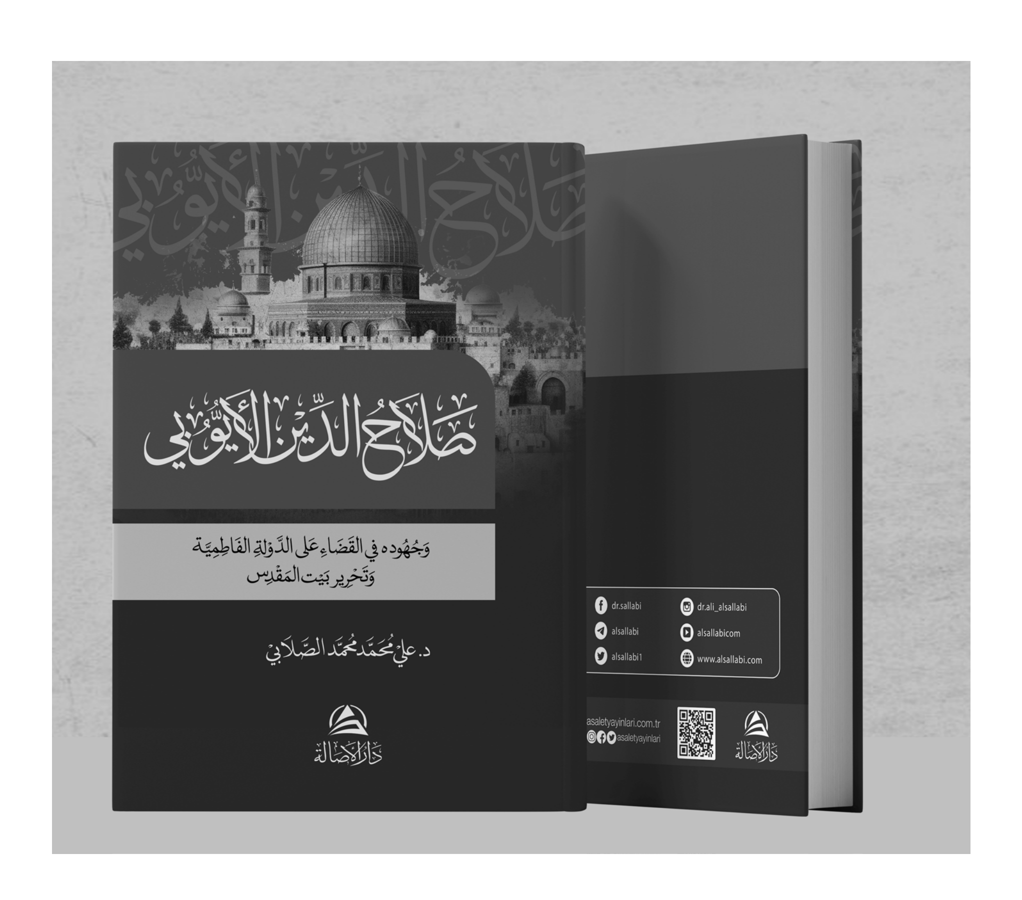


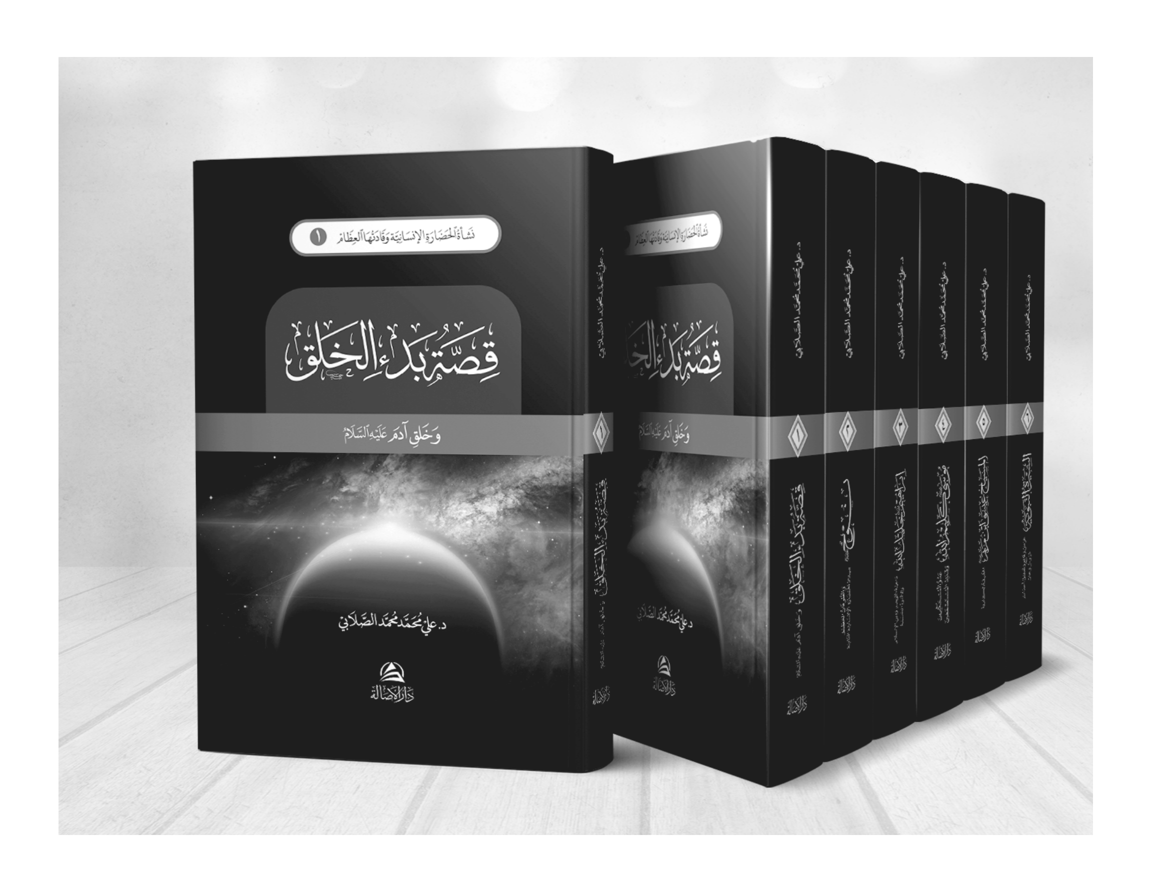
استشهاد الحسين رضي الله عنه
ومعركة كربلاء
تأليف
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة

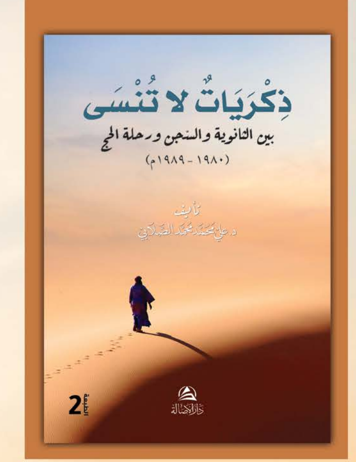

سنة الله
في الأخذ بالأسباب
تأليف
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة



سلسلة أركان الإيمان 1
الإيمان بالله جل جلاله
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة


صلاح الدين الأيوبي
وَجُهوده في القَضاءِ على الدّولةِ الفاطِمِيّة
وَتَحرير بيت المَقدِس
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة
dr.sallabi
dr.ali_alsallabi
alsallabi
alsallabicom
alsallabi1
www.alsallabi.com
asaletyayinlari.com.tr
asaletyayinlari
دار الأصالة


نشأة الحضارة الإنسانية وقادتها العظام ١
قصة بدء الخلق
وخلق آدم عليه السلام
د. علي محمد محمد الصلابي
دار الأصالة

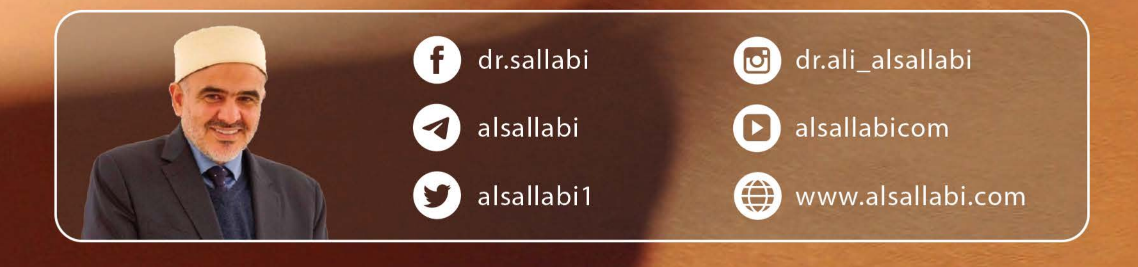


وفي هذا الكتاب، سيطّلع الجيل الجديد -بإذن الله تعالى- على حقبة من تاريخ ليبيا في عهد العقيد معمر القذافي، وما كان فيه من ظلم وقسوة وطغيان، ومصادرة للحريات، ومحاولات لتهميش رموز وأساطين الفكر والثقافة والعلم، وزعماء التيارات السياسية والاجتماعية التي كانت تخالفه في الرؤى السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ونقلتُ بكلّ أمانةٍ ما رأيت وسمعت من الثِّقات الذين كانوا معي في السجن، واستفدتُ منهم، كما استفدتُ من الكتابات السابقة عن السجون الليبية في تأكيد التواريخ وأسماء المعتقلين، وأسماء القضايا المدنية والعسكرية التي هددت نظام سبتمبر؛ ومن هذه الكتب:

- "كأنك معي.. مذكرات سجين رأي في سجون القذافي" التي كتبها الأستاذ صالح القصبي.
- "مذكرات في السجن والغربة" التي كتبها الدكتور جمعة أحمد عتيقة.
- "رواية أيمن العتوم (طريق جهنم)" وبطلها الأستاذ علي العِكرمي.

وقد تواصلت مع هؤلاء السادة الأفاضل جميعاً؛ وهم الذين أكنُّ لهم كل مودة وتقدير واحترام.





ISBN: 978-625-8336-68-9



